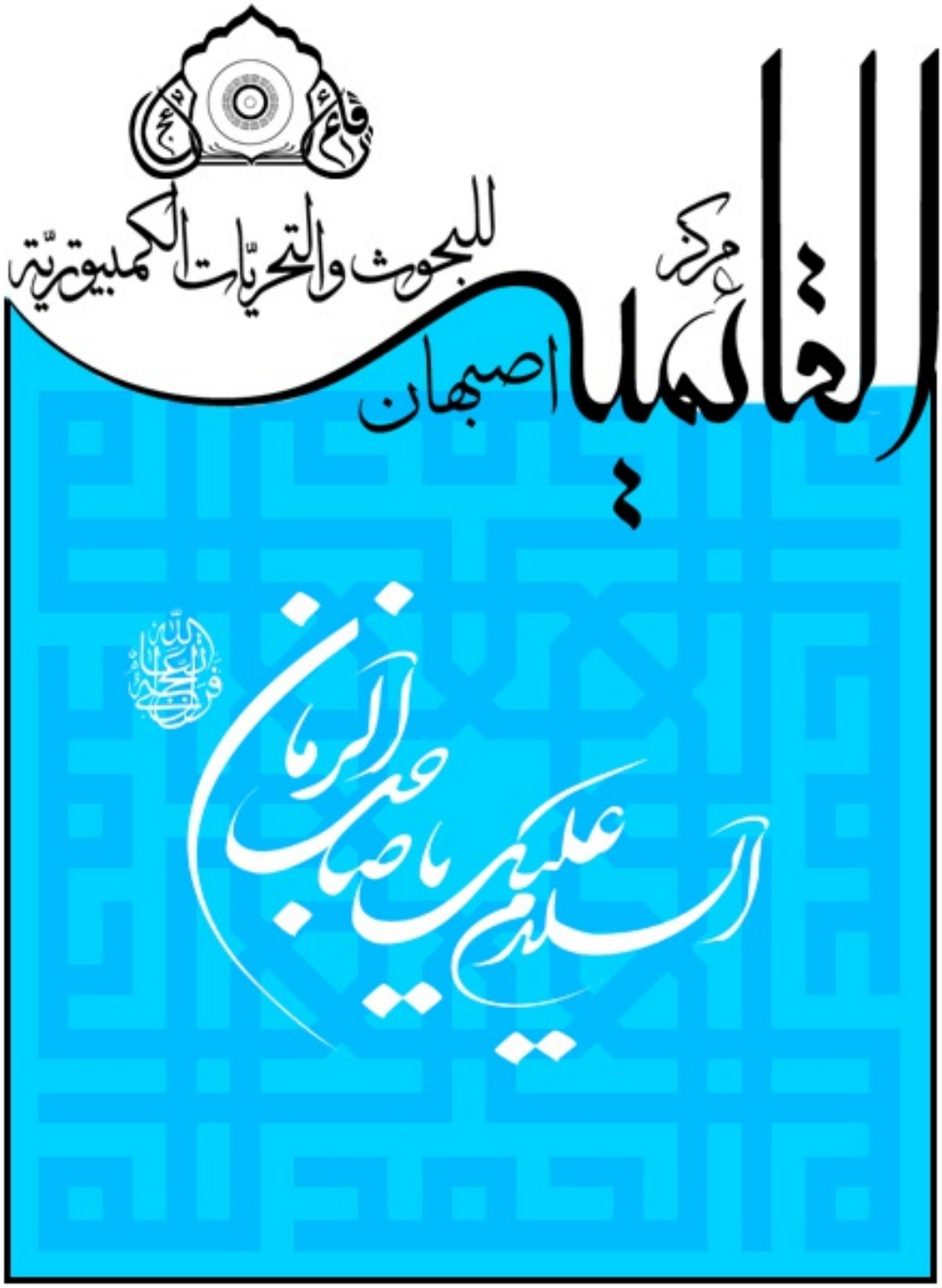

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

محنة الأكثرية في العراق

صفحات من ملف الطائفية السياسية

ناصر حسين ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

محنة الأكثرية فى العراق

كاتب:

ناصر حسين ناصر

نشرت فى الطباعة:

دار المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم للطباعة و النشر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
محنة الأكثرية فى العراق ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
كلمة الناشر ----- ۱۵
الإهداء ----- ۱۶
المقدمة ----- ۱۶
الفصل الأول ----- ۱۸
الفصل الأول ----- ۱۸
تمهيد ----- ۱۸
من أين نبع التشيع ----- ۱۸
العراق يعتنق التشيع ----- ۱۹
التأسيس والانتشار فى بغداد: ----- ۲۰
المد والجزر ----- ۲۰
العراقيون يحملون لواء أهل البيت عليهم السلام فى العالم ----- ۲۱
العروبة المتجذرة ----- ۲۱
الشيعة ليسوا طائفة فى العراق ----- ۲۳
لمحات عن الحكومات الموالية لأهل البيت عليهم السلام فى العراق ----- ۲۴
لمحات عن الحكومات الموالية لأهل البيت عليهم السلام فى العراق ----- ۲۴
۱- الدولة البويهية ----- ۲۴
۲- الدولة الجلائرية ----- ۲۵
۳- الدولة الصفوية () ----- ۲۵
۴- الدولة الحمدانية ----- ۲۶
۵ دولة آل المسيب ----- ۲۶

لقطات مشرقة عن رموز الحكم الشيعة فى العراق ----- ۲۶
أمير المؤمنين عليه السلام: ----- ۲۶
عبد الله بن عباس ----- ۲۷
عبد الله بن النجاشى ----- ۲۷
محمد بن الأشعث ----- ۲۷
على بن يقطين ----- ۲۷
يعقوب بن داوود ----- ۲۷
أبو الفضل الاسكافى ----- ۲۷
طاهر بن الحسين الخزاعى ----- ۲۷
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ----- ۲۸
أبو الحسن على بن الفرات ----- ۲۸
أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد ----- ۲۸
الصاحب إسماعيل بن عباد ----- ۲۸
أبو العلاء بن بطة ----- ۲۹
أبو على الحسن بن أستاذ هرمز ----- ۲۹
الوزير المغربى ----- ۲۹
أبو سعد أو سعيد منصور بن الحسين الآبى ----- ۲۹
الخواجة نظام الملک: ----- ۲۹
عميد الملک ----- ۲۹
من المدن المركزية الشيعية فى العراق ----- ۳۰
الكاظمية ----- ۳۰
كربلاء المقدسة ----- ۳۰
كرخ بغداد ----- ۳۱
الكوفة ----- ۳۱

الحلة ----- ۳۱
سامراء ----- ۳۲
الخالص ----- ۳۳
البصرة ----- ۳۳
بغداد ----- ۳۳
الموصل ----- ۳۳
النجف الأشرف ----- ۳۳
الفصل الثانی دورات الإحصاء السکانی ----- ۳۳
الفصل الثانی دورات الإحصاء السکانی ----- ۳۴
تقديرات أولية ----- ۳۴
نسبة الأكثرية في القرن الماضي: ----- ۳۴
وثيقة تاريخية ل (المس بيل) تعترف بالأكثرية ----- ۳۵
بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة ----- ۳۵
تقرير الكاتب الروسي كوتلوف ----- ۳۶
تقرير مركز ابن خلدون – القاهرة ----- ۳۶
تقرير لجنة مراقبة الشرق الوسط لحقوق الإنسان ----- ۳۶
تقرير الموسوعة البريطانية ----- ۳۶
تقرير المؤرخ فيكتور بيرار ----- ۳۶
تقرير روبرت فيسک وغربيين آخرين ----- ۳۶
٨٢٪ من البغداديين شيعة ----- ۳۷
الواقع الديموغرافي ----- ۳۸
إحصاء عام ۱۹۱۹ ----- ۳۸
إحصائية عام ۱۹۲۰ ----- ۳۹
إحصاء عام ۱۹۲۹ ----- ۳۹

إحصائية عام ۱۹۴۷ ---- ۴۰
الأصالة الشيعية العربية ---- ۴۰
الشيعة العرب: نجوم لامعة في الإبداع ---- ۴۲
إحصاء عام ۱۹۴۷ ---- ۴۳
إحصاء عام ۱۹۵۷ ---- ۴۳
إحصاء عام ۱۹۹۷م ---- ۴۴
همسة في أذن المشكك ---- ۴۴
الفصل الثالث بحوث في هوية الطائفية ---- ۴۵
الفصل الثالث بحوث في هوية الطائفية ---- ۴۵
هوية الطائفية ---- ۴۵
أولا: ثقافة احتكار السلطة ---- ۴۵
ثانيا: ملامح النظام الطائفي ---- ۴۶
ثالثا: الطائفية الشاذة في العراق ---- ۴۷
رابعا: طبيعة الطائفيين في كلا الفريقين ---- ۴۸
خامسا: من الذي يقوم بالتمييز الطائفي؟ ---- ۵۰
سادسا: أسس البناء الطائفي ---- ۵۲
القمع + البهتان + إسقاط الهوية: ---- ۵۲
العلاج الكاذب والانتهاكات الصارخة: ---- ۵۳
سابعا: الجيش والطائفية ---- ۵۴
طائفية الكلية العسكرية: ---- ۵۵
ثامنا: مقتطفات من (إعلان شيعة العراق) ---- ۵۶
الولاء للوطن وليس للطائفية ---- ۵۷
الشيعة اكبر ضحايا النظام ---- ۵۷
الطائفية في العراق قانون غير مكتوب ---- ۵۷

من هم الشيعة؟ ۵۷
الديموقراطية وحدها لا تكفى ۵۸
النظام وراء إثارة المخاوف الطائفية ۵۸
الطائفية حقيقة كبرى أمام العالم كله ۵۹
الشيعة والحكومة العراقية الحديثة ۵۹
هدف السلطات من الطائفية: ۵۹
الطائفية السياسية ۶۰
التمايز المذهبى والتمييز الطائفى ۶۱
شيعة العراق والوحدة الوطنية ۶۱
الفصل الرابع من أرشيف الطائفية ۶۲
الفصل الرابع من أرشيف الطائفية ۶۲
آلاف القضايا الطائفية ۶۲
مسلسل المعاناة فى العهدين الأموى والعباسى ۶۲
نهاية الحكم الأموى ۶۳
الدولة العثمانية والضغط الطائفى ۶۳
نظرة إلى واقع العراق المعاصر ۶۴
الحق المذهبى مشروع ومتفق عليه ۶۴
صور من الطائفية فى العراق ۶۵
۱: البرلمانات المزورة ۶۵
۲: نواب مزورون ۶۶
۳: ديمقراطية على الطريقة الطائفية ۶۶
۴: طائفية الوزارات ۶۷
۵: الملک فيصل والأكثرية المضطهدة ۶۹
۶: نسبة المقاعد الوزارية فى عهد الملک فيصل ۷۰

۷: عبد المحسن السعدون ومرسوم الجلد وقمع المظاهرات ---- ۷۱
۸: إبقاء الشعب فی ظلام الجهل ---- ۷۱
۹: الطائفیون والتراث التلید ---- ۷۳
۱۰: تمثال السعدون ---- ۷۴
۱۱: مدرسة الإمام الصادق علیه السلام ---- ۷۴
۱۲: مسجد المتقین ---- ۷۴
۱۳: مؤلف کتاب لیالی بیشاور ---- ۷۵
۱۴: محاربة الزوار ---- ۷۵
۱۵: إبادة ملایین النخیل ---- ۷۵
۱۶: تشرید حوالی نصف ملیون!! ---- ۷۵
۱۷: النهب الفظیع لثروات الجنوب العراقی!! ---- ۷۶
۱۸: وحولوا الجنان إلی صحاری قاحلة ---- ۷۶
۱۹: ضرائب علی زیارة العتبات المقدسة ---- ۷۶
۲۰: القتل والإبادة المفرطة ---- ۷۷
۲۱: العهد العارفی: المراکز العلیا للطائفیین فقط!! ---- ۷۷
۲۲: البهتان الطائفی ---- ۷۸
۲۳: طائفیة شاملة لکل المجالات ---- ۷۸
۲۴: المرکب العنصری.. الطائفیة الإقلیمیة ---- ۷۸
۲۵: ملاحظة إقلیمیة! ---- ۸۱
۲۶: طائفیة البکر ---- ۸۱
۲۷: التفتیش الطائفی فی القوات المسلحة ---- ۸۱
۲۸: الحقد الطائفی علی الأهوار ---- ۸۱
۲۹: التحکم حتی بمیاه الشرب ---- ۸۲
۳۰: سیاسة الإرواء الطائفیة ---- ۸۲

۳۱: مصادرات لأوقاف الشیعة ۸۲
۳۲: محنة کلیة الفقه فی النجف الأشرف ۸۳
۳۳: الطائفیة تجهز علی جامعة الکوفة ۸۳
۳۴: نهب عوائد الزیارات الدینیة ۸۴
۳۵: مصادرة حقوق الإنسان ومعاقبة قادة التحریر ۸۴
۳۶: الشیعة وقود المعارضة وضحایا السلطة ۸۵
۳۷: نموذج طائفی فی ظل الدیمقراطیة ۸۵
۳۸: الطائفیة الدمویة ۸۶
۳۹: إضطهاد الأکراد الفیلیین ۸۶
۴۰: قرارات الترحیل القسری: ۸۷
الفصل الخامس لکل سؤال جواب ۸۸
الفصل الخامس لکل سؤال جواب ۸۸
لو فقد المرشح الکفوء ۸۸
الحکم الشرعی فی انتخاب مرشح الأقلیة ۸۸
فی مواجهة الإرهاب ۸۹
دعم القوی الخارجیة للأقلیة ۸۹
مرشح الأقلیة الأکفأ ۹۰
انتخاب مرشح الأقلیة ۹۰
التصدع الداخلی ۹۰
ارتکاب الخطأ ۹۱
ادعاء غیر مبرهن ۹۱
صعود مرشح الأقلیة ۹۱
تیار الملکیة ۹۲
المرشح غیر الملتزم ۹۲

الحجة الشرعية ----- ۹۲
تداخل المعايير ----- ۹۲
حقوق الأقلية دستورياً ----- ۹۳
ما هو المعيار؟ ----- ۹۴
الأكثرية المبعثرة ----- ۹۴
الأقلية الموحدة في الانتخابات ----- ۹۴
بين مرشح الأقلية والأكثرية ----- ۹۵
الأقلية المدعومة أجنبياً ----- ۹۵
لا إثارة في نظام الأكثرية ----- ۹۵
المرجعية الدينية ----- ۹۵
شورى الفقهاء لنيل الحقوق ----- ۹۶
كلكم راع ----- ۹۶
التوافقية ----- ۹۶
المحاصصة العادلة ----- ۹۷
تكون الأكثرية والأقلية ----- ۹۷
الضوابط الديمقراطية أولاً ----- ۹۸
مع مرشح الأقلية بعد انتخابه ----- ۹۹
تهمة الطائفية ----- ۹۹
التحالفات الدولية ----- ۹۹
ضمان حقوق الأقليات ----- ۱۰۰
إعطاء كل ذي حق حقه ----- ۱۰۰
من الذي يرفض العدالة؟ ----- ۱۰۱
الفصل السادس تحكيم الأكثرية استجابة لمنطق العقل والشرع والديمقراطية ----- ۱۰۱
الفصل السادس تحكيم الأكثرية استجابة لمنطق العقل والشرع والديمقراطية ----- ۱۰۱

و أمرهم شورى بينهم ----- ۱۰۲
مبدأ الأكثرية اضطرارى وعقلائى ----- ۱۰۲
رسول الله صلى الله عليه و اله ومبدأ الأكثرية ----- ۱۰۲
هل الأكثرية حجة شرعية؟؟ ----- ۱۰۳
مبدأ الأكثرية ليس مصادرة لحق الأقلية؟ ----- ۱۰۴
الأقلية الكفوءة ----- ۱۰۴
الفصل السابع أين العلاج؟ ----- ۱۰۵
الفصل السابع أين العلاج؟ ----- ۱۰۵
لابد من الصراحة ----- ۱۰۵
كيف نواجه الطائفية ----- ۱۰۵
من يتخذ القرار لبناء مستقبلنا؟ ----- ۱۰۶
الحكومة المستقبلية ----- ۱۰۶
مع الأمل وبعيداً عن اليأس ----- ۱۰۷
صورة الحكومة الإسلامية ----- ۱۰۷
الشعور بالمسؤولية ----- ۱۰۷
أزمتان أساسيتان ----- ۱۰۸
وأخيراً.. ما هو العلاج؟ ----- ۱۰۸
ماذا تريد الأغلبية الشيعية؟ ----- ۱۱۰
إلغاء الديكتاتورية وإقامة النظام الديمقراطى (النيابى الدستورى): ----- ۱۱۱
تبنى النظام اللامركزى ----- ۱۱۱
الحقوق السياسية ----- ۱۱۱
الحقوق المدنية ----- ۱۱۲
الملاحق ----- ۱۱۳
۱ وثيقة حول الإدارة الطائفية لمدن الشيعة ----- ۱۱۳

۶ من ملاحق (إعلان شيعة العراق) ---- ۱۱۴
۷ من ضحايا الطائفية السياسية ---- ۱۱۴
۸ المرجع الدينى سماحة السيد كاظم الحائرى ---- ۱۱۵
۹ نبذة من كلمة سماحة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ---- ۱۱۵
۱۰ آية الله السيد مرتضى العسكرى عميد كلية أصول الدين ---- ۱۱۶
۱۱ سماحة الشيخ محمد باقر الناصرى: ---- ۱۱۷
۱۲ سماحة السيد محمد بحر العلوم: ---- ۱۱۷
۱۳ الإمام الحكيم رحمة الله عليه: حى على الجهاد ---- ۱۱۸
۱۴ مرجعية النجف الأشرف وسماحة السيد السيستانى رحمة الله عليه ---- ۱۱۹
۱۵ الإمام الشيرازى رحمة الله عليه: إصرار متواصل لحق الأكثرية ---- ۱۲۰
۱۶ مع المرجع الشيرازى رحمة الله عليه: ---- ۱۲۲
مسک الختام ---- ۱۲۴
الحاشية ---- ۱۲۴
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۱۳۴

محنة الأكثرية فى العراق

اشارة

صفحات من ملف الطائفية السياسية

ناصر حسين ناصر

الطبعة الأولى

۱۴۲۶ ه ۲۰۰۵م

منشورات

دار المصطفى للطباعة والنشر

بيروت لبنان

محنة الأكثرية فى العراق

صفحات من ملف الطائفية السياسية

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تميز العراق عن غيره من البلدان بميزات جعلته فريداً بين بلدان العالم اليوم، فقد حباه الله تعالى بموقع جغرافى فريد فى قلب العالم تقريباً، فهو يصل الشرق بالغرب ويربط بين ثلاث من قارات العالم: آسيا وأفريقيا وأوروبا. كما يحتل مركز القلب من العالم الإسلامى، بالإضافة إلى تمتعه بالأراضى الخصبة التى يخترقها نهرا دجلة والفرات، وأما من الناحية الاقتصادية فإن العراق يختزن فى أراضيه ثروة معدنية هائلة من النفط والكبريت والغاز الطبيعى والفحم الحجرى وغيرها.

ولقد سكن العراق شعب تنوعت أعراقه وقومياته وأديانه ومذاهبه، فترى فيه العربى والكردى والفارسى والتركى والهندى والشركسى وغيرهم، كما ترى فيه المسلم والمسيحى واليهودى والصابئى واليزيدى وغيرهم، وهذا من عوامل القوة لا الضعف حيث ترى أناسا تختلف أجناسهم وقومياتهم وأديانهم يعيشون فى بلد واحد متحابين متآخين دون أن تحدث بينهم مشاكل تعكر عليهم صفو الحياة.

ولهذا فقد كان العراق مهداً لأقدم الحضارات فى العالم، وأكثرها تطوراً ونتاجاً على طول التاريخ، كما كان العراق مهبط الأنبياء عليهم السلام ومستقر الأئمة والأولياء ومرقد الأئمة المعصومين الأطهار عليهم السلام ومركزاً تنتشر فيه مختلف المقدسات الدينية لمختلف الأديان والطوائف.

لكن مما يؤسف له أن العراق كان ولا يزال مسرحاً دائماً للحروب والقتال

لا ـ بين أهله، وإنما كانت الدول العظمى تجعل من العراق ساحة لحل مشاكلها فيما بينها، فتشعل الحرب وتجرى فصولها فى العراق، فيكون العراق وأهله مادة هذه الحرب. فما كان يدور بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية من معارك وحروب، خير دليل ساطع على ذلك.

كما توالت على حكم العراق أنظمة جائرة أقامت سياستها على الكبت والإرهاب والقمع والبطش والتشريد والتفرقة والطائفية وغيرها، حيث طبعت حياة العراق والعراقيين بالدم والقتل مما كدرت عليهم صفو عيشهم، وأصبح الفرد العراقى يوسم بالعنف والإرهاب من قبل بقية الشعوب.

وكان أشد الأنظمة شراسة وطغيانا هو نظام العفالقة المقبور، فمنذ نزوهم على سدة الحكم عبر الانقلاب العسكرى المشؤوم فى ۱۷

تموز ۱۹۶۸م الـذى أحكمت خطته وصـاغت فصوله دوائر المخابرات الغربيـة ساد العراق جو مفعم بالإرهاب والكبت وتغيرت صورته التى كان يشع منها الإيمان والعلم ودماثة الخلق.

ومـا أن قـام كيـان العراق الحـديث بعـدما أنفصـل عن الدولـة العثمانيـة فى أعقـاب الحرب العالميـة الأـولى إلا ووقع فى مطب الحكم البريطانى المباشـر وغير المباشـر، فى ظل ملكية اسـتبدادية وطائفية، ثم جمهورية الأقلية المسـتبدة، حتى ظهرت ملامح سـياسة رسـمت أبعاداً مأساوية فى تاريخه، وهذه الملامح هى التى توضح حقيقة الأزمة والأسباب التى أدت إليها.

فلقد قامت سياسة الأقلية على ما يلى:

۱: قمع الأكثرية الشيعية وحرمانها من حقوقها ومصالحها.

۲: محاربة معتقدات الأكثرية ومنعها من ممارسة طقوسها الدينية وحقوقها الإنسانية.

۳: قتـل الرجـال والنسـاء والأطفال دون وازع من ضـمير، والمقابر الجماعيـة التى تم كشـفها بعـد زوال النظام المقبور أكبر شاهـد على ذلك.

۴: مطاردة العلماء وقتلهم وتشـريدهم ونفيهم عن الوطن، مع أنهم هم الـذين حرروا العراق من سـيطرة الأعداء وطردوا الأجنبى المحتل من البلاد، وذلك فى ثورة العشرين الخالدة بقيادة الميرزا محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه.

۵: ممارسة سياسة التجهيل فى صفوف الأكثرية بحرمان أبنائها من مواصلة تعليمهم.

۶: حرمان الأكثرية من تسنم المناصب فى الدولة والجيش.

۷: القيام بحروب مفتعلة مع دول الجوار وزج أبناء الأكثرية فى محرقتها إرضاءًا لنزوات الحكام وتحقيقاً لمصالح المستعمرين.

فيلزم على العراقيين جميعاً المساهمـة فى بناء الحكومة المسـتقبلية على أسـس العدالة والإنسانية والمساواة، عن طريق الانتخابات الحرة النزيهة.

فلقد ولى العهد الذى تتحكم فيه الطائفية لتصادر حقوق الأكثرية وتتجاهل وجودها. فلم يعد هذا الأمر مقبولاً مطلقا.

كمـا ينبغى على العراقيين أن يعـوا خطـورة وقـوع الحكومـة بيـد مجموعـة من الأشـخاص بلاـ انتخابـات أو تصويت أو شورى، فتتكرر المأساة السابقة بشكل جديد مع فارق تغيير العناوين والأسماء.

وهـذا الكتاب الـذى بين يديك خطوة توعوية فى طريق رفع الظلم والحيف الذى لحق بالأكثرية من هذا الشـعب لسـنين متمادية نتيجة تعسف الأنظمة الجائرة التى توالت على العراق ضاربة بكل الأعراف والقيم الإنسانية والإسلامية عرض الجدار.

الناشر

الإهداء

إلى الغيارى الشرفاء من هذا الوطن..

إلى أصحاب الضمائر الحرة والواعية التى يؤرقها مصير هذا الشعب النبيل..

إلى كل عراقى جعل الحق والإنسانية ومصير الدين والأمة نصب عينيه..

وإلى كل الأحرار الذين خضبوا تربة بلد المقدسات بدمائهم القانية..

أقدم هذا المجهود المتواضع.

المقدمة

بسم الله الحمن الرحيم

الحمد لله بجميع محامده كلها، على جميع نعمه كلها، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه و اله وعلى آله الأطهار، المصطفيين الأبرار، وعلى المنتجبين من أصحابه الأخيار.

وبعد: إن العراق سنام العروبة، ومفخرة الإسلام بما يضم من مقدسات، وتاريخ، وحضارة، وموقعية استراتيجية.

وكان هذا الوطن الغالى الجريح يئن تحت وطأة أنظمة قاسية لا تعرف للرحمة والإنسانية معنى، ولا يزال إلى اليوم يرزح تحت آثار الطغيان والأمراض الخبيثة التى جذرتها الحكومات البائدة فى قلب الكيان السياسى العراقى.

كان فى مقدمتها داء الطائفية السياسية العضال، الذى أغرق العراق فى أوحال المحن، والعنصرية، والظلم، والتشنجات، وحمامات الدم، والفقر، ومختلف أنواع التخلف.

عزيزى القارئ: نحن فى كتابة وإعداد الكتاب الماثل بين يديك اعتمدنا نهجاً قام على ما يلى:

۱: الحق الإنسانى هو الملاك الشرعى والقانونى للجميع، فالأقليات والأكثرية يتساوون فى هذا الحق.. وقد تكون أكثرية اليوم أقلية بعد عقود من الزمان، وأقلية العهود البائدة أكثرية اليوم، المهم أن الحق الإنسانى لكل مواطن هو الملاك المعتمد..

وهذا ما تؤكده النصوص الأخلاقية الإسلامية مثل: المسلم أخو المسلم أحب أم كره و إنما المؤمنون إخوة و المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً فسواء كان المسلم من هذا المذهب أم من ذاك، يلزم أن ينال كامل حقوقه ضمن دائرة (الأكثرية) أو دائرة (الأقلية).

۲: العلاقات بين الأكثرية والأقلية تحكمها قاعدة (الإنصاف) و(الاحترام المتبادل) و(الحوار العلمى) و(مصلحة الدين والأمة والوطن).

فنحن فى الوقت الذى ننادى بإنصاف الأكثرية المضطهدة تاريخياً فى العراق، نثور للأقلية الكردية، أو السنية العربية فيما لو تعرضت لأى نوع من الاضطهاد ومصادرة الحقوق.. ونحن مع (المظلوم) من أية جهة كان ومن أى بلد حتى لو لم يكن مسلماً، وفتاوى ومواقف فقهائنا العظام فى مساندة ثوار ليبيا، والعثمانيين حين اعتدى عليهم البريطانيون والقضية الفلسطينية، وغيرها شواهد على ما نقول.. فتاريخنا يزخر بالبطولات والمواقف الوطنية والإسلامية المشرقة.. فلا نرضى أن يضطهد أى إنسان من أى مذهب إسلامى، أو ديانة غير إسلامية، قال أمير المؤمنين على عليه السلام: الناس صنفان: إما أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق، وقال صلى الله عليه و اله: من آذى ذمياً فقد آذانى!.

۳: إن المسؤولية تأخذ بأعناق الجميع، فالكل مسئول، والعراق الجديد لاتقوم له قائمة لو لم يستأصل جذور الطائفية السياسية، وأن مستقبل هذا الشعب والوطن لا ـ يكون أفضل من ذى قبل إن لم يُتحرر من التمييز الطائفى والعرقى، فالكل مسئول: علماء، أساتذة، سياسيون، حاكمون، محكومون، سنة، شيعة، وغيرهم..

وإن من أهم الأسباب التى أودت بالعراق هى: الطائفية السياسية المتجذرة فى أرض وأوصال هذا الوطن..

۴: إن الديمقراطية، والتعددية، والفيدرالية، والحريات، وما شابه ذلك لاتعالج برأينا أزمة الطائفية السياسية لعمق جذورها واستحكامها، وأن الذى يعالجها هو ما ذكر فى طى هذا الكتاب من الاعتراف الصريح والجرىء بهذا الداء العضال، والاتفاق بين كل الجهات على حله، وقد ذكرنا مقترحاتنا فى هذا المجال..

ونحن فى الوقت الذى نثمن جهود كل المخلصين، والمجاهدين للحق والعدالة وفى كل العراق نؤكد أننا كتبنا ما كتبناه ضمن دائرة الأمة الواحدة، والوطن الواحد، والهم المشترك، والنظر إلى الجميع نظرة الأخوة والاحترام، فلا يُحملن أحد كلمة من كلماتنا على محمل التنقيص والعياذ بالله للرأى الآخر أو الطرف الآخر، أو تجريح عواطفه، وبخس حقه، ونحن نربأ بأنفسنا من ذلك وأعلى من هذا المستوى.

وكل ما ورد فى هذا الكتاب من إشكالات ومآخذ إنما تخص الحكومات الطائفية حصراً لا أبناء الأقليات الملتزمة بمبادئها.

وربما اعتمدت مع تصرف على كتابات بعض المحققين فى الموارد التى رأيت الآخرين قد أشبعوا البحث دون تأسيس جديد، بل

أكدت ما أسسوه مع تشذيب وإضافة.

وإن من وجد ملاحظة علمية على ما ورد فيه يُشكر إن أوصلها إلينا؛ لنتداركها فى المستقبل وأحب أخوانى من أهدى إلىَّ عيوبى.

والله الموفق، وهو من وراء القصد.

المؤلف

الفصل الأول

الفصل الأول

تمهيد

التشيع فى مرحلة التأسيس:

بما أن هذه البحوث تتمحور حول الأكثرية الشيعية فى العراق، ارتأينا إيراد هذا التمهيد حول تأسيس التشيع تاريخياً لضرورة معرفة هذه الحقيقة لمن يبحث عنها.. فالسؤال المطروح:

من أين نبع التشيع

يزعم البعض بأن أصل التشيع نبع من بلاد فارس، قال بذلك بعض المتعصبين وبعض مستشرقى المسيحيين، أمثال المستشرق بروكلمان فى كتابه (تاريخ الشعوب)، والمستشرق دوزى عن تاريخ المذاهب الإسلامية، وهذا القول يخالف الواقع، كما إن التاريخ يفنده()، إذ لا دليل يدل على قولهم، بل ورد عن رسول الله صلى الله عليه و اله فى الحديث المروى عند الفريقين: يا على، أنت وشيعتك الفائزون. فكان أتباع الإمام على عليه السلام يعرفون بهذا الاسم منذ أيام رسول الله صلى الله عليه و اله، والرسول صلى الله عليه و اله هو أول من أطلق عليهم هذا الاسم. ولكن بعض المتعصبين زعم بأن التشيع نشأ من موالاة بعض الفرس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى حروبه عليه السلام زمن خلافته().

وكان مما يساعد هذه الأقوال تلك الأوضاع السياسية الظالمة، وأولئك الملوك والحكام غير الشرعيين ممن سعوا لإبعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام.

وهناك أدلة وروايات عديدة وردت عن النبى صلى الله عليه و اله تصرح بلفظ الشيعة، مما يدل على كون لفظ (الشيعة) من الألفاظ القديمة التى استعملها النبى الأكرم صلى الله عليه و اله فيمن يتبع أمير المؤمنين عليه السلام.

فعن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و اله عن قول الله عز وجل:

?وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ()؟ ?فقال: قال لى جبرئيل عليه السلام: ذلك على وشيعته هم السابقون إلى الجنة، المقربون من الله بكرامته لهم ().

وعن أبى حمزة الثمالى، عن على بن الحسين عليه السلام قال: قال سلمان الفارسى: ? كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه و اله إذ أقبل على بن أبى طالب عليه السلام فقال صلى الله عليه و اله له: ألا أبشرك يا على؟ قال: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه و اله: هذا حبيبى جبرئيل يخبرنى عن الله جل جلاله أنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال (). ... الحديث. إذن تسمية أنصار وأتباع الإمام أمير المؤمنين ? وأهل بيته عليهم السلام بالشيعة وردت عن رسول الله صلى الله عليه و اله قبل تصدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة والقيادة. والنصوص كثيرة ومتواترة فى ذلك، وقد نقلها أبناء العامة أيضاً.

وهذه الروايات تبطل جميع الادعاءات القائلة بخلاف ذلك.

فمهما حاول البعض من مزورى الحقائق التاريخيـة إرجاع الشيعة إلى فئة أو جهة أخرى فالحقيقة تبقى كما هى، فهى المدرسة السائرة على درب الإسـلام ونور القرآن والتعاليم المحمدية السمحاء، ولا يستطيع أحد إخفاء وستر هذه الحقيقة الواضحة إلا إذا استطاع إخفاء ضوء الشمس فى الضحى.

إن المتفحص لأقوال الرسول الأعظم صـلى الله عليه و اله الباحث عن الحقيقـة يجـد أن التشـيع هو الإسـلام الكامل الـذى أمر به الله عز وجل، حيث أكمل سبحانه وتعالى دينه بولاية الإمام على بن أبى طالب عليه السلام حين أنزل الآية المباركة:

?الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ

دِيناً()، ?وذلك فى حجـة الوداع عنـد غدير خم بعد ما نصب الرسول صـلى الله عليه و اله بأمر من الله، على بن أبى طالب عليه السـلام خليفة من بعده().

نعم، ولد التشيع فى اليوم الأول لهتاف الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله فى شعاب مكة وجبالها: لا إله إلا الله، فإن هذه الكلمة تعنى الإسلام الكامل، وهو مشروط بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والنصوص كثيرة فى هذا المعنى.

فالتشيع تأسس فى زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله، وأطلق الرسول صلى الله عليه و اله هذا الاسم على أتباع أمير المؤمنين عليه السلام فى حياته الشريفة.

العراق يعتنق التشيع

إن مما لا شك فيه هو أن العراق كان يعرف تاريخياً بأنه منتم إلى التشيع.

وقـد دخـل أمير المؤمنين علىً عليه السـلام البصـرة بعـد حرب الجمـل، وأقـام فيهـا حوالى أربعـة أشـهر، فلمست فى شخصـيته الواقعية والإخلاص العميق وهو عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه و اله، وقال صلى الله عليه و اله فيه: أعلمكم على، أقضاكم على ()، ووجـدوا أنه رمزً للتقى والإخلاـص، وألقى عليهم الكثير من المواعظ التربويـة، ثم حين أراد الرحيل عنها قال: دخلت بلادكم بأشـمالى هـذه، ورحلتى وراحلتىها هى، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإننى من الخائنين ()، فتحولت البصـرة إلى علوية، وأسـست فيها مساجـد وجوامع عديـدة، قال ابن بطوطة فى كتابه (رحلة ابن بطوطة): إن فيها أحد عشـر جامعاً سـمى باسم جامع الإمام على عليه السلام.

فالعراق تحول إلى التشيع منذ ذلك العهد، قال أحمد أمين فى كتابه ضـحى الإسلام: ج۳ ص۲۷۸ الطبعـة الثالثة ما نصه: بعد قتل على عليه السلام ظل العراق وخاصة الكوفة شيعى النزعة.

وأما انتشار التشيع فى العراق فيعود إلى ما قبل الخلافة الظاهرية للإمام أمير المؤمنين عليه السـلام بسـنوات عديدة، كان منها زمن عمر بن الخطاب، حيث انتشـر التشيع بصورة واضـحة فى هذه الفترة، وذلك عندما رجعت جيوش المسلمين إلى بلدانها، وسكن الكثير من هـذه الجيوش فى الكوفـة والبصـرة، وقـد أتـاح ذلـك الفرصـة لهم فى التعرف على أمير المؤمنين عليه السـلام ومعرفـة فضـله عنـد الله عزوجل وعند نبيه الكريم صلى الله عليه و اله، فهناك أخذوا فى إرساء قواعد التشيع فى العراق وخصوصاً فى ولاية عمار بن ياسر على الكوفة، وسلمان الفارسى على المدائن.

ولكن كان الأمر المهم والأساسـى فى انتشار التشـيع هو ما حدث فى زمن خلافة الإمام عليه السـلام وتوليه عليه السلام أمور المسلمين حين اتخذ الكوفة عاصمة له، وهذا ساعد كثيراً على انتشار التشيع فى الكوفة، وسائر أنحاء العراق.

وخصوصاً بعد إقامته عليه السلام فى البصرة أربعة أشهر وتعرف أهل البصرة على حقيقة شخصيته وعدالة قضيته.

ولقد مر التشـيع بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بفترات مختلفة من حيث الصعوبة والسهولة، فتارة كانت عصيبة جداً على جميع المنتمين إليه، وتارة كانت هذه الحدة خفيفة، حيث كان بعض الحكام لا يظهرون عداءاً شديداً لأهل البيت عليهم السـلام بسبب

ضعفهم أو وعى الجماهير وكان أحسن فترات التشيع هو عند استلام بعض الشيعة مقاليد الأمور فى العراق حيث توفرت الحريات الواسعة لهم ورفعت الضغوط عنهم. فنستطيع أن نقسم الفترات التى مرت على الشيعة فى العراق إلى ثلاث فترات:

أولاً: الفترة الصعبة، وهى التى كان الأمويون والعباسيون حكامها.

ثانياً: الفترة الهادئة، حيث كانت معاملة الحكام لينة مع الشيعة للضعف الذى اعترى الحكام، وإلا فكانوا يعاملون بنفس المعاملة القاسية التى عاملهم بها من سبقهم من الحكام.

وتبلورت هذه الفترة فى ثلاثة أدوار:

١: مرحلة انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين، حيث أتيحت الفرصة للإمام الصادق عليه السلام فى العمل الإسلامى، وتأسيس الجامعة العلمية، ونشر معارف رسول الله صلى الله عليه و اله وأهل البيت عليهم السلام، وحيث كان عليه السلام يجلس على المنبر للتدريس فى جامع الكوفة، وأربعة آلاف طالب علم تحت منبره.

٢: عهد (المأمون) حيث نصب الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد.

٣: عهد (المنتصر لدين الله).

ثالثاً: الفترة السهلة الكاملة، حيث انطلاق حركة التشيع، إذ لم توجد ضغوطات على أتباع أهل البيت عليهم السلام، وفيها كانت مقاليد الحكم بيد الشيعة، كما فى عهد البوهيين مثلا.

التأسيس والانتشار فى بغداد:

قلنا بأن التشيع انتشر فى العراق، وكان مركزه الكوفة، ولكن عندما تسلم الحكم، المنصور الدوانيقى وهو الحاكم العباسى الثانى، نقل مركز الخلافة من الكوفة إلى الهاشمية()، ومن ثم إلى بغداد. وقد صاحب هذا الانتقال انتقال الكثير من الشيعة إلى بغداد، وكان بعضهم يعمل فى حكومة المنصور متخفياً، ويبدأ بالعمل الجاد لنشر التشيع()، وقد شجعهم على ذلك وجود الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى بغداد فى ذلك الحين، ولذا أخذ التشيع ينتشر فى بغداد انتشاراً واسعاً، وخصوصاً فى منطقة الكرخ، رغم الشدة والمضايقات التى استخدمها المنصور مع الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وجميع أتباع أهل البيت عليهم السلام.

المد والجزر

ومن الثابت أن أى فكرة أو عقيدة عندما ترتدى حلة الوجود، وتظهر على سطح المجتمع، عادة يبرز معها تياران: تيار مساند وتيار مضاد، ومن عوامل تقدم أو تقهقر هذه الفكرة أو العقيدة وجود هذين التيارين. فتارة تلاحظ أن مبدأً ينتشر انتشاراً واسعاً فى أوساط الناس، ومن العوامل المؤثرة فى ذلك قوة التيار المساند له، مع إضافة عوامل أخرى، وتارة يفشل المبدأ، ومن العوامل المؤثرة فى ذلك قوة التيار المضاد، مع إضافة عوامل أخرى().

ولم يخرج التشيع عن هذه القاعدة منذ نشأته الأولى فى زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله حيث كان التيار المساند والمساعد هو الحاكم، وذلك فى زمن حكم أمير المؤمنين عليه السلام، وفى عصر الحكومات الشيعية التى حكمت فى بعض مراحل التاريخ الإسلامى وهذا الأمر ساعد على انتشار التشيع وكثرة أنصاره وقوة سلطانهم، مما أدى إلى انتشار العمل الإسلامى الشيعى ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم، وذلك لما كان الشيعة يتمتعون بشىء من الحرية.

كما ظهر التيار المخالف حيث ما تسلمت زمام الحكم حكومات مناهضة ومعادية لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ففى هذه الحالة كان التشيع ينحسر، ويُقتَّل الكثير من أنصاره وأتباعه، ويُحد من انتشاره، وذلك لقوة التيار المضاد.

كذلك ظهر هذان على الشيعة فى العراق على وجه الخصوص، فحينما كانت تتسلم الحكم حكومات شيعية، أو حكومات لا تحمل

العداء لهذا المذهب الحق كان التشيع يتقدم وينتشر فى العراق، ويمتد سلطانه ويترسخ، خاصة وأن التشيع يحمل من الأحكام والآراء المنطقية القوية الموافقة للفطرة ما يفحم الخصوم بحيث يعجزون عن مواجهته. أما إذا كان العكس، كما إذا كان الحكم قد تسلّمه المعادون لأهل البيت عليهم السلام ومن شايعهم فينحسر الانتشار، وفى بعض الأحيان يتوقف. فخلاصة الكلام هو أن التشيع فى الأقاليم العراقية قد تراوح معدل انتشاره من حين إلى آخر، وكانت الأرجحية فى أكثر العصور للأكثرية المتمثلة بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

العراقيون يحملون لواء أهل البيت عليهم السلام فى العالم

وبعد الاستقواء فى العراق حمل العراقيون لواء الدعوة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام فى مختلف أقطار الأرض، ومن العراق انتشرت مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى كل مكان وعلى الخصوص فى إيران، حيث استطاع العلامة الحلى رحمة الله عليه من تحويل إيران إلى التشيع.

وفى العصر الحديث حيث هاجر الملايين من العراقيين من وطنهم واستقروا فى مختلف بقاع الأرض وانطلقوا فى تأسيس المراكز والمؤسسات، وإحياء المناسبات الإسلامية عبر المهرجانات والندوات، فعلى سبيل المثال: فى موسم رمضان المبارك ومحرم الحرام، ترى العراقيين المهاجرين يقيمون آلاف المجالس والمحافل القرآنية والثقافية فى العشرات من بلاد العالم، ففى سوريا على سبيل المثال هناك حوالى أربعة وأربعين مؤسسة، تفرعت عن الحوزة العلمية الزينبية التى أسسها الشهيد السيد حسن الشيرازى رحمة الله عليه، فهو ابن العراق.. وابن ثورة العشرين، وبذل دمه فى سبيل قضية العراق.. وكذا غيره من العلماء والمفكرين والأدباء و، ... فالعراقى يحمل رسالته إلى أية رقعة استوطن فيها...

فإن المؤسسات التى انطلقت من العراق والعراقيين كثيرة، وعلى سبيل المثال لا ـ الحصر: مؤسسة الإمام الخوئى رحمة الله عليه فى المملكة المتحدة، ومؤسسة الزهراء عليها السلام فى كندا، ومؤسسة الإمام الصادق عليه السلام فى الولايات المتحدة الأمريكية، ومؤسسة الإمام الشيرازى رحمة الله عليه العالمية فى أمريكا أيضا، وغيرها كثير.

العروبة المتجذرة

لقد كانت مبادئ التشيع مناهج وعقائد اعتنقها العراقيون قبل عهد أمير المؤمنين على عليه السلام، كما كانت العروبة قوميتهم ولغتهم التى ينتمون إليها ويعتزون بها منذ ذلك الحين، وهذه حقيقة تاريخية وواقعة لا غبار عليها ولا يشك فيها أحد.

يقول الأستاذ (حسن العلوى) وهو يحلل ويؤرخ لثورة العشرين الإسلامية التحررية العظيمة:

لم تكن العروبة شعاراً سياسياً عند الثوار يستهدف كسب الشارع إلى حركتهم، ولم تكن وسيلة لامتطاء ظهور السلطة، فى وقت كانت سلطة الاحتلال هدفاً لنيران الجيش العربى والقبائل العربية؛ وإنما كانت إحساساً فطرياً، وانتماءا لواقع تاريخى وجغرافى، وتعبيراً نزيهاً عن الانتساب للأمة.

لكنها رغم هذه الفطرية، فقد تحاشت الوقوع فى الفخ العربى الذى سقطت فيه الحركة القومية، أثناء صراعها ضد الدولة العثمانية على الرغم من تمسك فقهاء وزعماء الثورة العراقية بعلاقات طيبة مع قائد الثورة العربية المتحالفة مع الإنكليز، إن فرزاً كان قد استقر بين: عروبة تحالف الإنكليز فى الحجاز، وعروبة تحارب الإنكليز فى الفرات.

إن خطاب الفقهاء والزعماء كان عربياً خالصاً يختزله شعارهم الداعى لتأسيس (دولة عربية، والعمل من أجل الجامعة العربية أى الوحدة العربية). وعلى مستوى الاستعمالات الدارجة بين أوساط الثوار لم يكن الهدف القومى مصطنعاً، ولم يعرف زعماء الثورة هذه اللغة، فلم يكن عبد الواحد الحاج سكر موغلاً ـ فى الفكر القومى حين يطالب بفتح (المخابرات) أى الاتصالات مع الأقطار العربية

المجاورة؛ لتبادل الصحف والمطبوعات والزيارات، ولم يكن علوان الياسرى يتنطع بكلمة العرب وإنما ترسل على لسانه بعفوية، فهو لا يعرف اسما للشعب وللناس وللقبيلة التى تقاتل معه سوى اسم العرب حين يخاطب حاكم الشامية فى المفاوضات التى جرت بينهم يوم ۲۹ شوال ۱۳۳۸، وقد سجلها الشيخ محمد باقر الشبيبى فى مذكراته قائلاً: لقد جبلنا نحن العرب على العز، وأنتم مخطئون إذا كانت فى نيتكم إذلالنا. إن الاستبداد البريطانى سحق مقدسات العرب، إن العرب لا يوافقون بالاحتلال، وسيرى الإنكليز إن شاء الله عزة العرب وأنفتهم.

ولم يكن الشعراء الوطنيون وهم أتباع الفقهاء الناطقون باسم الثورة يعرفون المزايدة على العروبة حين تبدأ قصائدهم بمخاطبة بنى يعرب، فقد كانوا لا يفهمون اسماً للشعب وللقبائل الثائرة وللناس غير هذا، إن عرضاً سريعا لأبيات من قصائد هؤلاء الشعراء فى الثورة يكشف تلك العفوية التى يفهم بها الثوار عروبتهم.

يقول محمد حسن أبو المحاسن:

ومالى إلا مجد قومى غاية

ومالى إلا صالح القوم صالح

يقول أحمد الصافى النجفى:

أيها العرب للحفيظة هبوا

قد تداعت من مجدكم أركان

واجعلوها شعاركم فوق جرد

أيها العرب الطعان، الطعان!

يقول حسين كمال الدين:

محال على يعرب أن تنام

على الضيم من دون ما كافل

فما أمة بلغت عزها

ونالته باللاعب الهازل

يقول محمد مهدى البصير:

وغلى الدم العربى فىَّ فواجبى

تضميخ مجدى بالدم المهراق

يقول كاظم السودانى:

بنى العرب خلوا السلم قد بانت الحرب

وأنتم بها أولى وأجدر يا عرب

يقول عبد الكريم العلاف:

ونحن ملكنا الأرض من عهد يعرب

ونحن فرضنا الحق بين الملا فرضا

يقول الشيخ عبد الحسين الحويزى:

أيا أبناء يعرب لا تشقوا

عصى الإسلام بينكم انشقاقا

وقد مضت الإشارة إلى أن الفقيه العالم المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائرى قد صنف طرفى الصراع صنفين فى قصيدته التى كتبها فى السجن:

جحفل أعدائنا الإنكليز

وشعب بنى يعرب

وكان علوان الياسرى، وعبد الواحد سكر، وعبد المحسن أبو طبيخ، وشعلان أبو الجون، وسواهم يرددون البيت التالى:

ومن مات دون الحق والحق واضح

إذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

ولهذا البيت قصة طريفة، فقد أرسل علماء كربلاء الشاعر السيد محمد الباقر لإبلاغ زعماء الفرات الأوسط بتطور الأوضاع هناك. وإذا وصل الباقر إلى الشامية، وجد زعماءها يستعدون لجولة من المفاوضات مع الحاكم البريطانى هناك، ولم يكن الباقر مدعواً إلى تلك الجلسة. فتظاهر أمام تلميذه السيد عبد الحميد نجل السيد علوان الياسرى أنه يحسن اللغة الإنكليزية، ثم أنشد له نشيداً ادعى أنه مترجم عنها، فما أن انتهى من قراءة النشيد حتى رأى الشاب الياسرى يبكى، فعرض عليه أن فى إمكانه المشاركة فى تخليص بلاده من البريطانيين بأن يرجو أباه السيد علوان أن يحضر هو ومحمد الباقر مجلس الزعماء، فرضخ السيد علوان الياسرى لذلك واصطحب ابنه برفقة السيد الباقر إلى المجلس، وحيث التأم الحاضرون رقى السيد الباقر المنبر الذى كان منصوباً فى المضيف بدون سابقة ولا استئذان وابتدأ ينشد هذه القصيدة:

بنى يعرب لا تأمنوا للعدا مكراً

خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا

يريدون منكم بالوعود مكيدة

ويبغون إن حانت بكم فرصة غدرا

فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا

أضاليلهم فى الهند والكذب فى مصرا

إلى أن أكمل الشاعر قصيدته، وقد هيمن السكوت على الجميع بمن فيهم البريطانيون، وهنا استثارت حمية الحاضرين فخرج حاكم لواء الشامية من الاجتماع وتحالف زعماء الخزاعل للاشتراك فى الثورة التى اندلعت بعد يومين من هذه الحادثة.

الشيعة ليسوا طائفة فى العراق

وما دام الشيعة هم الأكثرية فلا يصح التعبير عنهم بالطائفة، ولا بتعيين مواقع السكن.. يقول الأستاذ حسن العلوى تحت عنوان: (جغرافية الشيعة) فى كتابه: (الشيعة والدولة القومية):

وليس للشيعة فى العراق تقاليد سكن خاصة، ولا مواقع سكن خاصة، لأنهم ليسوا طائفة على الرغم من أن المعلومات المبرمجة للتصدير خارج العراق، تتحدث عنهم كما تتحدث عن الأقليات الدينية ذات الطقوس والأعراف الغريبة.

لا يجوز الحديث عن الشيعة فى العراق كطائفة، وليس ادعى إلى الضرر والإساءة مثل وصفهم بالطائفة، إلا إذا جاز أن نسمى الأسبان فى أسبانيا الطائفة الكاثوليكية، والإنكليز فى بريطانيا الطائفة البروتستانتية، وإذا كان الباحثون والصحفيون يواجهون صعوبات فى الحصول على الإحصاءات السكانية وفقاً للتوزيع المذهبى والقومى فى العراق؛ لأن الدول تتعامل مع هذه الإحصاءات كأسرار ممتازة، فإن الجغرافية البشرية للعراق لا تخضع لهذا النوع من الأسرار، والشيعة فى العراق كما هم فى غيره لا يعيشون خارج دائرة التحضر، وهذه هى النقطة الوحيدة التى يمكن إدراجها فى جغرافيا الطوائف.

فلا نظن والكلام لا زال للأستاذ العلوى أن بين القبائل البدو الرحل قبيلة شيعية، فإذا تشيعت القبائل البدوية استقرت ومارست عملها الزراعى وما إليه من مهن.

والشيعة لا يوجدون إلا حيث يوجد الماء والزرع، ففى الخليج لم ينتشر التشيع إلا فى البحرين، وفى الجزيرة العربية كانت المناطق ذات الغلة الزراعية هى مناطق شيعية: كالقطيف والطائف والإحساء، وفى اليمن استقر الشيعة فى الشمال، بينما يخلو الجنوب المقفر من القبائل الشيعية.

هذه الرؤية قد لا تكون إحدى الحقائق العلمية النهائية، لكنها جديرة بالمتابعة والبحث، وأن القبائل العربية التى اتجهت إلى الكوفة واستقرت هناك كانت أولى القبائل الشيعية، ثم انتشر نطاق الشيعة رويداً رويداً، حتى أقصى نقطة فى الفاو جنوباً، وحيث تمتد الصحراء وراء البر من جهة الفاو يتوقف انتشار الشيعة. أما القبائل السنية التى نزحت إلى العراق من مواطنها فى البادية الجنوبية فقد كانت بعد توطنها تعتنق المذهب الشيعى.

ذكر مؤرخو تلك الفترة معظم القبائل المعروفة التى اعتنقت التشيع آنذاك يستعملون لفظة ترفضت من الرافضة() ومنها الخزاعل منذ (۱۵۰) سنة، وزبيد منذ (۶۰) سنة، وكعب منذ (۱۰۰) سنة، وربيعة منذ (۷۰) سنة.

أما القبائل الأخرى المعروفة أمثال: ألبو محمد، بنى عمير، الخزرج، شمر، طوجة، الدفافعة، بنى لام، آل أقرع، البدير، عفك، الجبور، والشليحات، فإنها اعتنقت المذهب الشيعى أيضاً، ولكن لا يعرف على وجه التدقيق كما يقول عبد الله النفيسى التاريخ الذى تم فيه اعتناقهم هذا المذهب.

وقد عزا المؤرخون فى القرن التاسع عشر هذه الظاهرة (اعتناق القبائل النازحة للمذهب الشيعى) إلى نشاط الدعاة والوعاظ الشيعة، الذين كانوا يغادرون الأماكن المقدسة مثل: النجف وكربلاء وسامراء للتبليغ والإرشاد بينهما.

يقول ابن سند البصرى عند كلامه عن قبيلة زبيد: إنها كانت أصلاً قبيلة سنية، غير أنها أصبحت قبيلة شيعية بفضل نشاط الدعاة الذين عملوا بين ظهرانيهم، ويقولون: إنه بعث بالتماس إلى الباب العالى فى اسطنبول يطلب فيه وضع حد لهذا النشاط التبليغى والإرشادى.

إننا نعتقد بوجود أسباب أخرى لتشيع القبائل العربية منها: موجة الهجرة التى لابد أن تكون قد حدثت بعد قرار السلطان سليم الأول إبادة جميع المنتسبين للمذهب الشيعى، المقيمين داخل الدولة العثمانية قبل احتلال البلاد العربية عام ۱۵۱۷ باتجاه القبائل العربية، حيث يفعل العرف العشائرى المسمى بالدخالة فعله فى إفساح المجال لقبول القادمين إلى العشائر من المدن أو العشائر الأخرى، بغض النظر عن هويتهم وأسباب لجوئهم إليها، وقد حدث مثل هذه الموجات كما نعتقد بعد مذابح السلطان، وهى المذابح التى كانت تتكرر بين فترة وأخرى.

لمحات عن الحكومات الموالية لأهل البيت عليهم السلام فى العراق

لمحات عن الحكومات الموالية لأهل البيت عليهم السلام فى العراق

فى فترات متفاوتة ومتباعدة من تاريخ هذا الوطن، تسنمت سلطات شيعية سدة الحكم على شكل ولايات تابعة للخلافة أو مستقلة، كولاية عمار بن ياسر فى الكوفة، وسلمان فى المدائن، والمختار الثقفى وغيرهم، فضلا عن حكومة أمير المؤمنين على عليه السلام التى لا زالت البشرية كلها تفتخر بمآثرها وعدالتها وإنسانيتها النموذجية..

وأثبتنا هنا لمحة سريعة عن الحكومات والرموز السياسية التى بذلت جهودا لا يستهان بها لخدمة هذا الوطن الغالى، وكانت تعتنق مبادئ أهل البيت عليهم السلام.

۱- الدولة البويهية

بزغ نجم آل بويه فى فارس() فى القرن الرابع الهجرى، حيث استولت الدولة البويهية بعد ذلك على مقاليد الحكم فى بغداد، وبما أن الدولة كانت دولة شيعية فقد أسست المدارس الدينية، ونشرت علوم أهل البيت عليهم السلام، وتم فيها تدريس أغلب العلوم الدينية، فدأب علماء الشيعة فى ذلك الوقت على نشر العلوم فى جميع بقاع العالم، وخصوصاً المناطق المجاورة لبغداد، مثل الحلة والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة، وغيرها من المناطق العراقية، وقد برز الكثير من العلماء الشيعة إبان ذلك العصر، مثل: الشيخ المفيد()، والشريفين: الرضى() والمرتضى()، والشيخ الطوسى.?()

وكانت حلقات الدرس تنتقل فيما بينهم، وبعد أيام البويهيين حدثت فتنة كبيرة فى بغداد، وانتقل على أثرها شيخ الطائفة الطوسى رحمة الله عليه بحوزته العلمية من بغداد إلى النجف الأشرف عام ۴۴۸ ه، إذ لم تعد بغداد ترضى بمقام المرجعية الدينية فيها، وكما لم تعد صالحة أيضاً لاحتضان الحوزة العلمية بين ظهرانيها، فأضحت النجف الأشرف بعدها عاصمة ومركزاً لعلوم أهل البيت عليهم السلام، ومقاماً ومستقراً لكبار علماء الشيعة ومراجعهم العظام (رضوان الله تعالى عليهم).

وهكذا انقلبت الأحوال من حال إلى حال، حتى مجيء هولاكو() وغزوه بغداد، وإحداثه الدمار الشديد فيها، إلا أن مذهب أهل البيت عليهم السلام بقى ثابتاً صامداً رغم تلك الهزاهز والابتلاءات العظيمة، بل كان سبباً لإسلام المغول، ومنعهم من الاستمرار فى التدمير، فحينما استتب الأمر لهولاكو، وفرض سيطرته على بغداد تنفس أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام الصعداء نتيجة لدخول بعض حكام المغول الإسلام ببركة جهود العلماء الكبار أمثال: الخواجة نصير الطوسى()، والعلامة()، وابنه ?()وغيرهم، وإعلان إتباعهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ومن هؤلاء الحكام: نيقولاوس بن أرغون وسمى بمحمد

خدا بندة()، وكذلك ابنه أبو سعيد بهادر خان، وبعضهم أسلم، ولكن لم يصرح بالتشيع، مثل غازان المسمى محمود() وهو أخو محمد خدا بندة، وبين من لم يطل عهده ليعلم حاله مثل: تكوادر بن هولاكو المسمى بأحمد.

۲- الدولة الجلائرية

جلائر: هى سلالة مغولية أنشأها (حسن بزرك) على أنقاض الإيلخانية، حكمت العراق من ۷۴۰ إلى ۸۱۳ ه عاصمتها بغداد، أشهر سلاطينها أويس وابنه أحمد، حكمت هذه الدولة العراق بعد رحيل المغول، وهى دولة شيعية بحتة، ولها بصمات واضحة فى نشر التشيع، وكان زعيم هذه الدولة (حسن الجلائرى) وهو من أمراء المغول وإن لم يكن مغولى الأصل، وقد استمر فى حكم العراق فترة من الزمن، وجاء بعده ولده وحكم العراق، وتعاقبت على حكم العراق مجموعة من أفراد هذه العائلة، وفى عام ۷۶۷ ه بنى أحد أولاد حسن الجلائرى الحرم الحسينى القائم اليوم.

۳- الدولة الصفوية ()

لقد سجل التاريخ لهذه الدولة خدمات جليلة فى انتشار مذهب أهل البيت عليهم السلام فى العراق وإيران وجميع المناطق المجاورة، وهى دولة علوية شيعية حكمت العراق عام ۹۱۰ ه، وأول من استولى على حكم العراق من الصفويين هو (الشاه إسماعيل الأول)، وقد دارت بينه وبين العثمانيين معارك ضارية، وذلك لطمع العثمانيين فى السيطرة على العراق، فانتصر العثمانيون على الدولة الصفوية عام ۹۴۱ ه أيام (الشاه طهماسب الأول)، ثم عاد الصفويون وحكموا العراق ثانية عام ۱۰۳۲ ه وكان ذلك على يد (الشاه عباس الأول)، ثم عاد العراق تحت السيطرة العثمانية فى عام ۱۰۴۵ ه، وحكم مراد خان الرابع العراق بعد الصلح الذى تم بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية، وشرط الصفويون على الدولة العثمانية بموجب هذا الصلح: أن تحكم الدولة العثمانية العراق دون التعرض للشيعة والعتبات المقدسة، ولكن بعدما استقر الحكم للدولة العثمانية نكثت عهدها، فحاربت التشيع فى جميع أرجاء العراق، وذلك بتحريض من بعض الحاقدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

۴- الدولة الحمدانية

توالت على إدارة الموصل إمارتان شيعيتان، إحداهما إمارة آل حمدان، وكان أميرهم أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان، والد سيف الدولة وناصر الدولة، واستمر أمراء هذه الإمارة فى إدارة الموصل إلى فترة طويلة حتى انقضت هذه الإمارة، وقتل آخر أمرائها (عدة الدولة غضنفر) فى عام ۳۶۹ ه، والحمدانيون: أسرة عربية، تولت الموصل والجزيرة فى زمن العباسيين ثم استقلوا فبسطوا سيادتهم على شمال سوريا ۳۱۷۳۹۴ ه، أسسها حمدان بن حمدون شيخ قبيلة تغلب فى ماردين ۸۹۲م، وسع حدود الإمارة ابنه عبد الله وحفيده سيف الدولة أمير حلب، انقرضت هذه الإمارة بموت سعيد الدولة بن سعد الدولة بن سيف الدولة.

۵ دولة آل المسيب

تلت الدولة الحمدانية حكومة شيعية ثانية، هى إمارة آل المسيب، التى استولت على الموصل فأقرهم بها (بهاء الدولة البويهى)، وقد كانوا من أمراء نصيبين، واستمرت إمارتهم إلى القرن الخامس الهجرى، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبى، ومن بعده سلالته حيث ضربوا هذه الإمارة، وشنوا عليها الغارات الكثيرة، ومن ثم أعقبهم بالعداء الطائفى السلطان العثمانى سليم الثانى، الذى أذاق أهل الموصل فى عهده أنواع البلايا والمصائب الطائفية.

وسار على نهجه السلطان مراد الرابع، فقضوا على هذه الإمارة، وظل كثير من أهل الموصل على مذهبهم، ولكن على تكتم شديد خوفاً من مطاردة وقتل السلطان لهم، واليوم يعرف البعض من الموصليين آباراً فى الموصل ملئت من قتلى الشيعة، وآخرين ردم عليهم البناء().

لقطات مشرقة عن رموز الحكم الشيعة فى العراق

أمير المؤمنين عليه السلام:

أولهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام سيد الشيعة وإمامها، وزير رسول الله صلى الله عليه و اله، فقد كان معنى الوزارة مستجمعاً فيه لأنها من المؤازرة وهى المعاونة، فإنه لم يزل مؤازراً له صلى الله عليه و اله من مبدأ رسالته إلى حين وفاته، أول من أسلم معه، وبات على فراشه ليلة الهجرة، وأدى أمانته، وحامى عنه ونصره فى جميع حروبه، وقضى دينه وأنجز عداته ووصاياه، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه و اله:

أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ()، وقال موسى عليه السلام?: وَاجْعَلْ لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى هَارُونَ أَخِى اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى()، ?وآخى رسول الله صلى الله عليه و اله بين نفسه وبين على عليه السلام لما آخى بين أصحابه شداً لأواصر هذه الوزارة، وقال: على منى بمنزلة رأسى من بدنى ()، منبهاً على هذه الوزارة، وفى ذلك يقول أبو تمام:

أخوه إذا عد الفخار وصهره

فما مثله أخ وما مثله صهر

وشد به أزر النبى محمد

كما شد من موسى بهارونه الأزر()

وقال الصفى الحلى:

أنت سر النبى والصهر وابن ال

عم والصنو والأخ المستجاد

لو رأى مثلك النبى لآخا

ه وإلا فأخطأ الانتقاد

عبد الله بن عباس

ومنهم عبد الله بن العباس أمير البصرة فى خلافة على عليه السلام، وإخوته عبيد الله، وقثم أميرا مكة واليمن فى خلافته، وفيهم يقول أبو فراس الحمدانى:

أينكر الحبر عبد الله نعمته

أبوكم أم عبيد الله أم قثم

وأول وزير لأول خليفة من بنى العباس أبو سلمة الخلال حفص بن سليمان الهمدانى الكوفى الملقب وزير آل محمد، كان وزير السفاح ثم لما علم أنه يدعو إلى آل على قتله غيلة، فقال فيه الشاعر:

إن الوزير وزير آل محمد

أودى فمن يشناك عاد وزيرا

عبد الله بن النجاشى

ومنهم: أبو بجير الأسدى البصرى عبد الله بن النجاشى، وكان من أعاظم الأمراء فى عهد المنصور، وخبره مذكور فى ترجمة المنقول عن تلخيص أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى، وكان شديد التصلب فى تشيعة (المائة الثانية).

محمد بن الأشعث

وزير الرشيد، له خبر فى القبض على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يدل على تشيعه (المائه الثانية).

على بن يقطين

من وزراء الرشيد، كان من خيار الشيعة (المائة الثانية).

يعقوب بن داوود

وزير المهدى العباسى، فى الفخرى: قال الصولى: كان يعقوب بن داوود يتشيع ۱۸۶ه.

أبو الفضل الاسكافى

جعفر بن محمود وزر للمعتز والمهتدى، فى الفخرى: كانوا ينسبونه إلى التشيع (المائة الثالثة).

طاهر بن الحسين الخزاعى

أمير خراسان فى عهد المأمون وفاتح بغداد، وهذا معنى قول دعبل الخزاعى:

أ و ما رأى بالأمس رأس محمد

أ يسومنى المأمون خطة عاجز

قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

إنى من القوم الذين أكفهم

فى نسمة السحر(): كان متشيعاً، ذكر أن الحسن بن سهل أراد أن يندبه لحرب أبى السرايا فرفعت إليه رقعة فيها:

وأفضل كيدك الرأى الرصين

قناع الشك يكشفه اليقين

بحبهم وطاعتهم يدين

أ تبعث طاهراً لقتال قوم

فرجع عن إرساله وأرسل هرثمة بن أعين ۲۰۷ ه.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وحفيده أبو أحمد، فى تاريخ بغداد() للخطيب: ولى بغداد وخراسان، وحدث عن أبى الصلت الهروى، وفى نسمة السحر(): كان جده متشيعاً كحفيده المذكور ۲۰۰ ه.

أبو الحسن على بن الفرات

تولى الوزارة للمقتدر ثلاث دفعات، فى الفخرى: لما جرت فتنة ابن المعتز ثم استظهر المقتدر عليه استوزر ابن الفرات، فسكن الفتنة ودبر الدولة فى يوم واحد، وأحضرت إليه رقاع لجماعة أرباب الدولة تتضمن ميلهم إلى ابن المعتز، فأمر بإحراقهم ولم ينظر فيها لئلا يتغير عليهم ويتغيروا عليه، وبنو الفرات كلهم شيعة. قتل ۳۱۳ ه.

وأبو الفضل جعفر بن الفرات وزر للمقتدر (المائة الرابعة).

وابنه أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزر للراضى (المائة الرابعة).

وبنو بويه ملوك العراق وفارس وكفاهم مفخرة عضد الدولة.

والوزير المهلبى الحسن بن هارون وزير معز الدولة بن بويه ۳۵۲ ه.

أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد

وزير ركن الدولة على بن الحسن ابن بويه والد عضد الدولة، قرأ على أحمد بن إسماعيل سمكة أحد علماء الشيعة كما فى فهرست الشيخ()، وقرأ عليه الصاحب بن عباد ۳۵۹ ه.

وابنه أبو الفتح، ولى الوزارة له بعد أبيه ثم قتل ۳۶۶ ه.

الصاحب إسماعيل بن عباد

كافى الكفاة، ولى الوزارة ثمانى عشرة سنة وشهراً لمؤيد الدولة وأخيه فخر الدولة ابنى ركن الدولة بن بويه، وقيل فيه:

موصلة الإسناد بالإسناد

ورث الوزارة كابراً عن كابر

رته وإسماعيل عن عباد

يروى عن العباس عباد وزا

أبو العلاء بن بطة

وزير عضد الدولة البويهى، عن الشيخ عبد الجليل الرازى: إنه كان شيعياً صحيح الاعتقاد، (أواخر المائة الرابعة).
وأحمد بن إبراهيم الضبى وزير فخر الدولة بن بويه ۳۹۹ ه.

أبو على الحسن بن أستاذ هرمز

عميد الجيوش، وزير بهاء الدولة الدليمى، صنف السيد مرتضى الانتصار بطلب منه ۴۰۹ ه.

الوزير المغربى

أبو القاسم الحسين بن على المعروف بالوزير المغربى، من ولد بلاس بن بهرام جور، ذكره النجاشى() فى مؤلفى الإمامية، قال ابن خلكان(): كان وزير العبيدى ثم كتب لمعتمد الدولة قراوش أمير بنى عقيل بالموصل، ثم وزر للملك شرف الدولة البويهى فى بغداد، ثم وزر لأحمد بن مروان سلطان ديار بكر حتى مات وحمل بوصية منه إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فدفن فيه ۴۱۸ ه.

أبو سعد أو سعيد منصور بن الحسين الآبى

صاحب نثر الدرر، فى معجم البلدان(): ولى أعمالاً جليلة، وصحب الصاحب بن عباد، ثم وزر لمجد الدولة رستم بن فخر الدولة بن ركن الدولة، وكان من جلة الوزراء ۴۲۲ ه.

الخواجة نظام الملك:

أبو على حسن بن على بن إسحق الطوسى، وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقى، قتل ۴۸۵ ه.

عميد الملك

أبو نصر الكندرى محمد بن منصور بن محمد وزير طغرلبك السلجوقى، عن تاريخ ابن كثير الشامى(): إنه نص على تشيعه.
وسعد الملك وزير السلطان محمد السلجوقى.
وتاج الملك أبو الغنائم القمى وزير السلطان ملكشاه السلجوقى.
وشرف الدين أبوطاهر بن سعد القمى وزر لملكشاه أيضاً.
وأبو نصر أحمد الكاتب الكاشى وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى.
وابنه فخر الدين طاهر، وزير السلطان ألب أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه.
وابنه معين الدين بن فخر الدين وزر لألب أرسلان أيضاً.
وآل جوين، منهم الصاحب الأعظم شمس الدين محمد الجوينى الملقب بصاحب الديوان، وزر للسلطان محمد خوارزم شاه وللسلطان جلال الدين.
والصاحب المعظم الأمير الرشيد بهاء الدين محمد بن صاحب الديوان، صنف الشيخ ميثم البحرانى شرح نهج البلاغة باسمه، وصنف الحسن بن على الطبرسى الكامل البهائى فى التاريخ باسمه.

وأخوه الصاحب شرف الدين هارون بن صاحب الديوان، قام مقام أخيه فى الوزارة.

وأبو الحسن بن محمد بن فطير الكاتب الوزير المشهور، عن ابن كثير الشامى فى تاريخه() أنه قال: كان وزير العراق، وكان ينسب إلى التشيع، وهذا كثير فى أهل تلك البلاد.

وأبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمدانى، وزر للمقتدى العباسى، وفى الفخرى: طلب جلال الدولة ملكشاه من المقتدى عزله، فعزله وفاته ۵۱۳ ه، الكامل ۴۸۸ ه.

وبنو حمدان: أمراء حلب والموصل والعواصم، منهم:

سيف الدولة على بن حمدان، وابنه سعد الدولة، وابن عمه أبو فراس الشاعر المعروف، وأخوه ناصر الدولة، وغيرهم.

وبنو مزيد: أمراء الحلة، منهم:

الأمير سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدى صاحب الحلة السيفية المنسوبة إليه، وابنه دبيس ۵۲۹ ه، وأخوه بدران بن صدقة.

وأنو شروان بن خالد بن محمد القاشانى وزير المسترشد العباسى، عن ابن كثير الشامى(): النص على تشيعه ۵۳۲ ه.

وأبو المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب، وزر للمستظهر العباسى، فى الفخرى: كان من علماء الوزراء وأفاضلهم وأخيارهم، وعن جامع التواريخ النص على تشيعه، وأنه لذلك لم يرض بوزارته محمد ملكشاه، فكتب إلى الخليفة: كيف يكون وزير خلفية الوقت رافضياً، وكرر الكتابة فعزل، فتوسل إلى السلطان محمد بن ملكشاه فاشترط أن لا يخرج عن مذهب أهل السنة والجماعة فى وزارته، وكتب إلى المستظهر، فأعاده (أوائل المائة السادسة).

ويحيى بن سعيد بن هبة الله الشيبانى البغدادى ۵۹۴ ه.

ومؤيد الدين محمد بن عبد الكريم القمى، فى الفخرى: وزر للناصر، ثم للظاهر، ثم للمستنصر، كان بصيراً بأمور الملك، خبيراً بأدوات الرياسة، جلداً على ممارسة الأمور الديوانية ۶۲۹ ه.

ومؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمى الأسدى وزير المستعصم آخر خلفاء بنى العباس.

والخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسى، من أعاظم علماء المعقول والمنقول وزير الدولة المغولية ۶۷۳ ه، الذى كافح المغول بحركة فكرية واسعة ضدهم وتمكن من النفوذ إلى أعماق حركتهم وتغيير منظومتهم الفكرية باعتناقهم الإسلام.

والأمير نعمة الله الحلى من العلماء، كان شريكاً فى الصدارة فى سلطنة الشاه طهماسب الصفوى ۹۴۰ ه.

من المدن المركزية الشيعية فى العراق

الكاظمية

أو بلد الكاظمين، ? بلد كبير كثير الخيرات، وهى التى كان يقال لها: مقابر قريش، وباب التبن، ولما دفن بها الإمامان موسى بن جعفر الكاظم، وحفيده محمد بن على الجواد ? صارت حضرتهما مزاراً، وسكن الناس فى جوارهما حتى صارت بلدة كبيرة، وجميع أهلها شيعة، وخرج منها كثير من أعاظم العلماء.

كربلاء المقدسة

مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، فيها مدفن السبط الشهيد ريحانة رسول الله صلى الله عليه و اله الحسين بن على عليه السلام، أهلها كلهم شيعة، وتضم حوزة علمية عظيمة تخرج منها آلاف العلماء والأدباء والمفكرين، أسسها حميد بن زياد النينوى الدهقان حوالى عام ۳۰۰ ه أو قبله، وتوفى عام ۳۱۰ه، كما ذكر فى (أعيان الشيعة) مادة دهقان.

كرخ بغداد

قال ياقوت فى معجم البلدان(): كانت الكرخ أولاً ـ فى وسط بغداد والمحال حولها، فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب، وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها، وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية.

الكوفة

وشهرتها تغنى عن وصفها، وهى معدن الشيعة ومحبى أهل البيت عليهم السلام، اشتهرت بذلك قديماً وحديثاً.

وتكلم رجل على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال له آخر: لو تكلمت بهذا فى الكوفة لأخذتك النعال من كل جانب، ولما ظهرت دولة بنى العباس بالكوفة بنى السفاح الهاشمية، ثم انتقل عنها المنصور لقربها من الكوفة؛ لكون هوى أهلها هوى أهل البيت عليهم السلام.

وفى معجم البلدان() عند ذكر خراسان: أن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لما أرسل دعاته نهاهم عن بلدان منها الكوفة، وقال: إن هناك شيعة على وولده، وأمرهم بقصد خراسان.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا ()، وفى نهج البلاغة() عند ذكر الكوفة: وإنى لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل.

قال قطب الدين محمد بن الحسين الكيدرى فى شرح النهج(): فمن الجبابرة الذين ابتلاهم بشاغل: زياد، وقد جمع الناس فى المسجد ليلعن علياً عليه السلام فخرج الحاجب، وقال: انصرفوا فإن الأمير مشغول، وقد أصابه الفالج فى هذه الساعة، وابنه عبيد الله أصابه الجذام، والحجاج تولدت الحيات فى بطنه حتى هلك، وعمر بن هبيرة وابنه يوسف أصابهما البرص، وخالد القسرى حبس فطولب حتى مات جوعاً، وأما الذين رماهم الله بقاتل: فعبيد الله بن زياد، ومصعب بن الزبير، وأبو السرايا وغيرهم قتلوا جميعاً، ويزيد بن المهلب قتل على أسوء حال.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال فى الكوفة:

تربة تحبنا ونحبها ().

وعنه عليه السلام: اللهم ارم من رماها، وعاد من عاداها ()، وعنه عليه السلام: أما أنه ليس من بلد من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة ().

وعن ابن كثير() أنه قال فى بيان أحوال جعفر بن فطيرا وزير العراق: وكان ينسب إلى التشيع، وهذا كثير فى أهل تلك البلاد. وقال المؤرخون: إنه لما ولى زياد العراق، وتتبع الشيعة لم يكن أشد بلاء من أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، ثم إن الكوفة ضعفت بعد انتقال الخلافة إلى بغداد، ثم خرجت واليوم فيها كثير من العمران وجميع أهلها شيعة.

الحلة

وتسمى الحلة الفيحاء والسيفية والمزيدية، والسيفية نسبة إلى الأمير سيف الدولة صدقة بن دبيس المزيدى الذى بناها، والمزيدية نسبة إلى بنى مزيد قبيلته، وموقعها بين بغداد والكوفة، ولها جانبان والفرات بينهما، وكان سيف الدولة هذا من الشيعة، وتشيع أهل الحلة مشهور معروف من قديم الزمان، وكانت دار العلم للشيعة فى القرن الخامس وما بعده وإليها الهجرة، وخرج منها جماعة من أجلاء علماء الشيعة وفقهائهم وأدبائهم.

ثم انتقل الدرس منها إلى كربلاء والنجف فى الأعصر الأخيرة، ثم انحصر فى النجف، وكانت النجف دار العلم قبل الحلة، وبغداد قبل

النجف، وكانت الحلة متصرفية فى دولة العثمانيين، ثم جعلت قائمقامية ونقلت المتصرفية إلى الناصرية فى عهدهم.

قال ياقوت(): الحلة بالكسر ثم التشديد، وهو فى اللغة القوم النزول وفيهم كثرة، والحلة علم لعدة مواضع أشهرها حلة بنى مزيد مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمى الجامعين أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى، وكانت منازل آباءه الدور من النيل، فلما قوى أمره واشتد أزره وكثرت أمواله لاشتغال الملوك السلجوقية بالحروب بينهم انتقل إلى الجامعين موضع فى غربى الفرات ليبعد عن الطالب، وذلك فى المحرم سنة ۴۹۵ه وكانت أجمة تأوى إليها السباع، فنزل بها أهله وعساكره، وبنى بها المنازل الجليلة والدور الفاخرة وكذلك أصحابه، فصارت ملجأ وقصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياته، فلما قتل بقيت على عماراتها، فهى اليوم قصبة تلك الكورة.

وقال ابن الأثير(): فى سنة ۱۹۵ه بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها، وإنما كان يسكن هو وآباءه قبله فى البيوت العربية. وكان قد شق جدولاً صغيراً من الفرات من عند بلد المسيب إلى الكوفة ليسقى أهل النجف إذ لا ماء لهم للشرب وكان أغنياؤهم يجلبون الماء من الكفل، وفقراؤهم يشربون ماء الآبار المالح وذلك بنفقة امرأة من الشيعة هندية مثرية فنسب النهر إليها فقيل نهر الهندية، وكان أوله ما يدير الرحى، فما زال يكبر لرخاوة الأرض حتى صار بقدر النهر الذى يذهب إلى الحلة، وصار يقال له: شط الهندية وللآخر: شط الحلة.

وقسم شط الهندية إلى أقسام أحدهما يمر بالكوفة، والباقى يسقى مزارع وأراضى كثيرة كلها عرف بالهندية، وحدثت عليه قرى وبلدان كثيرة مثل طويريج وغيرها، ثم جعل شط الهندية يزيد وشط الحلة ينقص حتى كاد يتحول الفرات كله إلى شط الهندية، وجعل شط الحلة ييبس فى الصيف الذى هو وقت الحاجة إلى السقى، وانقطعت منه زراعة الأرز، واقتصر أهله على زرع بعض الشعير ونحوه، وكاد ييبس نخله فجلا أكثر أهله عنه، وكادت الحلة تخرب فاهتمت لذلك الدولة العثمانية، وانقطع عن خزينتها قسم كبير من الخراج لخراب المزارع، فأرسلت المهندسين والبنائين، وحشرت الأهلين سد عند بلد المسيب، وجلبت الأحجار فى السفن فى الفرات من الأرض الحديثة.

واجتهدت فى السد بالأحجار والنورة حتى تم السد، وجرى الماء إلى الحلة وعاد من نزح منها إليها، فلما زاد الشط أيام الربيع نسف ذلك السد، وعاد إلى أصله فاجتهدت فى سده ثانياً بما هو أحكم وأتقن من الأول، فوضعت فى جانبيه الأخشاب العظيمة المجلوبة من الهند، كصوارى المراكب وأغرقت بينها السفن بما فيها من الأحجار وألقت الصخور العظيمة حتى تم السد، وجعلت له منافذ للماء، وعلمت وليمة للأمراء والعساكر، وجلسوا على السد يأكلون، فبينما هم كذلك إذ إنتسف السد بهم وما خلص من وقع إلا بالجهد.

فلما عجزت عن سده استدعت مهندس الرى الإنكليزى بمصر، فحضر وبقى يدرس ذلك نحو سنتين حتى ظنت به الظنون، وبعدها حفر حفراً فى اليابسة قريباً من الشط حتى وصل إلى الماء، ثم نزحه بالآلات الرافعة وبنى هناك سداً فى اليابسة، وجعل لتلك المنافذ أبواباً من الحديد ترفع بالآلات متى أريد وتنزل، ثم حفر أمام ذلك السد ووراءه حتى وصل إلى الشط وأجرى فيه الماء، فاستقام ومشت فوقه سكة الحديد بعد الاحتلال الإنكليزى، وكان الإنكليز عالمين بأنهم سيحتلون العراق فأوصوه بإحكام الصنعة، ودفعت الدولة العثمانية الخرج وأخذه الإنكليز غنيمة باردة، إذ لم تطل المدة على عمارة هذا السد، حتى وقعت الحرب العامة واحتل الإنكليز العراق، وتشيع أهل الحلة مشهور معروف.

سامراء

ويقال سر من رأى، ولعل سامراء مخفف منها، بناها المعتصم سنة ۲۲۱ه وسكنها بجنوده لما ضاقت بهم بغداد، فصارت مدينة عظيمة ولم تزل فى تناقص حتى أصبحت قرية، وكثرت فيها الشيعة لما توطنها الإمام الميرزا الشيرازى السيد محمد حسن وصارت إليها الرحلة من الآفاق، وكانت فيها فى عصره مدرسة عظمى للشيعة فى العلوم الدينية، وبعد وفاته سنة ۱۳۱۲ه تناقص عدد

الشيعة فيها، واليوم فيها الكثير من الشيعة وجماعة من العلماء وطلاب العلوم الدينية.

الخالص

فى معجم البلدان(): اسم كورة عظيمة من شرقى بغداد إلى سور بغداد، وأهل الخالص اليوم كلهم أو جلهم شيعة.

البصرة

مدينة بالعراق مصرها عتبة بن غزوان، وكان فى زمن أمير المؤمنين على عليه السلام أكثر أهلها عثمانية، وقد حاربه أهلها فى واقعة الجمل، وخطبهم بعد فتحها فتغير أهلها كثيراً، واليوم جل أهل البصرة شيعة إمامية مخلصون فى ولاء أهل البيت عليهم السلام.

بغداد

ويقال بغذاذ وبغدان، وتسمى دار السلام.

فأما الزوراء فهى مدينة المنصور خاصة.

قيل: اسمها فارسى تفسيره (بستان رجل) فباغ البستان وداد اسم رجل، أو (أعطى بستاناً) فباغ البستان وداد أعطى، وقيل: أهدى لكسرى غلام شرقى يعبد الأصنام فاقطعه مكانه فقال: بغ داد أى الصنم أعطانى، بناها المنصور العباسى لما ترك مدينة الهاشمية التى أحدثها قرب الكوفة، يغلب عليها التشيع لآل أبى طالب.

ولبغداد جانبان: غربى ويسمى الكرخ أيضاً لمحلة مخصوصة منه، وفيه مدينة المنصور، وهى أول ما بنى فى بغداد، وشرقى ويسمى الرصافة ويفصل بينهما دجلة. والشرقى أول من بنى به المهدى بن المنصور.

والشرقى له جانبان: غربى وهو المعروف اليوم بباب المعظم، وشرقى وهو المعروف اليوم ب (باب الشرجى) والجيم مقلوبة عن القاف، وباب الشيخ الواقع على طريق سلمان، قال ياقوت(): بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد.

والتشيع فى بغداد قديم من حين إنشائها، فإن التشيع كان قد انتشر فى أقطار الأرض، وكانت محلة الكرخ فى عهد العباسيين كلها شيعة، وكثر التشيع فى بغداد فى عصر البويهيين، واليوم نحو نصف أهل بغداد شيعة.

الموصل

يفتح الميم بوزن منزل، مدينة عظيمة من مدن العراق على طرف دجلة، فى مجالس المؤمنين():

إن أهلها فى أكثر الأزمنة شيعة خصوصاً أيام سلطنة آل حمدان، وإلى الآن فيها محلة أهلها شيعة، وفى أيام علاء الدولة الرقاشى الذى كان حاكم دزفول من قبل الشاه عباس جرت منافرة بينه وبين الشاه، وذهب إلى السلطان سليمان العثمانى فولاه الموصل، وكان فى كل سنة يحصل نزاع أيام عاشوراء بين السنة والشيعة، فاتهم علاء الدولة تلك السنة بمساعدته الشيعة لمشاركة المذهب، فعزله السلطان وولاه بعض ديار العراق، والى الآن يوجد فى الموصل وجهاتها كثير من الشيعة.

النجف الأشرف

أو الغرى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان ولا يزال مقر الشيعة وصار دار العلم منذ أكثر من ألف عام().

الفصل الثانى دورات الإحصاء السكانى

الفصل الثانى دورات الإحصاء السكانى

?الإحصاءات لغة الواقع الملموس والأرقام بيان للحقائق الناصعة

?مؤسسات الإحصاء العلمية أجمعت على الأكثرية الشيعية فى العراق

تقديرات أولية

ورد فى كتاب (الأكثرية الشيعية فى العراق):

لقد كان العراق يعرف بأنه بلد شيعى، وكذلك اليوم، فهو بلد شيعى تسكنه الأكثرية الشيعية. وإليك التقسيم الآتى:

أولاً: مناطق العتبات المقدسة باستثناء سامراء.

١: النجف الأشرف.

٢: كربلاء المقدسة.

٣: الكاظمية.

إن الأغلبية السكانية لهذه المناطق هم من الشيعة، وإذا وجد فيها البعض من المذاهب الأخرى أو الأديان فهو نادر أو قليل جداً خاصة فى كربلاء والنجف.

ثانياً: المناطق الجنوبية:

١: البصرة.

٢: العمارة.

٣: الناصرية.

فهذه المناطق كسابقاتها من مناطق العتبات المقدسة نسبة الشيعة فيها حوالى ٩ر٩٩ ٪.

ثالثاً: بغداد، والتى تعتبر عاصمة الدولة العراقية فى الوقت الحاضر، والأغلبية فيها للمذهب الشيعى، وتشكل الشيعة فيها ٧٥٪ تقريباً.

وفى بعض المناطق من العاصمة تشكل الشيعة ٩ر٩٩ ٪ من سكانها، مثل: مدينة الكاظمية، والثورة، والكرخ، والبياع، وغيرها.

رابعاً: بعض المحافظات الوسطى، مثل: الكوت والحلة والديوانية يمثل الشيعة فيها ٩٩٪ من نسبة السكان تقريباً، والبعض الآخر مثل السماوة، يشكل الشيعة ٩٠ ٪، أما محافظة ديالى فنسبة الشيعة فيها ٨٥ ٪، أما الرمادى وتكريت فالأغلبية فيها سنية، ويوجد الشيعة أيضاً فى هاتين المحافظتين بأعداد واضحة.

خامساً: المحافظات الشمالية، أربيل والسليمانية ودهوك، والأغلبية فيها للمذهب السنى، وأيضا يوجد الشيعة فيها بأعداد كبيرة.

أما فى كركوك والموصل فالشيعة فيها حوالى ٤٠٪ تقريباً.

ولكن ورغم هذه النسبة، وما يمثله الشيعة من أكثرية فى سكان العراق، إلا أنهم خارج المناصب العليا فى الدولة، وأصبحت المناصب والحقائب الوزارية وزمام القوة هى بيد الأقلية، رغم أن القوانين والأنظمة وحتى الوضعية منها تعطى الحق لمن يمثل الأكثرية فى إدارة شؤون البلاد، مع مراعاة حقوق الأقلية وعدم ظلمهم.

نسبة الأكثرية فى القرن الماضى:

وورد فى كتاب (جولة فى ربوع الشرق الأدنى) المطبوع بمصر، الطبعة الثانية عام ١٣٥۴ه / ١٩٣۶م لمؤلفه السائح المصرى محمد ثابت، وهو المدرس الأول للعلوم الاجتماعية بمدرسة القبة الثانوية بمصر، قال حول نسب الشعب العراقى بعد زيارته للعراق وأن

الأغلبية هم من الشيعة: ... أما الحكومة فتعاضد السنيين لأنهم أكثر ثقافة (!) من جهة؛ ولأن الإنجليز أميل إلى معاضدة الأقليات من جهة أخرى، لذلك ترى أن أكثر المتصرفين والوزراء من السنيين، وأضاف فى الهامش: كان العراق دون ثلاثة ملايين، منهم مليون وربع من الشيعة، ومليون من السنيين، وربع مليون من الأكراد، والباقى يهود ومسيحيون ويزيديون وصائبة...

وأصل كلامه صحيح لا نقاش فيه، وعلق العلامة الحجة السيد محسن الأمين رحمة الله عليه، وهو الخبير المتضلع فى مثل هذه الأمور بقوله: وأقول: إن الشيعة فى العراق يشكلون سبعين فى المائة، والباقى من السنيين وبقيه الطوائف، والأكراد سنيون فلا وجه لمقابلتهم بهم ()....

وإنما ذكر رحمة الله عليه الأكراد واعتبرهم سنيين باعتبار أغلبيتهم، وإلا فإن الأكراد الفيليين كلهم شيعة، ونسبتهم كبيرة فى الوسط الكردى.. فالشيعة تاريخياً كانوا على طول الخط هم الأكثرية الشاخصة والواضحة فى العراق، وهم الشريحة المضطهدة والمغلوبة على أمرها والمصادرة حقوقها دوماً..

و الاعتراف من الأستاذ المصرى له قيمته، وهو رجل سنى جاء إلى العراق ليرى بعينه ما فيه من حقائق ليؤلف كتابه المذكور..

وهو فى كتابه (جولة فى ربوع الشرق الأدنى) يحاول تسجيل مآخذه على الشيعة، ومع ذلك يعترف بأكثريتهم فى العراق، وبطائفية الحكومة القائمة آنئذ وإسناد الإنجليز لها، منذ قيام الدولة العراقية الحديثة.

وثيقة تاريخية ل (المس بيل) تعترف بالأكثرية

كنت مشغولة فى الأسبوع الماضى حول قانون الانتخابات الذى عرض يوم الاثنين على مجلس الوزراء، وقد عارض المجلس تمثيل العشائر لأن ذلك يعنى كما أخبرنى عبد المجيد الشاوى بحق بأن أكثرية العشائر شيعية، مما يعنى أن الشيعة سيسيطرون على المجلس، ولهذا لم تسمح الدولة العثمانية بتمثيل الشيعة مطلقاً سواء كانوا من العشائر أم من أبناء المدن، وفى اليوم الثانى زارنى ساسون أفندى وداوود يوسفانى وابدا ذلك. المس بيل

رسالة فى ۱۸ كانون الأول سنة ۱۹۲۰ النص الإنكليزى: ج۲ ص۵۷۹.

بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة

يقول الأستاذ حسن العلوى: أما بعد تأسيس الدولة العراقية، فالشيعة العرب يشكلون الأغلبية المطلقة، بينما لم تكن نسبة السنة فى العراق تصل إلى ۱۹٪، وهنا يكمن السبب فى اختيار الإنكليز زعيم السنة فى العراق لإدارة الحكومة دون دعوة أحد من الشيعة، فضلاً عن الموقف الصارم الذى اتخذه الشيعة من الاحتلال البريطانى، وتحريم فقهاءهم الاشتراك فى أية حكومة عراقية خاضعة لإدارة البريطانيين.

وكان البريطانيون على صواب فى انحيازهم لمذهب الأقلية التى ستبقى دائماً بحاجة إلى سند خارجى يحميها من سيطرة الأغلبية، وهو الموضع المثالى لسياسة ترمى إلى إبقاء العراق تحت الهيمنة الاستعمارية. وقد ثبت نجاح هذه السياسة رغم أن الضحية فيها من معظم العراقيين.

إن تمحور السلطة فى الأقلية.. عشيرة.. أقلية مذهبية.. حزب.. أقلية عنصرية.. عائلة.. يجعل اللجوء إلى الاستبداد، ليس أمراً مفروغاً منه، بل موضوعياً أيضاً؛ ذلك أن اعتماد تمثيل برلمانى صحيح من شأنه أن ينقل السلطة ذاتياً إلى أصحاب الأغلبية. ولهذا لا يمكن لحاكم الأقلية أن يفكر بانتهاج أسلوب ديمقراطى ينتهى بانتزاع السلطة من بين مخالبه. إن الاستبداد حصيلة طبيعية لحكم الأقلية، وليس هو صفة خاصة بمذهب دينى أو بقومية معينة().

تقرير الكاتب الروسى كوتلوف

ويؤكد الكاتب الروسى ل. ن. كوتلوف فى كتابه (ثورة العشرين الوطنية التحررية فى العراق) الذى ألفه العام ۱۹۵۸، أن الشيعة يشكلون الأغلبية فى العراق().

تقرير مركز ابن خلدون – القاهرة

وبالرغم من أن معظم الأرقام تشير إلى أن نفوس الشيعة العرب يتراوح ما بين ۶۰ و۶۵ بالمائة من سكان العراق، وبعض الأرقام تزيد من هذا المعدل أو تنقص منه، إلا أن مركز ابن خلدون فى القاهرة يشير فى تقرير له عام ۱۹۹۹ إلى أن الشيعة يمثلون ۵۲ بالمائة من سكان العراق.

تقرير لجنة مراقبة الشرق الوسط لحقوق الإنسان

وجاء فى تقرير أصدرته (لجنة مراقبة الشرق الأوسط لحقوق الإنسان) ومقرها نيويورك – وهى منظمة حقوقية غير حكومية – فى تقريرها الدولى العام ۱۹۹۱، أن الشيعة يشكلون نسبة ۵۰ إلى ۵۵ بالمائة من نفوس العراق البالغ ۱۶ مليون نسمة حسب تقديرات عام ۱۹۸۶، فيما يبلغ السنة العرب ۲۰ بالمائة، والأكراد بين ۱۵ إلى ۲۰ بالمائة من السكان حسب تقدير المؤرخة فيب مار().

تقرير الموسوعة البريطانية

وتقدرهم الموسوعة البريطانية بنحو ۵۳ بالمائة، إذ جاء فيها تحت عنوان: (الدين فى العراق) أن: أكثر من ۸۰ بالمائة من العراقيين يتكلمون العربية وهى اللغة الرسمية، وتقريباً ۱۵ بالمائة يتكلمون الكردية، والبقية هى للغات الأقليات كالتركية والتركمانية والآشورية. كما أن ۵۳ بالمائة من شعب العراق هم من الشيعة، وحوالى ۴۲ بالمائة من السنة، والشيعة هم عرب مع قلة من التركمان، بينما السنة هم من العرب والترك والتركمان والكرد ().

لكن الواقع يؤكد أن الشيعة يتشكلون من أربع قوميات على الأقل: فالأكراد الفيليون كلهم شيعة، ويبلغ عددهم اليوم حوالى ثلاثة ملايين. و(الشبك) شيعة أيضا، وهؤلاء لو أضيفوا إلى ۵۳٪ لبلغت نسبة الشيعة حوالى ۶۵٪.

تقرير المؤرخ فيكتور بيرار

ويذهب المؤرخ الفرنسى فيكتور بيرار الذى عاش فى القرن التاسع عشر

(۱۹۳۱-۱۸۶۴)، وزار العراق وكتب فى العام ۱۹۰۷ حول رحلته كتاباً بعنوان (السلطان، الإسلام والقوى: القسطنطينية مكة بغداد)، يذهب إلى تأكيد حقيقة كون الشيعة فى العراق يشكلون الغالبية السكانية، وذلك قبل أن تجرى بريطانيا أى إحصاء سكانى فى العراق، حيث لم يكن العراق قد وقع بعد تحت الاحتلال البريطانى، ما يعطى انطباعاً عاماً أن المسألة كانت واضحة للعيان، وهذا ما نلحظه من خلال جولة بيرار فى العراق، وهو فى الطريق من القسطنطينية إلى مكة حيث كتب يقول: وكذلك فى العراق ورغم استبداد الخليفة السنى، فإن أربعة أخماس السكان ما زالوا يبجلون الأئمة الاثنى عشر ().

تقرير روبرت فيسك وغربيين آخرين

وتكاد نسبة ال ۶۰ وال ۶۵ هى الأكثر وروداً فى التقارير الدولية، فقد أشار إليها الكاتب البريطانى روبرت فيسك فى مقالة له فى

صحيفة الاندبندت يوم

۳/۱/۲۰۰۴، حيث كتب يقول:

ويتوقع الشيعة الذين يشكلون ۶۰ بالمائة من السكان، الحصول على قوة مؤثرة فى الانتخابات العامة التى ستجرى هذا العام.

كما ورد نسبة ۶۰ بالمائة فى صحيفة الفاينانشال تايمز البريطانية ليوم

۲۰/۱/۲۰۰۴، وهى تعلق على التظاهرات التى عمت بغداد قبل يوم يطالب فيها سكان بغداد بإجراء انتخابات عامة، وكذلك فى النشرة الخبرية المقروءة لإذاعة إل بى بى سى البريطانية المنشورة فى شبكة الإنترنت ليوم ۲۱/۱/۲۰۰۴، وهى تعلق على الحدث نفسه. وفى خطاب للرئيس الأمريكى جورج بوش الثانى أذيع من محطة (أى بى أس) الأمريكية خلال انعقاد مؤتمر المعارضة العراقية فى لندن نهاية العام ۲۰۰۲، أشار إلى أن نفوس الشيعة بين ۶۰ إلى ۶۷ بالمائة، وفى تقرير إخبارى من بغداد ذكرت الصحافية الأمريكية لورا كينغ: إن شيعة العرب يشكلون نسبة ۶۰ بالمائة ().

والملاحظ فى تقديرات الرئيس الأميركى بوش أنها اعتمدت على أرقام بثتها من قبل وزارة الخارجية الأميركية بالاعتماد على تقارير خاصة بها، ففى تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية عن حقوق الإنسان فى العراق للعام ۲۰۰۱ تحت عنوان: (الإساءات الخطيرة لحقوق الإنسان فى العراق مستمرة)، جاءت فيه إشارة إلى:..السكان الشيعة العراقيون الذين يقدر عددهم ب ۶۵ بالمائة من مجمل سكان العراق الذين يبلغ عددهم ۲۲ مليوناً. وفى السنة التالية أصدرت شعبة الديمقراطية والحقوق الإنسانية والعمل التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية تقريرها السنوى فى ۷/۱۰/۲۰۰۲ عن الحرية الدينية فى أرجاء العالم المختلفة، وفيما يخص العراق جاء فيه: الشيعة العرب هم أكبر مجموعة دينية، و طالما تعرض الشيعة العرب الذين يشكلون الأغلبية الدينية بين السكان للتمييز ضدهم اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً.

۸۲٪ من البغداديين شيعة

وإذا كان الشيعة العرب يمثلون نحو ۸۰ بالمائة من عرب العراق بتخريج الأكراد والتركمان كما يذهب إلى ذلك الوزير العراقى فى العهد الملكى السيد عبد الكريم الأزرى() فإن باحثاً آخر يعتقد أن بغداد وحدها تضم أكثر من هذا الرقم، يقول سعيد السامرائى: إن معظم المناطق المختلطة مسكونة من أغلبية شيعية واضحة سيما العاصمة بغداد، التى تشير آخر الإحصائيات التى أجراها فريق عمل أمريكى وبناء على إحصائيات الحكومة العراقية وبمساعدة موظفيه، وذلك فى منتصف الثمانينيات إلى أن نسبة الشيعة فيها هى ۸۲ بالمائة ().

والسامرائى فيما ذكر إنما يشير إلى التقرير الذى قدمه الفريق الأمريكى العام ۱۹۸۸، بعد أن أجرى دراسة ميدانية للتركيبة السكانية العراقية بالتعاون مع السلطات المحلية فى العراق، حيث أجرى: دراسة ميدانية لمنطقة السليمانية فى كردستان العراق (۱۹۸۵-۱۹۸۶)، ولمدينة بغداد (۱۹۸۶-۱۹۸۸)، ثم وسع وقبل نهاية الحرب العراقية الإيرانية دراسته لتشمل: الموصل، كركوك، أربيل، الحلة، كربلاء، الكوت، الناصرية، العمارة، بعقوبة، الرمادى، والبصرة ().

وجاء فى التقرير الأمريكى أن: عدد نفوس العراق فى حزيران يونيو ۱۹۸۷ يساوى ۱۸٫۶۴۴٫۰۰۰ نسمة. ونفوس بغداد يساوى ۴٫۲ مليون نسمة موزعون كما يلى:

۸۲ بالمائة منهم من المسلمين العرب الشيعة، و۱۸ بالمائة من سكان بغداد من المسلمين السنة، ونسبة من المسيحيين والأكراد. ونسب مجمل مناطق العراق الإحصائية ما يلى: العرب الشيعة ۷۲ بالمائة، العرب السنة ۸ بالمائة، الكرد السنة ۱۸بالمائة، التركمان (مختلط) أقل من ۲ بالمائة، البقية أقل من ۱ بالمائة ().

والنسبة السكانية فى بغداد ذهب إليها تقرير شعبة الديمقراطية والحقوق الإنسانية والعمل التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية بخصوص

الحريات الدينية الصادر فى ۷/۱۰/۲۰۰۲، والذى جاء فيه: ورغم أن الشيعة ينتشرون أكثر ما ينتشرون فى الجنوب، إلا أنهم يشكلون الغالبية أيضاً فى بغداد، ولهم جاليات فى معظم أنحاء البلاد. أما السنة فيشكلون أغلبية السكان فى وسط البلاد وفى الشمال.

ويقول فاروق عباس عن بغداد: يسكنها خليط سكانى من كل القوميات والأديان والمذاهب، وتعتبر منطقة مختلطة، ولكن الغالبية فيها من العرب المسلمين، وعدد نفوس الولاية يقدر بخمسة ملايين نسمة ().

ويسود الاعتقاد أن الرقم أكبر من هذا إذا ما نظرنا إلى أحياء كبيرة تحولت بمرور الزمن إلى مدن كبيرة مثل مدينة الصدر رحمة الله عليه التى تضم الملايين من العراقيين غالبيتهم العظمى من العرب الشيعة، أوصل البعض أعدادهم إلى ثلاثة ملايين().

الواقع الديموغرافى

لقد بات من الواضح والمؤكد الذى لا يختلف فيه أى منصف، أن الواقع الديموغرافى يؤكد نسب الأكثرية الشيعية فى العراق منذ العهود البائدة، وبانت هذه الحقيقة للقاصى والدانى.. وبإلقاء نظرة على إحصائيات القرن الميلادى المنصرم وما قبله، وتصريحات أهل الخبرة بالشأن العراقى تتضح هذه الحقيقة كالشمس.. ويحاول البعض عن علم أو جهل بواقع الخريطة السكانية العراقية، أن يقلب الحقائق الديموغرافية فى العراق انطلاقاً من مواقف مسبقة لا تتوافق مع الواقع الاجتماعى والسياسى للعراق، ولا تنسجم مع تطورات الحياة، فليس من الإنصاف أن تُحمّل الأغلبية رأيها على الأقلية تحت مدعى الديمقراطية، وليس من العدل أن تفرض الأقلية رأيها على جمهور الأكثرية تحت مدعى الحكم للأقوى، فلا المنطق الأول راجح، والمنطق الثانى يحمل معه معاول هدمه، إن استطاع أن يتغلب فى جولة سيخسر فى جولات، وربما بمنطق الحكم للأقوى نفسه!

ومن الأمور التى أجمع عليها الباحثون المحققون: إن العراق يتوزع بين أكثرية عربية شيعية، وأقلية عربية سنية وأقلية كردية سنية وشيعية، وأقلية تركمانية شيعية وسنية، وأقليات أخرى كالمسيحيين والصابئة وغيرهم، وأهمية هذه المسألة تظهر فى الانتخابات، حيث أنها لا تتعلق بحجم الدائرة الانتخابية من حيث المساحة التى تقوم عليها هذه الدائرة، بل بقدر حجم الواقع السكانى فيها، فالانتخابات معيارها الأول صوت الناخب وعدد الناخبين، وليس حبات رمل الأرض، وهذا المعيار على سبيل المثال نجده أحد مطالب أهالى سامراء بعد انهيار النظام السابق، حيث يطالب الأهالى فيها بالاستقلال إدارياً عن مدينة تكريت، ونقلها إدارياً إلى مصاف لواء.

وكانت تكريت وهى مسقط رأس الرئيس العراقى السابق، قد حولت فى عهده إلى محافظة بعد أن ضم إليها عدداً من الأقضية، ومنها مدينة سامراء التى هى أكبر حجماً من مدينة تكريت.

إحصاء عام ۱۹۱۹

لقد جرت فى العراق إحصاءات عديدة.. وأول إحصاء سكانى جرى فى العام ۱۹۱۹ تحت الاحتلال البريطانى، احتسب الإحصاء البريطانى الذى أجرى العام ۱۹۱۹ عدد الشيعة بنحو ۱٫۵۰۰٫۰۰۰ نسمة من مجموع ۲٫۸۵۰٫۰۰۰ نسمة، أى بنحو ۵۳ بالمائة من السكان. وفى العام ۱۹۳۶ بلغ عددهم ۱٫۶۱۲٫۵۳۳ نسمة من مجموع قدره ۲٫۸۵۷٫۰۷۷ نسمة، أى زهاء ۵۶ بالمائة وإلى جانبهم نسبة ضئيلة من الإيرانيين والهنود والأكراد ().

وينقل الدكتور عبد الله النفيسى بعد أن يقرر فى الصفحة ۹ و۱۶۷ من كتابه (دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث) أن نصف أهل العراق من الشيعة إن لم نقل غالبيتهم، وتذكر إحصائية العام ۱۹۱۹ بشىء من التفصيل إذ: بحسب إحصاء السكان الذى قام به الإنكليز فى سنة ۱۹۱۹ تبين أن عدد الشيعة بلغ ۱٫۴۹۳٫۰۱۵ وعدد السنّة ۹۹۲٫۲۸۵، وعدد اليهود ۸۶٫۴۸۸، والنصارى ۷۸٫۶۹۲، والطوائف الأخرى ۴۲٫۳۰۲ ().

ويلاحظ الزيادة السكانية ما بين الإحصاءين (١٩١٩-١٩٣٦) مع ميل الكفة لصالح الأغلبية الشيعية فى العراق.

إحصائية عام ١٩٢٠

أما إحصائية الحصرى عام ١٩٢٠م فقد ذكرت تفاصيل عن التعداد السكانى فى الألوية العراقية مستمدة فى الأصل من الإحصائيات البريطانية، بعد إضافة (١٠٠) ألف نسمة بإدخال السليمانية للتعداد، واحتساب نسبة الزيادة السكانية خلال عام وعلى الشكل التالى:

٣٨٨٠٠٠ لواء بغداد

٣٨٠٠٠٠ لواء الديوانية

٣٧٦٠٠٠ لواء الموصل

٣٢٠٠٠٠ لواء المنتفك

٢٨٠٠٠٠ لواء البصرة

٢٠١٠٠٠ لواء أربيل

١٨٦٠٠٠ لواء الحلة

١٧٥٠٠٠ لواء الدليم

١٦٤٠٠٠ لواء ديالى

١٥٨٠٠٠ لواء كركوك

١٥٣٠٠٠ لواء العمارة

٧٢٠٠٠ لواء السليمانية

٦٥٠٠٠ لواء كربلاء

تكشف هذه الإحصائية() بعض التزوير الذى مارسته الدولة القومية، والعاملون فى المشروع القومى العربى، ومن ضمنهم ساطع الحصرى نفسه الذى أودع فى منهاج الدراسة معلومات منافية لهذه الإحصائية التى نشرها فى مذكراته الصادرة عام ١٩٦٧م، وكانت مناهج الدراسة العراقية تشير إلى أن ثانى مدينة بعد بغداد فى التعداد السكانى هى الموصل ثم البصرة، وينقطع الكلام عن التعداد السكانى حتى لتبدو المدن الأخرى بتعداد ضئيل لا يستحق الإشارة.

من المحتمل أن عدداً من القراء سيفاجأ أن تكون الديوانية ثانى أكبر المدن فى العراق بعد بغداد التى يزيد قليلاً عدد نفوسها عنها، بينما تهمل هذه المدينة ذات القبائل العربية لأسباب مذهبية، ولا تمثل فى السلطة، ولا يأتى عليها ذكر إلا عرضاً.

إحصاء عام ١٩٢٩

عدد نفوس الشيعة فى العراق وفقاً للإحصاء السكانى الذى أجرته الإدارة البريطانية عام ١٩٢٩م فقد بلغ مليون و٤٩٢ ألف نسمة، والسنة العرب والأكراد ٩٩٢ ألف، واليهود ٨٦ ألف، والنصارى ٨٧ ألف، والطوائف الأخرى ٤٢ ألف، ويلاحظ أن السليمانية لم تدخل فى هذا التعداد؛ لأنها لم تدخل فى الخارطة العراقية وفقاً لمعاهدة سيفر وكانت نفوسها آنذاك ٧٢ ألف نسمة.

يلاحظ أن الإنكليز وضعوا الأكراد مع السنة العرب مقابل الشيعة العرب، وبفرز الأكراد عن العرب السنة تكون النسب على الشكل التالى:

٥٥٪ العرب الشيعة

١٩٪ العرب السنة

٪۱۸ الأكراد السنة

٪۸ اليهود والمسيحيون والطوائف الأخرى

ومنذ ظهور هذه الإحصائية حتى يومنا هذا، مازالت المصادر الرسمية فى العراق تستخدم حصة الشيعة لزيادة حصة العرب فى مواجهة حصة الأكراد السكانية، وتستخدم حصة الأكراد فى مواجهة حصة الشيعة. وبشكل عام فإن التوزيع السكانى للسلطة يتعامل مع كل من الشيعة العرب، والسنة الأكراد بنسبة لا تزيد عن ٣٥٪ فى أفضل الحالات فى مجلس الوزراء.

إحصائية عام ١٩۴٧

فى العراق عموماً تستخدم حصة الشيعة لزيادة حصة العرب فى مواجهة حصة الأكراد السكانية، وتستخدم حصة الأكراد فى مواجهة حصة الشيعة، وبشكل عام فإن التوزيع السكانى للسلطة يتعامل مع كل من الشيعة العرب والسنة الأكراد بنسبة لا تزيد عن ٣٥٪ فى أفضل الحالات فى مجلس الوزراء.

من المفيد أن نشير إلى جدول التوزيع السكانى للعراق مستمد من الإحصاءات الرسمية التى أجرتها الحكومة العراقية عام ١٩۴٧ ونشره الأستاذ حنا بطاطو على الشكل التالى():

٪۵۱.۴ ۲۳۴۴۰۰۰ الشيعة العرب

٪۱۹.۷ ۹۰۰۰۰۰ السنة العرب

٪۱۸.۴ ۸۴۰۰۰۰ السنة الأكراد

٪۱.۲ ۵۲۰۰۰ الشيعة الإيرانيون

٪۱.۱ ۵۰۰۰۰ السنة التركمان

٪۰.۹ ۴۲۰۰۰ الشيعة التركمان

٪۰.۶ ۳۰۰۰۰ الشيعة الأكراد (الفيلية)

٪۳.۱ ۱۴۹۰۰۰ المسيحيون

٪۲.۶ ۱۱۷۰۰۰ اليهود

٪۰.۸ ۳۳۰۰۰ اليزيدية والشبك

٪۰.۲ ۷۰۰۰ الصابئة

إن هذه الإحصائية تكرس عروبة العراق التى ستبدو هشة وضعيفة، وسيصبح العرب بدون الشيعة أقلية صغيرة لا تتجاوز ١٨ ٪.

كان المفروض فى الدولة أن تجعل من ارتفاع نسبة السكان فى مناطق الفرات الأوسط والجنوب؛ سبباً للتفاخر بأصالة الشعب والإسلام فى العراق، وصلته العضوية التى لا تنفصم بالجذور الأولى للعروبة والإسلام، رغم قساوة الأنظمة التركية والمغولية والفارسية التى حكمت العراق.

الأصالة الشيعية العربية

إن زيادة عدد السكان الشيعة يعنى زيادة فعلية فى التعداد العربى، فإذا ذكرنا أن نفوس سكان الكاظمية قد بلغ فى إحصاء عام ١٩۴٧، مائة و(١۵) ألف و(٧۶٠) نسمة؟، فهذا يعنى بشكل طبيعى وفرة عربية تدعو للارتياح. وليس لأحد أن يشير إلى الفرس فيها بعد أن خصص الإحصاء السكانى نفسه للجالية الإيرانية فى العراق استمارة مستقلة ظهر فيها أن تعدادهم بلغ (۵٢) ألف نسمة. وليس من مصلحة الدولة إن كانت وطنية تتوسع أن فى ترحيل السكان من العروبة إلى العجمة، ولا نظن أن دولة ما تجرأت غير العراق على مثل

هذا الترحيل.

ذلك أننا لو أخذنا بفارسية المدن الشيعية، وجعلنا الكاظمية مثلاً لها، فإننا سنفقد أعداداً من السكان العرب لا يقل كثيراً عن عدد سكان مدينة الموصل فى ذلك الإحصاء.

لكن تياراً واسعاً فى المشروع القومى العنصرى فى العراق يسعى منذ قيام ثورة العشرين عام ۱۹۲۰ حتى يومنا هذا إلى سلخ الشيعة من العروبة ووضعهم فى صف الفرس، ولقد أكد الطائفيون فى السلطة حكما مفاده: إن كل شيعى هو إيرانى، ولا يصدر هذا الحكم على الشيعة إلا من منطلق طائفى محض، إذ يستثنى من صفة الفارسية الإيرانى إذا كان سنياً، وامتد ذلك إلى الخليج فالبستكى والعوضى والهولى وكلهم من سنة سواحل إيران يعتبرون عرباً أقحاحاً، بينما تسحب العروبة عن عوائل عربية شيعية فى الكويت والبحرين والإمارات، وكان قرار التهجير فى العراق قد استثنى حامل التبعية الإيرانية إذا كان مسيحياً.

هذا هو القانون العام (كل شيعى إيرانى) الذى استحدث أول مرة على لسان السيد مزاحم الباجه جى، فى خطابه الذى ودع فيه الكولونيل ولسن وكيل المندوب السامى البريطانى بعد أن أجهز عسكرياً على ثورة العشرين.

فى الصين الشعبية سئل السفير العراقى فى بكين الدكتور عيسى سلمان التكريتى من هم الأكثر فى العراق ... السنة أم الشيعة؟ فأجاب الدكتور عيسى: إن العجم أكثر من العرب فى العراق، لكن إذا اجتمع الأكراد والعرب فسيكونون أكثر من العجم فسأله فلسطينى كان موجوداً أثناء الحديث: هل يعنى أن الشيعة فى العراق عجم؟ قال السفير: نعم. وكرر السائل: لكنهم موجودون فى الحزب بكثرة على ما أعلم، وأنتم فى حرب مع الإيرانيين، فكيف ينسجم هذا مع ذاك؟ قال الدكتور عيسى سلمان: إن القيادة تأخذ الاحتياطات اللازمة وتعرف كيف تتصرف مع الشيعة فى الحزب والدولة فلا تقلق.

إن ما يقوله الدكتور عيسى سلمان، وهو من المختصين بالآثار المعروفين بالاعتدال ليس وجهة نظر شخصية بل هو تعبير عن تيار عام فى المشروع القومى الرسمى يتكرر على لسان المتحدثين فى المجالس الخاصة، ويصدر إلى الصحفيين والدبلوماسيين العرب فى اللقاءات الثنائية.

إن الدكتور عيسى سلمان فى غمرة الانصياع والرضوخ لقوة هذا التيار نسى أنه فى حالة الأخذ بهذا الرأى فسنكون أمام المعادلة التالية:

٥٥٪ الشيعة وهم فرس (جدلاً)

١٨.٥ ٪ الأكراد وهم غير عرب

٨٪ الأقليات الدينية وهى غير عربية

وما بقى من النسبة الكاملة أى ١٨.٥ ٪ هى نسبة العرب فى العراق. وفى هذه الحالة سيكون على العراق أن يتخلى عن كونه بلداً عربياً، وسيكون لإيران الفارسية حق المطالبة به لكون ٥٥٪ من سكانه إيرانيين، وعلى امتداد الحدود الإيرانية، قريباً من شط العرب وحتى حدود لواء كربلاء مع الرمادى، وهى المناطق التى توصف بالفارسية. وبنفس المنطق سيكون للأكراد الحق فى مناصفة الحكم باعتبارهم يشكلون النسبة المتقاربة جداً مع السكان العرب.

وسيبقى من المدن العربية للعراق بعد إخراج المدن (الإيرانية)! الموصل والرمادى والنواحى والقرى النازلة مع دجلة حتى حدود سامراء مع (بلد والدجيلة) وهما (إيرانيتان أيضاً).

فى هذه الحالة أيضاً ستبدو كردستان العراق، أكبر من العراق العربى، ومن حق الأكراد إذا اتفقوا مع الأقليات الدينية، وهى تعيش فى مناطقهم أن يشكلوا حكومة أغلبية فى العراق، دون الحاجة لتمثيل العرب فى السلطة، إذعاناً للمنطق الديمقراطى البرلمانى، واستناداً إلى الباب الثالث من الدستور المؤقت السابق الذى يعطى الحقوق المتساوية لجميع السكان.

هذه الصورة التى يسعى إليها القائلون بإيرانية الشيعة العراقيين هل استطاع أعتى الشعوبيين فى التاريخ صياغتها؟ وهل تمكنت محاولات تجزئة العراق وتقسيمه أن تنجز شكلاً مرعباً، كالشكل الذى توحيه صورة العراق، حين يصبح الشيعة فيه إيرانيين، لقد شعر

بعض المثقفين بخطورة ما سينجم عن هذا الطرح، فبدءوا ينشرون كتابات(لتعريب) بعض الشيعة، وقد جرى التعامل مع هذه الكتابات، كما لو كانت كشفاً علمياً وأخلاقياً.. إن بعض الشيعة عرب. وبهذا ظهر مصطلح (عروبة الشيعة) عند بعض المثقفين الشيعة أنفسهم. أما العاملون فى المشروع القومى السلطوى فقد بدوا وكأنهم متفضلون للغاية، حيت استثنوا بعض الشيعة وأخرجوهم من الدائرة الإيرانية إلى الدائرة العربية وسط ابتهاج يغمر قلوب البعض المستثنى، والذى راح يشيد بالمنصفين والمثقفين الذين يبحثون فى عروبة الشيعة. وباعتقادنا فإن الحديث عن عروبة الشيعة العراقيين، هو آخر مراحل السير فى قافلة الاتهام، وأكثرها إيغالاً فى إيذاء الأغلبية العربية، لاسيما أن بعضاً من الذين يساهمون بعملية (تعريب الشيعة) يحتاجون إلى الكثير من الإسناد التاريخى لإثبات عروبتهم.

وليس رد فعل لذلك الشعار القائل: بأن الشيعة العراقيين إيرانيون، إذا ما قررنا الحقيقة التالية:

إن عروبة العراق شيعية، وأنه عربى بقدر ما هو شيعى، وأن (الجهود) ينبغى أن تنصرف ليس لإثبات عروبة الشيعة، وإنما لإثبات عروبة العراق بلا شيعة، وسيصل الذين يكافحون منذ سبعين عاماً لإثبات عروبة العراق من خلال فارسية الشيعة إلى هذه النتيجة بسرعة. فقد تشيعت العروبة منذ أن جعل على بن أبى طالب الكوفة مقراً لخلافته، ولم يحدث أن تعربت الشيعة، أما الشيعة الإيرانيون فإنهم سيظلون كذلك.

إن خطر تعجيم التشيع الذى يستهدف أساسا التقليل من أهمية الأغلبية العربية المحرومة من حق التمثيل فى السلطة، لا يقتصر على تعجيم جغرافيا العراق البشرية والطبيعية، بل يتجاوزه إلى تعجيم التراث العربى وعلوم الإسلام العربية حيث الريادة العلمية للمبدعين والمفكرين العرب الشيعة تكاد أن تسيطر على مدارس النحو واللغة والصرف والتفسير والتاريخ وعلم الكلام فضلاً عن مدارس الشعر. إن صورة الحضارة العربية ستبدو مقلوبة قومياً حين نأخذ بمشروع تعجيم التشيع ونسرف فى البحث والاستقصاء وترسيم مذاهب المفكرين العرب.

الشيعة العرب: نجوم لامعة فى الإبداع

إن الجدول التالى عينة متواضعة توضح مدى الخسارة التى ستلحق بالتاريخ حين يسلخ الأعلام التالية أسماؤهم من أصالتهم العربية والإسلامية لكونهم يأخذون بمذهب التشيع:

مؤسس علم النحو أبو الأسود الدؤلى

مؤسس علم اللغة والعروض الخليل بن أحمد الفراهيدى

مؤسس علم الصرف أبو مسلم الفراء

من مؤسسى علم التفسير وعلوم أخرى جابر بن عبد الله الأنصارى

كذلك سعيد بن المسيب

من مؤسسى علم السير هشام بن الكلبى

المؤرخ المعروف أحمد بن يعقوب اليعقوبى

كذلك المسعودى صاحب مروج الذهب

ومن الشعراء:

النابغة الجعدى، ولبيد بن أبى ربيعة، وكعب بن زهير، والفرزدق، والكميت، وكثير عزة، وقيس بن ذريح، ودعبل الخزاعى، وأبو تمام، وأبو فراس الحمدانى، وابن هانى الأندلسى، والبديع الهمذانى، فضلاً عن المتنبى، والمعرى وأمرهما معروف. ومن مؤرخى الأدب صاحب الأغانى أبو الفرج الأصبهانى().

إحصاء عام ۱۹۴۷

أما بموجب إحصاء العام ۱۹۴۷ فإن التكوين العرقى والدينى والمذهبى، سجل نسبة ۴ر۵۱ بالمائة من السكان للشيعة العرب، إلى جانب ۹ر۶ بالمائة من الشيعة الأكراد والتركمان، و۲ر۱ بالمائة من الشيعة الإيرانيين.

فيما كان السنة العرب يشكلون نسبة ۷ر۱۹ بالمائة من العراقيين، والسنة الأكراد نسبة ۴ر۱۸ بالمائة، والسنة التركمان نسبة ۱ر۱ بالمائة من العراقيين، إضافة إلى أقليات أخرى من مسيحيين ويهود ويزيديين وشبك وصابئة().

لكن النسب التى نشرت العام ۱۹۵۱ يطرأ عليها تغيير غير مفهوم بالمقارنة إلى إحصاء العام ۱۹۵۷، وهو تغيير أقل ما يقال عنه: إنه غير طبيعى.

فمن غير المعقول أن تنخفض نسبة الأكراد إلى ۷ر۱۲ بالمائة، وتقل نسبة الشيعة العرب إلى ۹ر۴۴ بالمائة، فيما ترتفع نسبة السنة العرب إلى ۶ر۲۸ بالمائة قياساً مع السنة الأكراد، وذلك خلال أربع سنوات، خصوصاً وأن معظم الأرقام تسجل تقارباً فى نسبة السنة الأكراد مع السنة العرب، وبعضها تزيد من نسبة السنة الأكراد على السنة العرب.

وإذا نزلنا عند هذه الأرقام فإن الشيعة العرب ما زالوا يشكلون غالبية سكان العراق، ووفق هذه النسب شكل التركمان نسبة ۴ر۳ بالمائة والفرس ۳ر۳ بالمائة، واليهود ۳ر۰ بالمائة، والمسيحيون ۴ر۶ بالمائة، والصابئون ۳ر۰ بالمائة، واليزيديون والشبك ۱ر۰ بالمائة من نفوس العراقيين().

إحصاء عام ۱۹۵۷

ويعتبر الباحث حامد الحمدانى أن إحصاء العام ۱۹۵۷ هو أدق إحصاء للتركيبة السكانية للعراق، إذ يقول: وبالرجوع إلى الإحصاء العام للسكان العام ۱۹۵۷، والذى يعتبر أدق إحصاء جرى حتى ذلك التاريخ، ظهر أن تعداد نفوس العراق كان آنذاك ستة ملايين ونصف المليون نسمة موزعة كما يلى:

۱- القومية العربية، وقد بلغ مجموع نفوسها ۲۶۲ر۰۱۸ر۵ نسمة، أى ما يعادل ۸۰ بالمائة من السكان.

۲- القومية الكردية، وقد بلغ مجموع نفوسها ۷۷۴ر۰۴۲ر۱ نسمة، أى ما يعادل ۱۶ بالمائة من السكان.

۳- القومية التركمانية، وقد بلغ مجموع نفوسها ۸۰۶ر۱۳۶ نسمة، أى ما يعادل ۲ بالمائة من السكان.

۴- القومية الآشورية، وقد بلغ مجموع نفوسها ۰۰۰ر۱۰۰ نسمة، أى ما يعادل ۵ر۱ بالمائة من السكان.

هذا ما يخص التوزيع القومى للسكان، أما بالنسبة لتوزيع الأديان فهى كما يلى:

۱- المسلمون: وقد بلغ تعدادهم ۴۹۳ر۰۵۷ر۶ نسمة (أى أغلبية السكان).

۲- المسيحيون: وقد بلغ تعدادهم ۲۰۲ر۲۰۶ نسمة.

۳- أقلية يهودية: وكانت تقدر بعشرات الآلاف العام ۱۹۴۷، غير أن الدولة أسقطت عنهم الجنسية العراقية العام ۱۹۴۸، وتم تسفيرهم إلى إسرائيل، ولم يبقَ منهم سوى ۴۹۰۶ نسمة.

۴- أقلية يزيدية فى منطقة الشيخان، وسنجار وبعض القرى التابعة للواء [محافظة] الموصل.

۵- أقلية صابئة يسكن أغلبها لوائى العمارة وبغداد.

أما التوزيع الطائفى فى العراق فهو على الوجه التالى:

۱- المسلمون الشيعة: ويمثلون ۵۰ بالمائة من سكان العراق، ويسكنون المناطق الوسطى والجنوبية.

۲- المسلمون السنة: ويمثلون ۳۵ بالمائة من سكان العراق، ويسكنون المنطقة الشمالية، وبغداد، والأنبار.

۳- المسيحيون، واليزيدية، والصابئة، واليهود: ويمثلون ۱۵ بالمائة من سكان العراق، علماً أن المسيحيين ينتمون إلى طوائف عدة منهم: الكاثوليك، والبروتستنت، والأرثدوكس، والكلدان().

إحصاء عام ۱۹۹۷م

فى أحدث إحصاء رسمى للسكان أجرى العام ۱۹۹۷، حسب وصف التقرير السنوى الذى أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية فى ۷/۱۰/۲۰۰۲ حول الحريات الدينية فى العالم، فإن التقرير يضيف وفق إحصاء العام ۱۹۹۷: إن أفضل التقديرات تقول إن ۹۷ بالمائة من سكان العراق البالغ عددهم ۲۲ مليون نسمة مسلمون. ويشكل الشيعة وغالبيتهم من العرب، وإن كان بينهم أيضاً تركمان وأكراد وشبك وفرس ما بين ستين وخمسة وستين بالمائة من السكان. أما السنة فيشكلون ما بين ۳۰ و۳۷ بالمائة من السكان حوالى ۱۸-۲۰ بالمائة منهم من الأكراد، و۱۲-۱۵ بالمائة من العرب، والبقية من التركمان السنة. أما حوالى ثلاثة بالمائة المتبقية من مجموع عدد السكان فمسيحيون: (آشوريون وكلدانيون وكاثوليك وأرمن)، ويزيديون ومندائيون، بالإضافة إلى عدد ضئيل من اليهود.

ومن قبل أشار تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول حقوق الإنسان فى العراق، الذى نشر فى ۴/۳/۲۰۰۲ إلى أن: السكان الشيعة العراقيين الذين يقدر عددهم ب ۶۵ بالمائة من مجمل سكان العراق الذين يبلغ عددهم ۲۲ مليوناً.

همسة فى أذن المشكك

هنالك قاعدة عقلائية تحولت إلى أساس معتمد فى الحوزات العلمية، ومقولة شهيرة يرددها الأساتذة فى كل مناسبة للاحتجاج والحوار.. تقول: نحن أبناء الدليل أينما مال نميل وهى تأكيد لقوله تعالى: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ().

هذا هو ديدن رسالات السماء والأصل الذى اعتمده رسول الله صلى الله عليه و اله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام، فالحوار العلمى القائم على الدليل العقلى أو النقلى هو الأصل المعتمد ().

أما أن يأتى كاتب أو خطيب ويدلى بدلوه فى موضوع معقد وعلمى دون توثيق ومستمسك، أو يذكر مستمسكاً دون معرفة المستمسكات المضادة، فهذا ما لا يرتضيه أى إنسان مهما كانت ثقافته متدنية.

لقد نشر أخيراً مقال حول نسبة الشيعة فى العراق، وهو يدعى خلاف إجماع كل المؤرخين والباحثين، ودون أن يسند حديثه إلى أية وثيقة أو مستمسك معتبر.. ويخلص من بحثه إلى أن نسبة الشيعة فى العراق ۴۲٪ فقط.

وهذا تزوير لحقيقة صارخة وتكذيب لواقع قائم.. فيدعى الكاتب مثلاً: إن نسبة مذهب الأقلية فى مدينة كربلاء المقدسة هى ۵٪ من مجموع (۷۴۰ر۰۰۰) سبعمائة وأربعين ألفاً، فيكون تعدادهم (۳۷ر۰۰۰) نسمة..

وبعد التحقيق من قبلنا وطرح هذا السؤال على (مدير دائرة الإحصاء فى كربلاء) أجاب: إن فى كربلاء ليس إلا أربعة عوائل منهم فقط!!

وحين ذهبنا إلى المسجد الجامع لهم فى يوم الجمعة، رأينا أن عدد المصلين أقل من مائة نسمة!! وكثير منهم من أطراف المدينة، وبعضهم من المدن الأخرى من الذين وظفهم النظام الطائفى البائد، وسحبهم من محافظاتهم وأسكنهم فى كربلاء.

فأين الثلاثة والأربعون ألفاً؟؟

والجدير بالذكر إن نفوس محافظة كربلاء حسب تقدير الحكومة المؤقتة هو ثمانمائة ألف، لذلك طلب من أهلها انتخاب (۱۶) عضواً (لكل خمسين ألف نسمة عضو واحد) للمجلس الاستشارى الموقت، والتقرير السابق قال رجماً بالغيب أن المحافظة نفوسها (۷۴۰ر۰۰۰) فقط.

ولقد أشتهر فى أوساط الناس فى كربلاء: إن نفوسها حوالى المليون..

وما قيل فى كربلاء يقال حول المدن الأخرى، ومنها (الحلة) التى ادعى الكاتب أن ۳۵٪ من أهلها هم من مذهب الأقلية.. وقد التقينا بالعديد من أصحاب الشهادات والمثقفين من أهل الخبرة الثقاة وسألناهم عن ذلك فكذبوه..

على كل حال رسالتنا إلى المشككين فى الأكثرية أن يتحروا الحقيقة أكثر وبشكل أدق.

وإن حقيقة ثابتة فى التاريخ أجلى وآكد وأثبت من حقيقة الأكثرية الشيعية فى العراق، قد لا نجدها وقد أقرت بإجماع العراقيين وغيرهم.

وأخيراً نحن واثقون من هذه الحقيقة، وتؤكد كل الإحصاءات دون استثناء على رغم اختلاف النسب فيها..

وعلى فرض التشكيك فى الأكثرية فإننا نطالب بالحقوق الإنسانية والسياسية العادلة للأقلية سنة وشيعة أو غيرهما..

كما نطالب بالحقوق الثابتة العادلة للأكثرية سنة أو شيعة أو غيرهما..

?إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِالله ()..?

فالكل أخوة ومتساوو الحقوق من أى مذهب كانوا، وإلى أية شريحة انتموا.

الفصل الثالث بحوث فى هوية الطائفية

الفصل الثالث بحوث فى هوية الطائفية

?الطائفية مزقت صفوف الشعب، وأغرقت البلاد فى المحن

وعبدت الطريق لدخول القوى الأجنبية

?طائفية حكام العراق الملكى والجمهورى أقيمت على تحالفات استعمارية

وأسس سياسية وعسكرية محكمة لمواجهة أكثرية جماهير الشعب

هوية الطائفية

يتشعب الحديث عن الطائفية ومقوماتها وطبيعتها وآثارها فى العراق، إلى العديد من الأصول والفروع.. ونحن نحاول أن نختزل بحوثه خلال الصفحات القادمة بإذن الله تعالى.

أولا: ثقافة احتكار السلطة

إن من أعراض تخلف الأمم كل الأمم هو سيطرة فئة بعينها على نظام الحكم، فتمسك بأزمته وكأنها المالك الحقيقى لرقبة الوطن والشعب، وتفلسف لنفسها هذه الملكية وتكون ثقافة فئوية معينة، ولا تسمح لأى أحد أو جهة أن يطرح المبدأ الإنسانى العام القائل بأن (الوطن للجميع) وهذه الفئة التسلطية تتجلى فى شريحة سياسية من أقلية طائفية أو قومية أو عشائرية أو غيرها، وتقنع نفسها وأتباعها فى مناطقها وطوائفها وأحزابها بأن السلطة ملك لها حصرا، ثم تربى أبناءها وأجيالها على روح التسلط الاحتكارى، وأن الحكم من اختصاصاتها وليس لأحد أى حق فيه مطلقا، بل لو فكر بالتطاول وراودته نفسه للوصول إلى السلطة حتى عبر الطرق المشروعة فإن عقابه الموت.

مثل هذه الظاهرة هى من أشد الأمراض الفتاكة التى يصاب بها الشعب ويكون سببا فى تأخره.

هـذا مـا نعـانيه فى العراق، وهو مرض نفسـى قبل أن يكون تفكيرا منحرفا، فبعض أقليات الطائفيـة السياسـية التى حكمت هـذا الوطن.. كانت تتمتع بهـذه العقليـة المنحرفـة والنفسـية المريضـة، فترى العراق كله ملكا لها، وكما قال حاكم أموى من ذى قبل: (السواد بسـتان لقريش) والـذى يعنى بعبـارة أخرى: إن الوطن ليس للجميع وإنمـا لهـذه الفئـة فقـط، ولاـ حق لغيرها فى الحكم وقيادة الجيش وتسـلم الحقائب الوزارية وما أشبه.

إن العراق ليس ملكـا للأقليـة، وليس من الحتميـات العقليـة أن الحكم لهـا إلى الأبـد.. كفـاه سـير نزولى وانحطاط إلى درك الإرهاب والظلم.

وكذلك ليس للأكثرية لوحدها، بل هو لجميع مواطنيه من كل طوائفه ومذاهبه وقومياته على قدم المساواة والعدالة الإنسانية.

فيلزم مكافحة ثقافة الاستبداد وعقلية التمذهب السياسى والاقتصادى المتطرف والذى تعرج به مقولة (السواد أى العراق بستان لقريش) فليس لغيرهم حق فيه..

ولقـد صـرح أحد رموز الطائفية قبل حين فى إحدى الفضائيات بأن العراق لا يسـتقيم له أمر إلا إذا عاد إلى سابق عهده وخضع لسـلطة الأقلية، وأكد ذلك مستدلا بتاريخه الطائفى العريق، وإرادة بعض الدول المحيطة به، المؤيدة لحكم الطائفية السياسية، وهذا بعينه هو ما نعنيه من ثقافـة احتكار السـلطة، وهو فى الحقيقـة معناه العودة إلى الاسـتبداد وضـرب ثوابت الديمقراطية والعدالة الإنسانية والإسـلامية عرض الجدار.

ثانيا: ملامح النظام الطائفى

لعل أبرز ملامح النظام الطائفى تتلخص فيما يلى:

١- إن النظـام الطـائفى ظهر قـديماً فى العراق، واتخـذ شـكله المعروف منـذ قرون خلت، ثم جـاء الإنكليز وأقاموه على أسـس سياسـية وعسكرية حديثة فى مواجهة ثورة العشرين. فالنظام الطائفى الذى قام عليه الحكم الملكى البائد، ومن ثم نظام البعث يمثل تركة سوداء خلفها النفوذ العثمانى والبريطانى فى العراق، وهذه حقيقة شديدة الوضوح عند كل الأجيال فى العراق.

٢- إن النظام الطائفى أداة للقهر والسـيطرة السياسـية أوجـده حكم الاسـتبداد المطلق، والقهر السياسـى والعنصـرى القومى والـدينى فى العهـد العثمانى، وهو لم يظهر فى التاريـخ إلا كوسـيلة بيـد المحتلين والطغاة، لشق صـفوف المحكومين والحيلولـة دون اتحادهم ضـد العـدو المشترك، فعنـدما نتكلم عن النظام الطائفى لا نقصـد العـداء بين المنتسبين للأديان المختلفة، ولا تفضـيل الأفراد لهذه الجماعة المذهبيـة أو تلـك، ولا ممارسـة شـعائر دينيـة معينـة. فتلك قضايا تتعلق بالأفراد أكثر مما تتعلق بتكوين أنظمـة الحكم السياسـية، ولهم حقهم الإنسانى وحريتهم فيها، إنما نعنى بالنظام الطائفى: نظاماً معيناً للحكم يقوم على هيمنة أقلية دينية أو طائفية على السلطة السياسية، واحتكارها للامتيازات الاقتصادية، والمكانة الاجتماعية المتأتية من السيطرة على مقاليد السلطة.

٣- وغالبا ما تكون سلطة الأقلية الطائفية بحاجة إلى دعم خارجى، كقوة احتلال أو نفوذ استعمارى بحكم كونها مهدده داخلياً فتلتمس المسانـدة الخارجيـة، الأمـر الـذى يوفر الأسـس لقيـام مصـلحة مشتركـة بين القوة الخارجيـة وبين الأقليـة الحاكمـة، لكبت المحكومين والاستئثار بالسـلطة السياسـية والثروات الاقتصادية. لذلك يقترن النظام الطائفى فى أكثر الأحيان بالاحتلال الأجنبى والهيمنة الخارجية، حتى إذا كان المحتلون لا يشاركون الحكام المحليين المعتقد الدينى أو المذهبى. فالاشتراك فى الدين والمعتقد بينهما ليس ضـرورياً لقيام نظام طائفى، والمثال على ذلك تبنى الاسـتعمار البريطانى الطائفـة اليهودية، واختلاقها فكرة الوطن القومى لليهود رغم الاختلاف الـدينى بينهمـا. وبطبيعـة الحـال فـإن الانتمـاء الـدينى أو المـذهبى المشترك يعزز من الترابـط ويوفر أرضـية واسـعة لاسـتغلال الطائفية لأغراض التوسع السلطوى الاستعمارى، كما يظهر من تبنى الإدارة الفرنسية للأقلية المارونية، وادعاء القيصرية الروسية فيما سبق بحماية الأرثوذكس فى فلسطين.

۴- من جانب آخر فإن فوائد النظام الطائفى للمحتلين لا تقتصر على ربط الأقلية الحاكمة بهم، بل يشجع أيضاً على خلق الطائفية المعاكسة بين المحكومين، الذين يجدون أنفسهم يضطهدون بسبب انتماءاتهم الدينية والمذهبية إضافة إلى أسباب أخرى. ولذلك تُثار النقمة الطائفية ويتسع الانقسام بين الشعب، وتتكتل كل طائفة حول من يدعى حمايتها والذب عنها، فيتعذر توحيد الجماهير فى حركة موحدة ضد المحتلين والحاكمين، ويتهيأ لهؤلاء تعزيز قبضتهم على البلاد. ثم إن مثل هذا الوضع يوفر للمحتلين فرصة للظهور بمظهر حكم محايد يتوسط بين الطوائف المتصارعة، كما جرى فى الهند والعراق وفلسطين وقبرص وغيرها من البلدان.

۵- ويؤدى النظام الطائفى من ناحية أخرى إلى إضعاف مقاومة المحكومين، رغم أنه يدفعهم للتكتل ضد الطوائف الأخرى. إذ أن الالتفاف السياسى فى هذه الحالة لا يكون وفق أسس مبدئية تتجاوز الحدود الطائفية التى تجمع المستَغلين ضد المستغِلين، وتوحد المحكومين على اختلاف مذاهبهم ضد الحاكمين، وإنما يجد أكثر المسحوقين أنفسهم مضطرين للالتفاف حول شعارات ومؤسسات لا تمت إلى مصالح الأمة بصلة.

۶- وفى هذه الظروف نرى أن موقف التجاهل وإغماض العيون تجاه مرض الطائفية السياسية، إنما هو موقف يتهاون بمستقبل البلاد، ويفرط بمصير العراق الجديد، سيما وأن بلادنا تتعرض اليوم لأفدح الأخطار الإرهابية والاستعمارية والطائفية؛ لذلك نرى من الواجب مواجهة حقيقة النظام الطائفى، وكشف الستار عن مقوماته الاجتماعية، وأصوله التاريخية، وارتباطه بالأطماع الأجنبية عبر العصور. إن هذه التوعية شرط ضرورى لتحقيق وحدة وطنية، وقيام حركة شعبية موحدة فى وجه الأخطار المحدقة، والأطماع الدولية لتمزيق بلادنا، ومن أجل تقويض النظام الطائفى وإرساء أسس مجتمع متآخى متحرر، يتساوى فيه جميع المواطنين من مختلف القوميات والأديان والطوائف().

ثالثا: الطائفية الشاذة فى العراق

إن الطائفية فى العراق تختلف عن الطائفية فى لبنان أو أى بلد عربى أو إسلامى أو غير إسلامى آخر، حيث لا تتصل الطائفية العراقية بمصدر دينى أو فقهى، فلم يجر الخلاف حول مواصفات الحاكم المسلم الجائر والحاكم الكافر العادل، ولا- فى مسألة الشورى والتعيين، ولم يختلفوا على العدد المطلوب من أهل الحل والعقد لإتمام البيعة، ولم يتحدث أحد منهم عن الإمامة، وما إذا كانت من أصول الاعتقاد كما يقول الشيعة، أو من فروعه كما يرى أهل السنة.

لم يختلفوا حول إرث المرأة فى المذهب، ولا- على التكتف أو الإسبال عند الصلاة، ولا- حول مسح الرأس، وغسل الرجلين عند الوضوء.

لم يجر الخلاف على ذلك؛ لأن الطائفيين العراقيين علمانيون لا علاقة لهم بالدين، ويتداول العراقيون فى المنفى، شريطاً مسجلاً فى جلسة على مائدة قمار فى لندن، كان المتحدثون فيها ثملين للغاية، وقد ظهر واضحاً صوت الأستاذ محمود الدرة العسكرى والسياسى الكبير وهو يهاجم الشيعة بعنف، ويعتبرهم خارجين عن تعاليم الإسلام الحنيف، ويهاجم زملاء له من السياسيين الشيعة. وكان بعض الحاضرين شيعة.

وفى هذه النقطة بالذات تبدو الغرابة والشذوذ، إذ المعروف أن الطائفية كما هى فى البلاد الإسلامية تقوم على أساس دينى، وحيث ينتفى الدين من وجدان الإنسان لم تعد ثمة علاقة له بالمذهب.

ومن الملفت للانتباه أن الطائفية العراقية تنمو فى جزء من الوسط العلمانى. فهى تبدو واضحة الملامح فى الوسط القومى، وتتضاءل قوة الطائفية وعنفوانها وتضمحل فى الوسط الإسلامى السنى منه والشيعى.

وبشكل عام يمكن القول: إن الطائفية العراقية سياسية شبه محضة ذات علاقة بالسلطة، وأنها لم تحدث بين المواطنين بالدرجة الأولى، ولا بين مدينة ومدينة، ومحلة ومحلة، كما هى الحال فى بلدان أخرى، إنما بين الناس والسلطة التى التزمت بمذهب حاكم هو غير

المذهب المحكوم. ومع أن جوانب من الطائفية العراقية ذات أصول تاريخية، فإنها فى الأعم طائفية حديثة.

وللطائفية العراقية وجود قوى، لكن الإعلان عنها ظل بعيداً عن التناول، فالعيوب الكبرى لا تمارس فى المجتمع علانية، إلا أن الحكومات البائدة مارستها بأبشع صورها ومع ذلك كانت تنكرها أشد إنكار، وإذا اعترفت بها قالت: إنها من بقايا العثمانيين، أو إنها سياسة استعمارية كان يغذيها الاستعمار البريطانى، وقد قضى عليها بتضامن الشعب العراقى.

إن كلاماً من هذا القبيل لا يعكس صورة حقيقية للنظام السياسى العراقى. وقد يكون المتحدث الذى ينفى وجود الطائفية مشبعاً بالروح الطائفية أكثر من سواه، وهو يعلم تماماً أن الطائفية مستقرة فى العراق، قبل أن يستقر فيه المندوب السامى البريطانى بعدة قرون. وقد يكون صحيحاً أن المسلمين استعانوا بالاستعمار لتحقيق أهدافهم الطائفية، كما استعان الاستعمار بالطائفيين لتحقيق أهدافه. وقد يكون عبد الرحمن النقيب ورجال السلطة العراقية، هم المثال الصارخ على استعانتهم بالإنكليز واستعانة الإنكليز بهم.

إن نفى وجود الطائفية يأتى بشكل خاص على ألسنة السياسيين فى السلطة العراقية، وأتباع التمذهب القومى منذ سبعين عاماً رغم هشاشة موقفهم. فهم إذ ينفون الطائفية، فإنهم لا يستطيعون تبرير السبب الذى يجعل القومى العربى الشيعى بعيداً عن أن يكون رئيساً لأركان الجيش مثلاً. وإذا كان السبب عدم وجود ضابط قومى شيعى فى رتبه تساعده على ارتقاء هذا المنصب، فمن الممكن السؤال عن السبب فى ذلك. أليس هو متصلاً بالقبول فى الكلية العسكرية وكلية الأركان، والسقف المحدد لتوقف رتبه الضابط القومى الشيعى؟

وإذ ينفى هؤلاء أى وجود للطائفية، لا يتوانون عن إرسال من يمثلهم من المذهب الحاكم فى الإدارة المحلية والمحاكم والإعلام والشرطة ومناهج التربية فى مناطق الشيعة. وإذ يجرى ذلك علناً، يمنع الحديث العلنى عما يجرى أمام الأنظار.

وإذا لم يكن بين القوميين الشيعة ضابط يصلح لأن يكون رئيساً للأركان، ألم يكن بين الشيعة من يصلح أن يكون صاحب جريدة يومية. وإذا لم يكن بين القوميين الشيعة من يصلح أن يكون مديراً للشرطة، بسبب التضييق على قبولهم فى كلية الشرطة أو ترقيات المتخرجين منهم فيها، ألم يكن بينهم من يصلح أن يكون رئيساً للجامعة أو عميداً لكلية؟

إننا لا نتحدث من الحرص على أن يكون مسئول شيعى فى مواقع كهذه، بقدر ما نسعى إلى كشف تلك التقاليد المتخلفة، والموروثات المسيطرة على الدولة الطائفية والأضرار التى ألحقت بعموم الشعب فى العراق.

وفى هذه الظروف نرى أن موقف التجاهل وإغماض العيون إزاء النظام الطائفى هو موقف يتهاون بمستقبل البلاد ويفرط بمصيرها، سيما وأن بلادنا تتعرض اليوم لأفدح الأخطار والدسائس الدولية. لذلك نرى من الواجب مواجهة حقيقة الطائفية، وكشف الستار عن مقوماتها الاجتماعية، وأصولها التاريخية وارتباطها بالأطماع الأجنبية عبر العصور ().

رابعا: طبيعة الطائفيين فى كلا الفريقين

إن طائفية كل من الشيعى والسنى تختلف جذرياً فيما بينهما، ويمكن تلخيصها فيما يلى:

١: الطائفية الشيعية إن صح التعبير، وهو غير صحيح() ذات طابع نظرى، فهى تتحدث عن أفضلية الإمام على (عليه الصلاة والسلام) فى الخلافة، وتؤكد على قضية النص والتعيين. فيما لا يعنى الطائفى السنى بشىء من ذلك. إنه لا يعيش فى التاريخ كالطائفى الشيعى، ولا يتحدث عن حق عمر فى الخلافة أو حق على، وإنما يبحث عن حق قريبه فى أن يحتل المركز المعين والوظيفة المعينة.

٢: إن الطائفية الشيعية معتقد والسنية فعل. والشيعية تعيش فى التاريخ والسنية تعيش فى الحاضر. ولهذا يلتصق الطائفى الشيعى بالكتب ويلتصق السنى بالحياة. ولهذا لم يستطع الطائفيون الشيعة أن يمسكوا الخيوط الرئيسية للصراع لانشغالهم بالتاريخ وتركهم الحاضر. ولما كانوا غير قادرين على تصحيح الحدث التاريخى، فقد أوغلوا بالبحث عن الأدلة النقلية والبراهين العقلية، مما جعلهم فى عالم النظريات

بينما يعيش الطائفى السنى فى واقعية حية.

۳: تنتشر الطائفية الشيعية بين البسطاء من الناس، أما إذا تثقف الشيعى انسلخ تماماً عن أية شائبة طائفية. وقد يلازمه الشعور بالحياء الطائفى إلى مستوى الشعور بالذنب.

أما الطائفية السنية فتكاد تنعدم فى الوسط الشعبى وبين البسطاء، حتى إذا دخل السنى مراكز السلطة وارتقت مداركه أمسك بمعنى الطائفية الجديد، وتحمس لها وأصبح من جنودها العمليين وليس من دعاتها، وهذا فرق أيضاً بين الاثنين، فالطائفى الشيعى داعية والطائفى السنى جندى يمارس معركته دون حديث.

۴: ويحدث المأزق الكبير فى دوائر الدولة والأحزاب والمؤسسات العسكرية حيث يلتقى المتعلمون من الطائفتين.. الشيعى الذى انسلخ عن طائفيته بسبب تعلمه، والسنى الذى اتصل بالطائفية بسبب صلته بالسلطة، وهنا تبدو الفروق مكشوفة فى ممارسة كل منهما لعمله فى الدولة. إن الشيعى لا يفكر فى أن يحجز وظيفة لشيعى آخر، وقد لا يفهم معادلة كهذه على الأغلب. أما السنى فإنه متحفز ومهيأ للعب دور كامل مستمد من طائفية الدولة.

قد يضاف سبب آخر، فبعض الشيعة ممن ينتبهون إلى فعل الطرف الآخر فى مؤسسات الدولة، قد يحاولون فعل شيء مماثل، لكنهم سيصطدمون بتقاليد الدولة وبالاضطهاد الرسمى، أو أنهم يقعون فريسة الخوف من أن يتهموا بالطائفية.

إن العلمانى الشيعى قد يتقبل أية تهمة سوى هذه. قد يتفاخر بخروجه على الإسلام وبإلحاده وارتكاب المعاصى، لكنه عند التهمة الطائفية يقف مذعوراً وقد يتحول إلى الضد لإثبات الضد، فى الوقت الذى يمارس الطائفى السنى دوره تحت مظلة الدولة وتقاليدها الإدارية وأعرافها الجارية بهدوء وثقة وبنوع من الحق العرفى الطائفى!

۵: إن الطائفية الشيعية قد توجد وحدة مشاعر عاطفية تتراكم من تاريخ الفاجعة الأولى، وتمر على تاريخ الاضطهاد الذى تعرض له الشيعة. بينما أوجدت الطائفية السنية وحدة مصالح وغنائم.

إن هؤلاء يتشاركون فى العزاء وهؤلاء يتشاركون فى السلطة. وعن هذا الفرق صارت كلمة الطائفية تطلق رسمياً على الشيعى فقط حيثما وردت، إلا إذا جاء فيها تخصيص أو إشارة إلى السلطة وهو أمر نادراً ما يحصل.

۶: يمتاز المذهب الشيعى بكثرة الطقوس: كإقامة المآتم، والمآدب الحسينية، والحزن فى محرم، والاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه و اله ووفيات الأئمة عليهم السلام ومواليدهم.

ظاهرة كثرة الطقوس استثمرتها مؤسسة الحكم الطائفى لتتسلل منها إلى اتهام الشيعة بالطائفية، وقد أخذ كثير من الناس بهذا المفهوم حتى بعض الشيعة العلمانيين الذين ما لبثوا يعدون هذه الطقوس نوعاً من أنواع الطائفية، فضلاً عن المثقفين السنة وعامتهم.

يقول الشاعر الراحل مصطفى جمال الدين: إن كامل الجادرجى دعاه إلى لقاء عام ۱۹۶۵ فشكا الجادرجى لشاعرنا طائفية الشيعة، ولما استفسر منه مصطفى جمال الدين عن تفاصيل ذلك، أشار الجادرجى إلى المآتم الحسينية وزيارة أضرحة الأئمة، وأضاف أن السنة ليسوا طائفيين، وضرب على ذلك مثلاً: إن ولده رفعت سأله أثناء مرورهما من أمام ضريح الإمام أبى حنيفة من هو هذا؟ فقال له: إمام من الأئمة وكفى. ولم يسأل ابنه بعد أكثر من ذلك. بينما ينغمر الشيعة بتاريخ أئمتهم وتفاصيل حياتهم.

لكن يجب أن لا ننسى أن الطقوس الحسينية هذه لا تخلو من تشهير بمعظم الشخصيات الظالمة فى التاريخ الإسلامى، والشكوى من الظالمين حق من حقوق المظلومين. وإذا كانت الطائفية هى أن تُسلب حقوق الآخرين، فأى حق ستسلبه الشكوى من الظلم؟

۷: نجحت هذه الحملة أى اعتبار الشيعى طائفياً، حتى أدخلت فى روع الشيعى المذعور الخائف الذى تطارده التهمة، فينصرف بوعى أو بغير وعى ليمارس دور الضد لإثبات الضد. وقد يمارس قدراً صغيراً أو كبيراً من التميز الطائفى ضد الشيعة.

۸: إن وضع الشيعى فى السلطة وفى جميع الفترات هش دائماً، مهما بدا للناس أنه قوى، وأن العراقى فى المفهوم الرسمى يظل طائفياً إذا لم يشترك فى حملة اضطهاد الشيعة، وهذا يجعل شيعة السلطة فى مأزق فلا هم محسوبون على السلطة، ولا هم محسوبون على

الشيعة.

۹: إن الشيعة فى السلطة لا يمثلون التشيع ولا الشيعة. فالعلمانيون منهم والمتدينون يعبرون عن فلسفة النظام السياسية، ويشتركون فى تنفيذ برامج الدولة. ومن ضمنها برامج اضطهاد الشيعة. وباستثناء حالات محدودة فى العهد الملكى انتقد فيها مسئولون شيعة سياسة التميز الطائفى: كالشيخ محمد رضا الشبيبى، والسيد عبد المهدى، وعبد الكريم الأزرى، وعدد من السياسيين فى مجلس النواب وفى الصحافة، فإن تجاوز الحقوق الأساسية للشيعة فى التمثيل السياسى، أو فى التنمية الاجتماعية والقومية، تمر فى مجالس الوزراء ومجالس القيادة مع وجود العضو الشيعى فيها دون صعوبات.

۱۰: ويقضى الشيعى عادة فى وزارته، أو فى رئاسة دائرة معينة فترة أقل مما يقضيها زميل فى المذهب الحاكم. ولا تتاح له على الأغلب فرصة العودة بعد تركه المسئولية. بينما قد تتاح الفرصة لزميله عدداً من المرات. ويعانى شيعة السلطة من مراقبة غير منظورة فى الجهاز الحكومى رغم أنهم جزء من السلطة لتسجيل ما يمكن العثور عليه من سلبيات.

۱۱: ولا ننكر أن أعداداً ليست قليلة من شيعة السلطة يشعرون فى أعماقهم بالاضطهاد، ويحاولون فى مناسبات معينة أن ينفسوا عن مكبوتاتهم فى حديث يتناول بعض ما يجرى من تميز فى مؤسساتهم، لكنهم يسارعون فوراً إلى تقمص شخصية أخرى حالما يطل عليهم شبح من المذهب الحاكم مهما كان هزيلاً. وقد أصبح سلوك كهذا يستعمل لكسب ود المعارضة والسلطة فى وقت واحد.

خامسا: من الذى يقوم بالتميز الطائفى؟

إن التميز الطائفى وليس الانتماء المذهبى هو الذى يجعل المرء طائفياً. حيث أن التميز جور وظلم، والانتماء حق مشروع.

وواضح أن الذى ينهض بمهمة التميز ينبغى أن يكون بمركز القوة، أى أنه يمتلك امتيازات عامة قابلة للتوزيع فيتصرف فى توزيعها بطريقة متحيزة.

وطبيعى أن السلطة هى أكبر الامتيازات. وأن الدولة باعتبارها مؤسسة المؤسسات، هى القوة الأساسية التى تملك القدرة والحق فى صناعة القانون والمراكز، ولها حق توزيع الأراضى ومنح الامتيازات للناس.

ومعروف أن السلطة فى العراق طائفية، وهذا يعنى وجود مذهب حاكم ومذهب محكوم. الأول يملك الدولة المؤسسة الجيش القانون الخزينة المركز، والآخر لا يملك إلا ما يعطيه المذهب الحاكم.

هنا هل يوصف المذهب المحكوم بكونه طائفياً؟ من المحتمل أن يكون كذلك. ولكن ما هى حدود تأثيراته الطائفية وانعكاساتها على الدولة والمجتمع؟

بكلمة أوضح حين يكون الشيعى طائفياً، فما هى الأدوات التى يمتلكها لممارسة التميز الطائفى ضد المذهب الآخر.

هل يمتلك حق تعيين الوزراء والسفراء والمحافظين؟

هل يمتلك حق توزيع الأراضى والبساتين؟

هل يمتلك صلاحية وضع المناهج والبرامج التعليمية؟

هل يمتلك حق تشكيل المحاكم وتعيين الحكام؟

هل يمتلك حق تأسيس الجيش وتحريك قواته؟

هل يمتلك حق إصدار الصحف، والموافقة على نشر المطبوعات التى يمارس بها أو من خلالها الدعوة الطائفية؟

وحين يكون الشيعى وزيراً، هل يستطيع أن يتصرف بحرية فى حركته، أى أن يكون ممثلاً للشيعة لا ممثلاً لسياسة الدولة؟

وحين كان صالح جبر رئيساً للوزراء أول رئيس وزراء شيعى هل حاول أن يغير شيئاً من صيغة طائفية الدولة؟ أم اكتفى بإلحاق شيعى واحد فقط فى وزارته ليمارس كل منهما دوره فى منظومة الأفكار الملكية.

وهل أقدم ناجى طالب رئيس الوزراء الشيعى الوحيد فى العهد الجمهورى على خطوة ذات صلة بأبناء المذهب الذى ينتمى إليه؟ هل أسند مثلاً لأحد أبناء مسقط رأسه (الناصرية) وظيفة مهمة فى مجلس الوزراء؟

وحين لا يكون شىء من هذا قد حدث فإن الصفة الطائفية ستسقط حتماً عن المذهب المحكوم. حتى حين يكون أحد أبنائه على رأس السلطة. إذ ما كررنا التأكيد على أن التمييز الطائفى وليس الانتماء المذهبى هو الذى يجعل المرء طائفياً.

إن التمييز الطائفى أعلى مراحل التمييز فى المجتمع البشرى. وهو فى درجة أوطأ من التمييز العنصرى رغم قسوة الأخير وبشاعته؛ ذلك أن التمييز العنصرى يشترط لحصوله وجود عنصرين أو نوعين أو لونين من البشر. أبيض وأسود، آرى وسامى، أوربى وأفريقى، وقد يجد دعاة العنصرية فى اللون واختلاف المنشأ واختلاف مصالح العرقين سبباً للتمييز والاضطهاد، بينما يحصل التمييز الطائفى داخل النوع الواحد واللون الواحد، فهو لا يجرى بين عربى وغير عربى، ولا بين مسلم وغير مسلم، ولا بين عراقى وغير عراقى.

لكن تطوراً دخل إلى التمييز الطائفى لتبريره بجعل العرب الشيعة فرساً أو إيرانيين، ليتسنى إيجاد ركيزة كالتى يعتمدها التمييز العنصرى. وفى هذه الحالة سنكون أمام تمييز مركب، ضد الشيعة العرب. وكان رائد هذا التطور المفكر القومى ساطع الحصرى فى الفترة التى عمل فيها مسئولاً عن التربية والتعليم مطلع تأسيس الحكم الملكى وحتى عام ۱۹۴۱.

هذا التطور كان نقلة كبيرة لإضفاء طابع قومى على التمييز الطائفى. فالعراق يعانى ليس من مشكلة داخلية بين مذهب حاكم ومذهب محكوم، ولا بين يمين ويسار، بل بين حكم عربى وفئات إيرانية شعوبية تعرقل النمو القومى، وتطبيق برامج السلطة القومية.

وجرى تصدير هذا الانطباع إلى الإعلام العربى وإلى مسئولين عرب.

فى تمذهب السلطة أخرج الشيعة من حق التمثيل الكامل فى السلطة. وفى التهجير أخرج الشيعة من حق المواطنة، وكان التبرير الرسمى لهذه العملية أنهم لم يكونوا من أصول عربية بحتة، وأن سجلاتهم فى دوائر الأحوال المدنية تشير إلى كونهم من التبعية الإيرانية. رغم أن أحداً لا يجهل بأن سياسة التمييز العنصرى والطائفى، وعمليات زج الفقراء العراقيين إلى حروب التوسع التركى، قد ألجأت الكثير من الناس آنذاك فى محاولة لحماية عوائلهم من الجور والاضطهاد، والسوق التعسفى إلى القتال، الادعاء بأنهم من تبعية إيرانية. وكانت إيران تشجع القبائل العربية على التجنس بالجنسية الإيرانية إلى الحد الذى جعل الحكومة العراقية بعد تأسيسها تناشد سلطات طهران بالتوقف عن عمليات التجنيس.

ولم يكن هؤلاء الذين أرادوا الإفلات من التمييز الطائفى والعنصرى التركى، يتصورون أنهم سيقعون بعد قرن أو قرنين من الزمان ضحايا التمييز الطائفى الذى مارسته سلطة قومية ترتكز فى خطابها السياسى حسب الظاهر على مفهوم إنسانى يستبعد وقوعها فى الوحل الفاشى.

إن التهجير ممارسة قاسية لأسلوب التمييز سواء كان طائفياً أم عنصرياً.

وإذا كان التمييز العنصرى يستهدف استغلال الطاقات الإنتاجية للأغلبية الملونة؛ فإن التمييز الطائفى فى العراق تجاوز هذه المرحلة إلى تدمير الثروة القومية، لمعاقبة مدن وأقاليم تنتمى إلى غير النوع الطائفى للمذهب الحاكم. فيلحق الضرر أجزاء من الطبيعة بسبب تعمد إهمال العناية بها.

قد تجف الأنهار، وتموت الأشجار، وقد تظل الثروة القومية مخبوءة

فى داخل الأرض؛ مادام المستفيد منها المباشر فى الدولة طائفة لا تعترف بها الدولة.

والمثال على ذلك قصة نهر الغراف.

فقد كانت الدلائل تشير إلى أن نهر الغراف فى طريقه إلى الجفاف. والغراف كما يصفه عبد الرزاق حسنى سرة العراق عظيم البركة، تعيش حوله قبائل شيعية عربية انقطعت إلى الزراعة منذ عهد قديم. حتى إذا أخذ بالجفاف بدأت جموع الفلاحين تنزح عنه وقد بكاه الشعراء. وشن الصحفيون الوطنيون حملة لإنقاذه مما دفع الملك فيصل الأول فى أواخر أيامه إلى رفع شعار: لا مشروع قبل الغراف.

وكان ما حدث للغراف بمثابة كارثة وطنية. ولم يكن الحل مجهولاً أو عسيراً فبناء ناظم على صدره، وسد أمام فتحته كان سيساعد على تغذيته بالمياه طيلة أيام السنة. وقد اتجهت النية إلى إقامة هذا المشروع فأخذ رستم حيدر يعد العدة لوضع المشروع فى مناقصة دولية. حتى إذا خطا خطوة فى الاتجاه الصحيح احتج وزير المالية نصرت الفارسى على محاولة رستم حيدر، فقال: إن تسليح الجيش العراقى أهم من مشروع الغراف فى نظره.

وقد أيده وزير الداخلية ناجى شوكت، ووزير الخارجية نورى سعيد. وانتصر وزير المعارف صالح جبر، والوزير الكردى جمال بابان لرستم حيدر. وهكذا أُفشل المشروع الوطنى بدوافع طائفية وبريطانية محضة ().

سادسا: أسس البناء الطائفى

لقد أسس المستعمرون وأذنابهم أسساً متينة للسياسة الطائفية المحكمة فى العراق الملكى والجمهورى، ولعل تلك الأسس تتلخص فيما يلى:

١- العمالة: التبعية السياسية للمعسكر الغربى ولبريطانيا بشكل خاص. وقد التزمت به الحكومات العراقية المتعاقبة التزاماً يدعو للدهشة، وقتل بسبب محاولات الخروج عليه قادة عسكريون، ومواطنون بسطاء وزعماء وطنيون.

٢- القمع: حيث أن السلطة أنيطت للأقلية، وحيث أن اتجاهاتها كانت لصالح الارتباط العضوى بالستراتيجية الغربية، وبالمصالح البريطانية بوجه خاص، كان حدوث ردود فعل شعبية أمراً مفروغاً منه، مما فرض على السلطة استخدام نظام صارم من الاستبداد والقمع المستمر ضد الرأى الآخر والتعبيرات الحرة.

٣- القومية: الحكومة ليست للإسلاميين وأمثالهم، ولا حق للأكراد وأمثالهم فيها أيضا، وإنما هى حكومة قومية منذ عهد النقيب حتى يومنا هذا.

۴- الطائفية: تمذهب الدولة، ركن أساسى من أركان السلطة القومية فى العراق، وهو على شذوذه وغرابته أصبح (حقاً ثابتاً). فالسلطة للعرب وليس للأكراد، وللسنة العرب وليس الشيعة العرب.

۵- الجيش: يعتبر الجيش الأساس الذى لا تستغنى عنه السلطة السياسية، لا للغرض التقليدى لتأسيس الجيوش، وهو الدفاع عن البلاد بل لتثبيت وإسناد حكم الأقلية وصراعاتها الداخلية. وأن مسلسل الأحداث السياسية التى أدت إلى انتفاضات ومواجهات مع السلطة لهى ابرز شاهد على تأسيس الجيش لصالح الأقلية الطائفية المتسلطة.

القمع + البهتان + إسقاط الهوية:

لقد مورست أساليب بعيدة كل البعد عن الإنسانية وعن أوليات القيم الإسلامية والوطنية، لغرض تثبيت أركان الطائفية السلطوية، فكما لجأت حكومة الأقلية إلى حماية خارجية وإلى قمع داخلى، واتخاذ الاستبداد وسيلة لتثبيت حكمها، فأن أتباعها واصلوا البحث فيما يمكن أن يقدم لها مبررات الاستحواذ على شؤون البلاد. وقد كان طعن الأغلبية الشيعية بالشعوبية، وبالتهمة الفارسية، واحدة من الوسائل غير النبيلة لإضعاف مركز الأغلبية، فتقمع أصواتها بالاستبداد، وتطعن أصولها بالفارسية، كى تظل قابعة خانعة لقدرها المحتوم راضية بالمواطنة الثالثة.

وهكذا تم الانتقال إلى أدنى ما يمكن أن تصل إليه علاقة دولة بمواطنيها.

ففى الدولة الطائفية أقصى العرب الشيعة من التمثيل فى السلطة، وفى التهمة الثانية سحبت الهوية القومية والوطنية عن الأغلبية العربية، وأصبح ممكناً وميسوراً ومتوقعاً فى أى وقت، ومتى شاء أى مسئول فى الدولة القومية هذه، ترحيل من يشاء من المواطنين الشيعة عن العراق، واستباحة بيوتهم والاستيلاء على ممتلكاتهم باعتبارهم إيرانيين. وقد أنيطت مهمة كهذه إلى مثقفين قوميين، والى مؤسسات

ثقافية، ودور نشر مدعومة برساميل ضخمة، ما انفكت تبحث وتنقب فى دفاتر الشعراء والمفكرين القدماء والمعاصرين لعلها تعثر على بيت من الشعر فى الهجاء القومى، أو فى هجاء شخصية عربية لأى سبب، لتجعل منها مادة لكتاب يبدأ وينتهى بالدوران حول الشيعة.

ولقد عثر بديع شريف العانى، وعبد العزيز الدورى، وعبد الله سلوم السامرائى على شىء من هذا، وقد تناسى هؤلاء أن ثوابت كوكس النقيب، وتمذهب الدولة القومية قد طعن قبائل عربية فى القرن العشرين، بطريقة لم يستطع أن يتوصل إليها أبو نؤاس فى طعن القبائل العربية قبل ثلاثة عشر قرناً. الفرق أن أبا نؤاس حارب بنى أسد وبنى تميم ببيتين من الشعر. بينما حارب رجال الدولة القومية فى العراق، ومنهم هؤلاء الكتّاب بنى أسد وبنى تميم وبنى حجيم وآل فتلة والظوالم والخزاعل بإسقاط الجنسية العربية وبحرمانهم من هويتهم القومية.

وتصطبغ العلاقة بين السلطة الطائفية والناس، بالتوتر الدائم وسوء الظن وعدم الثقة والخوف المتبادل().

العلاج الكاذب والانتهاكات الصارخة:

لقد حاول مشرعو الدستور العراقى الصادر عام ۱۹۲۵ معالجة مشكلة الطائفية والعنصرية نظرياً، فخصصوا لها المادة السادسة من بين (۱۲۳) مادة تضمنها القانون الأساسى لإظهار مدى اهتمام الدولة بالنظر إلى جميع المواطنين نظرة متساوية. ونصت هذه المادة على أن لا فرق بين العراقيين فى الحقوق أمام القانون، وإن اختلفوا فى القومية والدين واللغة.

ولم يكن لهذه المادة أن تكبح الممارسات العملية التى تغفل تمثيل ومشاركة الأغلبية الشيعية، مما دفع زعماء بارزين، وعلماء دين إلى الاحتجاج المتواصل فى مذكرات مرفوعة إلى الملك، أو رئيس الوزراء تطالبهم باحترام الدستور، وتطبيق المادة السادسة منه.

ومن الممكن القول أن مذكرة أو حديثاً يدور حول الحقوق الدستورية كان لابد أن يذكر المسئولين فى السلطة بالمادة السادسة هذه. فكانت وهى تسعى لحقوق متساوية بين المواطنين، مثالاً يستند إليه السياسيون للدلالة على انتهاك مبدأ الحقوق المتساوية.

وقد عالج الدستور المؤقت الصادر فى ۱۶ تموز ۱۹۷۰ مسالة الحقوق والواجبات العامة، وضمان المساواة التامة بين العراقيين وحريتهم الشخصية، وحرمة منازلهم، وحرية ممارساتهم للطقوس الدينية، والتعبير عن حرية الرأى، والبحث والصحافة والطباعة والنشر، وحق الاجتماع والتعليم والرعاية الصحية.

ولا يعنى ذلك بأى حال، أن الدولة التزمت بفقرة من هذه الفقرات الدستورية. إن أنظمة الحكم المطبقة عملياً فى مختلف البلدان، لا تعكس عموماً الطراز السياسى المضمن فى الدساتير.

والدولة العراقية نموذج حى لتناقض أساليب الحكم مع نصوص الدستور.

وما زلنا نعتقد أن ثوابت الدولة القومية لاسيما طائفية الدولة، وارتباط سياستها بالمخارج وردود فعلها على العراقيين، قد جعل ممارسات هذه الدولة واحدة لا تستثنى منها حكومة ولا وزارة، وهذه نماذج خاطفة وسريعة للانتهاكات والخروق:

ممارسة التعذيب ضد المعارضين، خلافاً للمادة الخامسة للإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

القبض والحجز والنفى التعسفى، خلافاً للمادة التاسعة.

منع مواطنين من السفر لأسباب سياسية، خلافاً للفقرة الثانية من المادة (۱۳).

نزع الجنسية العراقية عن أشخاص لأسباب سياسية، خلافاً للمادة

(۱۵) بفقرتيها.

منع حرية الرأى والتعبير، خلافاً للمادة (۱۹).

منع قيام الجمعيات الحرة، خلافاً للفقرة الأولى من المادة (۲۰).

حرمان المواطن من إدارة الشؤون العامة لبلاده، إما مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً، خلافاً للمادة (۲۱).

حرمان العراقيين من الانتخابات النزيهة، خلافاً للفقرة الثالثة من المادة (٢١).

الحرمان من التنظيم النقابى الحر، خلافاً للمادة (٢٣).

لم تكن الضمانات الاجتماعية كافية، ولم يكن التأمين الاجتماعى قائماً فى حالات كثيرة، خلافاً للمادة (٢٥).

وبهذا تكون الدولة العراقية قد خالفت معظم إن لم تكن جميع المواد الأساسية التى جاء بها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والتى تضمنها الدستور العراقى الدائم والدساتير المؤقتة.

فقد أصدرت السلطة ما بين عامى ١٩٣١ ١٩٥٨ (٢٧) مرسوما لتحديد حرية الفكر، أو لإسقاط الجنسية، أو لفرض عقوبات إضافية على أصحاب الرأى الآخر. كانت حصة نورى السعيد منها (١٥) مرسوماً، ورشيد عالى الكيلانى (٧) مراسيم، والمدفعى (۴) مراسيم، وياسين الهاشمى مرسوم واحد.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار المدة التى قضاها كل منهم فى السلطة لوجدنا أن حصة الكيلانى ربما كانت ستزيد على حصة السعيد، وللمزيد راجع هذه المراسيم فى كتاب جرجيس فتح الله، العراق فى عهد قاسم السويد ١٩٨٩.

إن تمذهب الدولة هو الذى خلق وضعاً غير طبيعى وغير دستورى كهذا. ومع أن تمذهب الدولة جاء تعبيراً يتطابق مع الستراتيجية البريطانية لخلق بؤرة توتر دائمة فى العراق، فإنه جاء أيضاً فى فورة رد فعل وسيطرة روح انتقامية على مشاعر الإداريين والعسكريين البريطانيين الذين هالهم حجم الخسائر التى ألحقها بهم مسلحو الفرات الأوسط. فكانوا يريدون وبأية وسيلة إقصاء المشتركين فى الأعمال الحربية ومناطق الثورة بشكل عام عن أى تمثيل أو دور فى السلطة الجديدة.

وقد آن للجماعات الوطنية والإسلامية المختلفة سنة وشيعة والتى تسعى إلى حياة دستورية طبيعية فى العراق، أن تعيد النظر فى ثوابت كوكس – النقيب وعلى رأسها تمذهب الدولة وطائفيتها().

سابعا: الجيش والطائفية

إن مهمة الجيوش التقليدية فى العالم أجمع هو حفظ الثغور من الأعداء الخارجين، وتبقى بعيدة عن التدخل فى السياسة.. إلا أن جيش العراق الملكى أسس لغرض آخر، واستخدم لقمع الحركات السياسية والانتفاضات الشعبية، ودعم السياسة الاستعمارية فى العراق.

لقد حقق تأسيس الجيش العراقى لبريطانيا ليس فقط أنها لم تعد طرفاً عسكرياً فى قمع تحركات الوطنيين والعراقيين، فحسب وإنما هو المهم اختزالاً هائلاً فى النفقات العسكرية التى أرهقت دافعى الضريبة البريطانيين، فانخفضت النفقات البريطانية فى العراق من (٨٠) مليون باوند إسترلينى فى السنة المالية ١٩١٩١٩٢٠ إلى أقل من (٨) ملايين فى السنة المالية ١٩٢٢١٩٢٣ التى أعقبت تأسيس الجيش.

وأبدى الجيش العراقى فى استباحة الرميثة عام ١٩٣۶ ضروباً من التنكيل لم تشهدها الرميثة من الجيش البريطانى عام ١٩٢٠، فقد هوجمت بالطائرات الحربية، وعومل الثوار بأشد ما عرف من القسوة، وقتل كثير رمياً بالرصاص دون محاكمة. وكانت قوات الجيش تهاجم مناطق الفرات الأوسط، وتعقد محاكمات صورية، وتصدر وتنفذ أحكام الإعدام الفورى.

يقول عبد الرزاق الحسنى: إن مدير الشرطة العام (هاشم العلوى) أخبره أن الجيش قبض على ثلاثين ثائراً فاعتبرهم أسرى حرب، وأمر بكر صدقى برميهم بالرصاص فوراً، وتولت بلدية الديوانية دفنهم().

وعلى طريقة جيش الاحتلال، أحرق الجيش العراقى معظم القرى الشيعية فى الفرات الأوسط، أثناء ثورات الرميثة الأولى والثانية وسوق الشيوخ، واعتبر الفلاحون أعداء حقيقيين فى مواجهة جيش لا ينتسب بآصرة إلى هؤلاء الناس. ولم يتمرد إلا القليل من منتسبى الجيش على أوامر بإبادة الفلاحين فى الفرات الأوسط. فكوفئ ضباط الجيش براتب شهر إضافى على جهودهم هذه، وحين اعترض أحد أعضاء مجلس الأعيان (ناجى السويدى) على إكراميات الضباط، رد العسكرى بقوله:

كم كنت أود لو يشترك فخامة صاحب الاعتراض فى رحلة واحدة من تلك الرحلات ليرى كيف كان الضابط يحمل المدفع على كتفه ويسير مسارات شاسعة.

إن العسكرى نسى أن يحدثنا إلى أين كان يسير هذا الضابط بمدفعه؟

وإذا كان مبرراً للعسكرى ولرجل السلطة الطائفى أن يمجد الجيش العراقى، فلا نجد ما يبرر للمثقفين العراقيين أن يثنوا على الجيش كمتدخل بالسياسة وكجهة انقلاب.

فيقول الرصافى مرحباً بسيطرة الجيش على السلطة عام ۱۹۴۱:

وتطربى بالحمد منك الألسنا

اليوم قرى يا مواطن أعيناً

إذ قام فيك على البلاد مهيمنا

فلقد وفاك الجيش حقك سابغاً

ويقول الجواهرى فى انقلاب تموز عام ۱۹۵۸:

وبأنك الأمل المرجى والمنى

جيش العراق ولم أزل بك مؤمناً

ونقول: حين تصبح القوة العسكرية الغاشمة، وهيمنتها على البلاد نعمة سابغة وأمل مرجى، فلا يعنى ذلك سوى أن المثقف العراقى يحتاج إلى الكثير الكثير لكى يعى دوره فى الحياة().

طائفية الكلية العسكرية:

إنه لأمر غريب ومثير أن يحرم أبناء الوطن من أوليات حقوقهم العلمية والإنسانية، فالجامعات والمعاهد العلمية إنما هى لكل أبناء الوطن فى كل أرجاء العالم.. إلا فى العراق الذى تدار فيه كل المؤسسات فى داخل إطار الطائفية اللا إنسانى، والكلية العسكرية نموذجاً.. ولكن سيكون أمراً عادياً ومنطقياً فى ظروف طائفية الدولة، وحصر السلطة ومراكزها الأساسية بيد المذهب الحاكم، أن يشكل الجيش السياج الحقيقى لهذه السلطة، وعدم إفلاتها إلى الأغلبية حتى فى الانقلابات الداخلية، وتغير الحكام والحكومات. والجيش يعتمد بالدرجة الأولى على ضباطه، والضباط يأتون إلى الجيش عن طريق الكلية العسكرية، وبهذا تقوم الكلية العسكرية فى نظام الدولة الطائفية بدور مجلس العموم البريطانى، والكونغرس الأمريكى، والجمعية الوطنية الفرنسية، التى ترشح أو تسقط رجال السلطة التنفيذية. وإن طلاب الكلية العسكرية هم الناخبون المبكرون الذين سيعتمد عليهم، وعلى أصوات بنادقهم رجل السياسة فى السلطة المذهبية.

إن خطأً ترتكبه لجنة خاصة بمقابلة المتقدمين إلى الكلية العسكرية، بقبول طالب ما قد يقود إلى كارثة من وجهة نظر السلطة الطائفية.

يقول طبيب عراقى هو السيد نايف شنين، عضو لجنة الفحص الطبى الخاصة بالمتقدمين إلى الكلية العسكرية سابقاً، وأحد أعضاء حزب البعث:

إن فحصاً طبياً دقيقاً يتعرض له الطلاب المتقدمون إلى الكلية بدنياً وعقلياً، لكن عدد من الطلاب المتقدمين يخفقون فى اجتياز فحص الأذن والجنجرة حيث أنيطت المهمة بطبيب خاص، يحتفظ كما يبدو بمعلومات مؤشرة إزاء أسماء الطلاب الشيعة، فيجرى استبعادهم من القبول بهذه الطريقة. وأنا بما أتحمل من أمانة كطبيب، أؤكد أن حالات متكررة وفى كل عام كان الطلاب الشيعة يتعرضون لها، ولم تكن نتائج الفحص صحيحة ().

لقد أثير موضوع التمييز الطائفى فى القبول بالكلية العسكرية فى مجلس النواب العراقى عام ۱۹۴۵. ووعد وزير الدفاع أن مثل هذا

التمييز لن يحدث فى المستقبل!!؟

ويواجه الضباط الشيعة على ندرتهم مشكلات كثيرة فى الترقيات، وفى توزيعهم على وحدات الجيش، وفى تنسيبهم إلى المناطق العسكرية.

يقول ضابط عراقى سابق هو السيد عدنان عيدان: إن الفصيل الذى كان ينتمى إليه فى الكلية العسكرية كان يتكون من ۳۶ طالباً، موزعين على الشكل التالى: ۱۶ من الموصل، ۱۴ من مناطق أخرى، ۶ شيعة. وأنه قد نسب بعد تخرجه إلى العمل فى كردستان، وأحيل إلى التقاعد فيما بعد لكونه من المذهب المحكوم.

كان يستخدم ضباط الدولة الطائفية ضد جنودهم وأغلبيتهم الساحقة من جمهور الشيعة أنماطاً من السلوك الذى تمارسه أجهزة الشرطة السرية مع المدنيين المعتقلين فى أقبية المخافر، فضلاً عن الممارسة التقليدية التى تنبعث من شعور الضابط العراقى بالسمو والتعاظم أمام الجنود بشكل خاص والمجتمع المدنى بشكل عام.

ولا يتوانون عن استغلال وتوظيف قوانين الخدمة العسكرية، والانضباط العسكرى، وإطاعة الأوامر لأغراض الخدمة الشخصية، وتشغيل الجنود خدماً فى منازلهم، وحراساً شخصيين لأطفالهم.

وتتعامل ربة البيت العسكرى مع الجندى فى منزلها، بالطريقة المعتادة التى يتعامل بها زوجها الضابط مع جنوده فى المعسكر، وبالطريقة التى يتعامل بها المترفون من الطبقة الحاكمة مع خدمهم. فقد يحدث الانسلاخ الطبقى عند هؤلاء الفقراء المتوجهين إلى الكلية العسكرية منذ اللحظة التى يضعون فيها الرتب على أكتافهم. ويصبح من العسير إلا فى القليل النادر مشاهدة شىء من الانسجام بين الضابط ومجتمعه الطبقى القديم.

وكان قانون العقوبات العسكرى يوفر لمعظم الضباط الكثير من شعور المتعة بالتعذيب، إذ تقضى إحدى مواد هذا القانون بعقوبة الجلد، وكان الجلد عقاباً مصادقاً عليه فى الجيش العثمانى، ولدى القوات التى تخضع لوزارة المستعمرات البريطانية.

يصف الدكتور سندرسن باشا (طبيب العائلة المالكة) إحدى عمليات الجلد التى تفرض على الجنود: تمت عملية الجلد بالسوط وسط ساحة مثلثة الشكل محاطة بالقوات، شدت ذراعا الجندى المجلود وساقاه إلى إطار خشبى ثقيل أشبه بالحرف الإنكليزى (X)، وراحت الضربات تهوى على ظهره العارى بدقة وببطء، حتى تجاوزت الاثنتى عشرة ضربة بمقدار، وإلى أن تهرش جلده، وامتزج بعضه ببعض، وتهاوى ساقطاً على الأرض، تم إطلاق سراحه

بعد أن حضر الطبيب العسكرى، وأعيد إلى المعسكر فى إحدى سيارات

الإسعاف ().

فإلى أين ستقود علاقة من هذا النوع كلاً من الشعب إزاء سلطته، والجنود إزاء سلطتهم().

ثامنا: مقتطفات من (إعلان شيعة العراق)

لقد تحرك جمع من العلماء والمفكرين والسياسيين نحو مكافحة الطائفية السياسية، وأصدروا بيانا موضوعيا، ارتأينا أن نقتطف منه قبسات مشرقة، جاء فيه:

إن أبرز مظاهر الطائفيين الحقيقيين فى العراق هو إنكار وجود الطائفية، فى الوقت الذى يمارسونها كل يوم.

نعم، العنوان من شأنه أن يستفز أولئك الطائفيين، الذين ظنوا أن طول الممارسة الطائفية وقسوتها فى العراق من شأنها أن تزرع الخوف فى نفوس الشيعة، وتدفعهم إلى الاحتماء خلف انتماءات سياسية أو عقائدية، وهى انتماءات لم تفلح فى حمايتهم من التمييز الطائفى، ففى كل التيارات الفكرية السائدة فى الساحة العراقية يمارس التمييز الطائفى بمختلف الصيغ والأشكال. وتلك حقيقة ميدانية لا يمكن إنكارها، وهى من الثوابت الواضحة فى تاريخ العراق.

الولاء للوطن وليس للطائفة

ويثير البعض مشكلة الانتماء، إذ يرون فى طرح الانتماء المذهبى تقديماً للولاء للطائفة على الولاء للوطن. والواقع أن الإعلان حين يدعو إلى إلغاء الطائفية السياسية، إنما يسعى إلى تكريس الولاء للوطن، ففى ظل السياسة الطائفية التى تمارس فى العراق يكون الولاء للطائفية بديلاً من الولاء للوطن أو مقدماً عليه. فكما أن إحساس العراقى الكردى أو التركمانى بانتمائه القومى لا يؤثر على ولائه للوطن؛ فإن إحساس العراقى الشيعى بشيعيته لا يضعف من هذا الولاء، فالوطن هو الإطار الواسع الذى يجمع كل المكونات القومية والمذهبية. والانتماء إليه والمساهمة فى بنائه والدفاع عنه هو القاسم الذى يوحد الجميع. لقد عملت السياسة الطائفية والعنصرية التى مورست فى العراق على تقسيم العراقيين إلى مواطنين من درجات مختلفة، حيث عومل الشيعة على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية. وفى ذلك تجريح للمنظومة الوطنية العراقية، وتجاوز للقيم الوطنية الصحيحة.

الشيعة اكبر ضحايا النظام

لقد مارست السلطات فى العراق، خصوصا النظام البعثى، نهجاً طائفياً، امتد إلى مناهج التعليم ومؤسسات الدولة، خصوصاً المؤسسة العسكرية وميادين الاقتصاد المختلفة، أدى إلى تهميش دور الشيعة فى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية فى العراق.

لقد مارس النظام إساءات متعمدة ومتواصلة للتراث الثقافى والدينى للشيعة، وعمل على التشكيك بعروبة المواطن الشيعى وعراقيته، والطعن فى قيمته الأخلاقية.

ويكفى أن نشير إلى أن أكثر من مائتى ألف شيعى قتلوا على يد النظام خلال أحداث انتفاضة ۱۹۹۱، حسب تقرير فان دير شتول المقرر العام لحقوق الإنسان فى العراق، المكلف من جانب الأمم المتحدة، إضافة إلى قتل المئات من علماء الدين الشيعة، وحرق المكتبات، وضرب أضرحة أئمة الشيعة بالصواريخ والأسلحة الثقيلة.

لقد تكشف الوجه الطائفى للنظام فى شكل صارخ خلال الانتفاضة، حين رفعت قوات النظام شعار: (لا شيعة بعد اليوم)، والذى يعنى عزم النظام على استئصال الشيعة، وتغيير التركيبة السكانية للعراق.

إننا عندما نتحدث عن ظلامة الشيعى، فإننا نتحدث عن ظلامة العراقى تماماً، كما هى الحال عند الحديث عن مظلومية أى مواطن عراقى آخر، ولا يعنى ذلك أبداً التقليل من الظلم الذى تتعرض له بقية الفئات العراقية.

الطائفية فى العراق قانون غير مكتوب

إن أبرز مظاهر الطائفية فى العراق، هو إنكار الطائفيين وجودها فى الواقع العراقى، مع أنها من أبرز المظاهر السياسية والاجتماعية فى هذا الواقع. فرغم عدم وجود قانون مكتوب بتقنين الطائفية إلا أنها المادة الثابتة فى القوانين العراقية. ويكفى المنصف أن يلقى نظرة على المؤسسة العسكرية العراقية ليكتشف دون عناء سياسة التمييز الطائفى التى تمارس فيها. فالمراتب العليا فى الجيش العرقى تشهد استبعاداً واضحاً للشيعة حيث لا يشكلون أكثر من ۵ فى المائة من مجموع قيادات الجيش، والأمر ذاته ينطبق على مؤسسات الدولة الأخرى، إذ يشكل الشيعة أقلية فى المواقع القيادية فى تلك المؤسسات. ولعل الوزارة العراقية نموذج صارخ فى هذا المجال، فرغم أن حزب البعث الحاكم حزب علمانى، ويشكل الشيعة فيه الأكثرية العددية، إلا أن الحقائب الوزارية التى تعهد إليهم لا تشكل إلا نسبة ضئيلة لا تذكر، والقضية ذاتها تنطبق على المواقع القيادية فى حزب البعث العراقى.

من هم الشيعة؟

فى معرض تعريفه للشيعى أشار (إعلان شيعة العراق)، إلى أن المقصود بالشيعى: كل فرد له ولاء أو انتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام. فالشيعى: هو كل من ينتمى إلى المذهب الجعفرى بالولادة أو بالاختيار، فالشيعة ليسوا عرقاً أو جنساً أو قومية، إنما الكيان الشيعى يتشكل من فئات اجتماعية متنوعة عانت من الاضطهاد الطائفى على مدى قرون طويلة. وهذا التعريف ينطلق من الواقع العملى، وليس من منطلقات فكرية عقائدية.

فالانتماء إلى الشيعة بهذا المعنى لا يرتبط بإيمان الشخص، أو التزامه بتفاصيل المذهب الجعفرى، وإنما يعود إلى انحدار الشخص أسرياً، أو قبلياً، أو تاريخياً إلى الشيعة، وهو أمر يجعله مادة للاضطهاد الطائفى الذى مارسته الأنظمة فى العراق.

ونعيد مرة أخرى إلى الأذهان ما ورد فى نص الإعلان، من أن هذا التعريف هو تعريف واقعى عملى، وليس تعريفاً فكرياً عقائدياً نظرياً. وكان الدافع وراء اعتمادنا هذا التعريف القاموسى، هو محاولة استيعاب الدائرة الشيعية بكل انتماءاتها السياسية والفكرية والثقافية.

الديموقراطية وحدها لا تكفى

يرى البعض أن الديموقراطية وحدها هى الحل الشامل لمشكلة الإنسان العراقى، وبذلك فإن معالجة المشكلة الطائفية تندرج فى شكل طبيعى ضمن حلول النهج الديموقراطى، وعليه فهؤلاء يرون أنه لا حاجة إلى تسليط الضوء على المشكلة الطائفية، والبحث عن السبل الكفيلة بمكافحتها.

فنقول: شكلت الديموقراطية أحد الأسس الثلاثة التى طرحها الإعلان فى رؤيته لمستقبل العراق إذ جاء فيه: يطرح هذا الإعلان نظرة الشيعة لمستقبل العراق، والتغييرات الأساسية التى يجب اعتمادها من أجل تحقيق العدل والمساواة، وهو يرى بأن العراق من أجل أن يعيش مستقبله الذى يتطلع إليه شعبه، فإنه لابد من اعتماد الأسس التالية:

١- الديموقراطية.

٢- اللامركزية.

٣- إلغاء سياسة التميز الطائفى.

وهذه الأسس الثلاثة تشكل أعمدة لمستقبل الوضع السياسى فى العراق من وجهة نظرنا، ولا يمكن الاستغناء عن أحدها، فهى مترابطة ومتكاملة، فغياب أحدها يؤثر سلباً على العناصر الأخرى. فالديموقراطية لا يمكنها معالجة مشكلات العراق دون تزامنها مع إلغاء السياسة الطائفية المتجذرة فى الواقع السياسى العراقى. كما أن عدم التناسق والتساوى فى مكونات المجتمع العراقى قومياً ومذهبياً، بحاجة إلى اعتماد سياسة لامركزية، تحول دون أن تؤدى الممارسة الديموقراطية إلى فرض الغالبية على بقية المكونات. كما أن اللامركزية مقدمة ضرورية لبناء مؤسسات المجتمع المدنى.

النظام وراء إثارة المخاوف الطائفية

وأثار البعض أن النظام الحاكم هو الذى سيستفيد من هذا الطرح، بدعوى استنفار السنة وتأليبهم ضد الشيعة، مما يجعلهم يوفرون حماية قوية للنظام.

والحقيقة أن نظام صدام عمل دوماً على إثارة المخاوف الطائفية، وتوظيفها لحماية نظامه. ففى ذروة المواجهة بين الشعب العراقى والسلطة، سعى النظام لتصوير تلك المواجهة على أنها صراع شيعى سنى. غير أن وعى العراقيين بطبيعة النظام فوت عليه هذه الفرصة، وخلال أحداث انتفاضة ١٩٩١ سعى النظام إلى إثارة السنة وتخويفهم من المنتفضين، ورفعت قواته شعار: (لا شيعة بعد اليوم) السيئ الصيت، غير أنه لم تسجل حادثة واحدة لمقتل سنى فى المناطق الشيعية التى سيطر عليها الثوار.

الطائفية حقيقة كبرى أمام العالم كله

لقد أصبحت مشكلة الأكثرية الشيعية الناجمة عن الاضطهاد الطائفى، حقيقة كبرى أمام العالم بأسره، ولم تعد شأناً عراقياً أو محلياً خاصاً، فدول العالم ومنظماته مثل: منظمة مراقبة حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، والمقرر الخاص فان دير شتول، تعترف بوجود مشكلة طائفية حادة فى العراق. وعبرت الدول المعنية بالشأن العراقى عن اهتمامها بهذه المشكلة، وإدراكها لمعاناة الأكثرية الشيعية، وما تعرضوا ويتعرضون له من اضطهاد طائفى واضح على يد سلطات الحكم، مثل: تقارير البرلمان البريطانى، ووزارة الخارجية الأمريكية، والبرلمان الأوروبى.

إن الواقع السياسى فى العراق، والتفهم الدولى لأزمة الطائفية، يستدعيان العمل على صياغة الرأى الوطنى العراقى حول مشكلة الشيعة العراقيين، وضرورة تثبيت حقوقهم الحيوية المتفق عليها من قبل كافة أطرافهم وفئاتهم السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية.

الشيعة والحكومة العراقية الحديثة

كانت تجربة تشكيل الحكومة العراقية عام ۱۹۲۰م، بمثابة الصدمة الكبرى لشيعة العراق، والفاصل التاريخى فى حياتهم السياسية، فقد تم تصميم نظام الحكم وفق منهج طائفى متعمد، استبعد الأكثرية الشيعية ورجالاتها من مواقع الدولة المتقدمة، وأمتد هذا المنهج ليكون الفقرة الثابتة غير المدونة فى الدستور العراقى، لكنها مقروءة ومستوعبة عند كل ساسة العراق الملكيين والجمهوريين على حد سواء.

فمع أن تاريخ العراق الحديث وتأسيس الحكم الوطنى، قد تم بجهود أساسية من الشيعة، حيث كان لهم الدور الأكبر فيه، وفى تفجير الثورة العراقية الكبرى عام ۱۹۲۰م، فقد استبعدوا من الحكم، وتم إعطاؤهم دوراً بسيطاً لا يتناسب مع حجم الدور الذى لعبوه فى الحياة السياسية، وقيادتهم للنضال الوطنى ضد الاحتلال. وكان ذلك بداية لسياسة طائفية فرضت على العراق وصارت هى الأساس المتوارث عبر الحكومات الملكية والجمهورية.

هدف السلطات من الطائفية:

واجه الاحتلال البريطانى تماسكاً اجتماعياً متيناً بين السنة والشيعة، حيث كانت كلمة العراقيين واحدة فى رفض الاحتلال، والمطالبة بحكومة وطنية مستقلة، وأخذ التلاحم الشعبى شكله السياسى المعارض فى رفض المشاريع والطروحات التى تقدمت بها إدارة الاحتلال، وتصاعد المد الوطنى الموحد ليعلن معارضته فى ثورة العشرين الخالدة التى قادها علماء الشيعة ورجالاتهم، والتى جعلت بريطانيا تسارع فى تشكيل حكومة عراقية على أساس طائفى، بهدف تفتيت الوحدة الاجتماعية، وتغليب مصلحة طائفة معينة على المصلحة الوطنية، وأصبحت هذه السياسة الطائفية منهجاً سارت عليه الحكومات التى تعاقبت على حكم العراق.

لقد سعت السلطات البريطانية منذ البداية إلى إقناع السنة، بأن الحكم والمناصب المتقدمة فى الدولة بمرافقها المدنية والعسكرية، هى حق لهم وحدهم، وأن أية مشاركة للشيعة ستكون على حساب السنة، وبذلك نجحت السلطات فى العهدين الملكى والجمهورى فى إضعاف التماسك الوطنى أولاً، وإضعاف دور الأكثرية الشيعية ثانياً. وعملت على محاصرة وطنية الشيعة بتهمة الطائفية رغم أنهم ضحايا الطائفية. فى حين أضفت على الطائفية السياسية لبوس الوطنية.

إن مقولة: (أنا صاحب البلاد، فما شأنكم أنتم)، التى قالها عبد الرحمن النقيب أول رئيس وزراء عراقى ضد ممثلى الشعب الرافضين لمعاهدة الانتداب، وكان أغلبهم من الشيعة، كانت هى التعبير الدقيق لتوجه سياسى أخذ مساره فى الحكم العراقى. وصار رفض الوجود الشيعى فى الدولة، هو الخط العام لسياسات الحكم، فالأقلية السنية يجب أن تحكم وتمسك بعوامل القوة المدنية والعسكرية

والاجتماعية، فيما تبقى الأغلبية الشيعية محاصرة معزولة، وبذلك يتحقق التوازن فى العراق وفق نظرة السلطات، إذ أريد للتفوق السكانى أن يضعف بالتمييز والاضطهاد الطائفى.

وعلى هذا النهج كانت تصمم السياسة العراقية، فحورب شيعة العراق وامتهنوا وأبعدوا من المناصب الحساسة، وفرض عليهم حصار صارم، ووجهت ضدهم حملات إعلامية عنيفة استهدفت تحطيمهم نفسياً.. مقابل تثقيف طائفى لأبناء السنة بخطورة الحالة الشيعية على وجودهم ومواقعهم، وكيانهم السياسى والاجتماعى.

وقد تمادت السلطات مع مرور الزمن فى ممارسة الاضطهاد ضد الشيعة، حيث كان كل حاكم جديد يجد أمامه غضباً شيعياً متراكماً، فيسعى إلى إضعاف الوجود الشيعى وتقليص كيانه أكثر فأكثر، فى محاولة لقمع الغضب والحيلولة دون انفجاره، لكن ذلك كان يقود نحو الانفجار المؤكد.

وكان من مظاهر تصاعد موجة الاضطهاد الطائفى ضد الأكثرية الشيعية، أن النظام الحاكم، عمد إلى محاربة كل مظهر شيعى فى البلاد ضمن مخطط تعسفى يريد القضاء على الشيعة ومؤسساتهم وممارساتهم الدينية، فأغلق المدارس والكليات الشيعية مثل:

كلية الفقه فى النجف، وكلية أصول الدين فى بغداد، وألغى مشروع جامعة الكوفة..

وقام بحملات تهجير لتجار الشيعة لإضعافهم اقتصادياً، وحارب الحوزات العلمية، ومنع المراسم الحسينية، وصادر الكتب، وهدم المكتبات، وأغلق المؤسسات الشيعية فى سياسة يعرفها الجميع، أدت إلى دفع العراق إلى أزمة خطيرة ما يزال الشعب العراقى عموماً، والشيعة خصوصاً يعانون من ويلاتها ومحنها.

الطائفية السياسية

رغم طول الفترة الزمنية التى اعتمدت فيها سياسة التمييز الطائفى، إلا أن العراق لم يشهد حالة الاضطهاد الطائفى الاجتماعى، بمعنى أن الشيعة لم يتعرضوا لاضطهاد اجتماعى من قبل الطائفة السنية، إنما وقع الاضطهاد عليهم من قبل نظام الحكم الطائفى، وهذه مسألة يجب التوقف عندها وتأملها بشكل دقيق، لأن ما وصل إليه العراق من أزمات كان نتيجة سياسة التمييز الطائفى للأنظمة الحاكمة. ولا بد من إعطاء هذه المسألة الأولوية فى كل مشروع يهدف إلى تخطيط مستقبل العراق السياسى، فهى الضمان لعدم تكرار مأساة الأمس فى عراق الغد.

فمن الضرورى جداً التمييز بين الحالة المذهبية كمظهر فكرى واجتماعى فى الواقع العراقى، وبين سياسة التفرقة الطائفية، إذ أن العراق يعانى من مشكلة النظام الطائفى وليس من الحالة الطائفية، فليست هناك مشكلة اجتماعية بين السنة والشيعة، والعراق هو نموذج متقدم للانسجام الوطنى بين فئاته وقومياته وطوائفه، وعاش السنة والشيعة، فى انسجام وتوافق ينـدر أن نجد له نموذجاً فى البلدان الأخرى. ولقد كان النضال الوطنى من أجل الاستقلال مشتركاً بين السنة والشيعة، بدءاً من علماء الدين من الفريقين، وانتهاءا بالقواعد الشعبية. وكانت الأحزاب السياسية الوطنية تضم السنة والشيعة، ولم يكن هناك أى حس طائفى فى قضايا العراق المصيرية، وقد واجهت سلطات الاحتلال مشكلة الوحدة الوطنية والتلاحم الاجتماعى الكبير الذى ساد الساحة العراقية قبل تشكيل الحكم العراقى الحديث.

وكان هدف الشيعة تحقيق الاستقلال العراقى وبناء الدولة الجديدة على أسس وطنية ترفض كل مظهر يخل بالاستقلال ويتجاوز إرادة الشعب. ولعل مطالبتهم بملوكية أحد أنجال الشريف حسين هو الدليل الأكبر والوثيقة التاريخية الأوضح على تجاوزهم العقدة الطائفية، وتقديم الاستقلال الوطنى فوق كل اعتبار. وكان بمقدورهم أن يطالبوا بملك عربى شيعى وهم آنذاك القوة الاجتماعية والسياسية الأولى فى ساحة المعارضة. بل أن ملوكية فيصل بن حسين ما كانت لتتم لولا موافقة مراجع الدين الشيعة وزعمائهم.

إن أزمة العراق السياسية لم تنجم عن طائفية اجتماعية، ولا من عقدة شيعية تجاه السنة، ولا العكس، إنما نشأت من النظام السياسى الحاكم الذى أعتمد النهج الطائفى كأساس لإدارة السلطة، وصار اضطهاد السلطة للشيعة ممارسة سائدة فى الحياة السياسية العراقية،

أفرزت الكثير من الأزمات والتعقيدات التى أوقعت العراق فى الدكتاتورية وغيبت عنه كل مظاهر الديمقراطية والحرية.

وعلى هذا فإن الخروج بالعراق من أزماته السياسية، ورسم معالم مستقبله السياسى لا يتم إلا بإبعاد المشكلة الطائفية من نظام الحكم القادم، والتعامل على أساس وطنى كامل فى تصميم السلطة، بعيداً عن التقسيمات والنسب الطائفية.

التمايز المذهبى والتمييز الطائفى

من القضايا الأساسية التى يجب تحديدها بدقة، قضية التمايز المذهبى وتفريقه عن التمييز الطائفى، فهناك خلط متعمد من قبل السلطات، تحاول توظيف التمايز المذهبى فى سياسة التمييز الطائفى التى تعتمدها.

إن التمايز المذهبى حقيقة شاخصة فى المجتمع العراقى لها جذورها التاريخية القديمة التى تعود إلى صدر الإسلام، فالمجتمع العراقى المسلم متوزع بين السنة والشيعة وليس فى ذلك ضير، فقد عاش أبناء المذهبين حقباً تاريخية طويلة دون أن تكون بينهما أزمة طائفية. وعليه فإن التمايز المذهبى لا يشكل أزمة اجتماعية أو فكرية أو سياسية فى الواقع العراقى، ومن حق كل فرد أن ينتمى إلى المذهب الذى يؤمن به، وأن يعتز بهذا الانتماء.

لكن المشكلة تكمن فى التمييز الطائفى، وهى الثغرة التى مرقت منها أنظمة الحكم نحو تفتيت الوحدة الوطنية، وصاغت مناهجها على أساس التمييز الطائفى، أسفر عن حرمان الأكثرية الشيعية حقوقها السياسية والمدنية، إذ اعتبرتهم السلطات مواطنين من الدرجة الثانية، وأصبحت الشيعية تهمة أو سبباً كافياً لإبعاد المواطن الشيعى عن المناصب المهمة مهما بلغ من درجات الكفاءة، بغض النظر عن متبنياته الفكرية والسياسية، بات يكفى أنه ولد من أبوين شيعيين ليواجه الاضطهاد ويدفع ثمن التفرقة الطائفية طوال حياته.

إن إبعاد الشيعة عن السلطة والمراكز الحساسة، حقيقة واضحة لا يمكن التغطية عليها، وأن الاضطهاد الطائفى الذى تعرضوا له من قبل أنظمة الحكم مظهر بارز فى الحياة السياسية العراقية، ومن أجل صنع عراق جديد لا بد أن نفهم ماذا يريد الشيعة، ولا بد من رفع الظلم عنهم وإعطائهم حقوقهم السياسية والمدنية والدستورية التى حرموا منها طوال الفترات التاريخية الماضية.

إن ضمان الحقوق السياسية والمدنية يستدعى الأخذ بنظر الاعتبار ضرورة تشريع قوانين محددة لمعالجة التمييز الطائفى، وإزالة كافة مظاهر التفرقة الطائفية فى العراق، بما فى ذلك استحداث هيئات رسمية خاصة لمراقبة ظاهرة التمييز وسير التشريعات بهذا الخصوص.

إن الشعور بالانتماء إلى مذهب معين يجمع أبناءه تراث وتأريخ واحد وتربطهم عوامل مشتركة وعادات وشعائر متشابهة مسألة طبيعية. ويحق لكل إنسان أن يعلن انتماءه المذهبى وينظم حياتهُ الروحية كما يرى، ولكن ينبغى أن لا يؤدى ذلك إلى طائفية سياسية أى أن لا يكون العمل السياسى على أساس طائفى.

شيعة العراق والوحدة الوطنية

أثبتت تجارب التاريخ العراقى فى مختلف حقبه الماضية، أن شيعة العراق لم تكن لديهم أية نزعة لتشكيل كيان سياسى خاص بهم، بل أعطت الممارسة السياسية للشيعة أدلة واضحة على تمسكهم بوحدة التراب العراقى، وكانوا دوما حريصين على الوحدة الوطنية. وهذا ما يمكن اكتشافه من طبيعة نضالهم الوطنى، لاسيما منذ الحرب العالمية الأولى والفترات التالية لها وهى فترة تشكيل الدولة العراقية بحدودها الرسمية الحالية. حيث خلا تاريخ النضال الشيعى بمختلف اتجاهاته وتياراته الإسلامية وغير الإسلامية من النزعة الانفصالية، بل أكد الشيعة على وحدة الوطن والشعب وهذا ما تثبته الوثائق وأحداث التاريخ.

فالشيعى العراقى يعتز بوطنيته، فالاتجاه العام لدى الشيعة كان يميل إلى تبنى أهداف الثورة العربية التى رفع لواءها الشريف حسين فى الحجاز، وطالب بملوكية أحد أنجاله، مما كان له الأثر الكبير فى حصول فيصل بن الشريف حسين على عرش العراق.

هذا الموقف التاريخى للشيعة لم يقابل بإحسان ومعروف من قبل الحكومات العراقية، فقد تنكرت الأنظمة الحاكمة لدورهم الرائد فى

الحفاظ على الوحدة الوطنية، وفى تشكيل كيان الدولة العراقية، وفى النضال من أجل عراق دستورى مستقل.

إن أقدم الحركات والأحزاب الشيعية فى العراق كانت واضحة فى أهدافها وبرامجها السياسية، فهى تسعى إلى تحقيق الاستقلال وتشكيل دولة دستورية تمتد من شمال ولاية الموصل إلى جنوب ولاية البصرة. وكانت عبارة (حكومة عربية إسلامية) التى كتبها علماء الشيعة ورجالاتهم فى استفتاء ۱۹۱۹م، هى الوثيقة التى لا تقبل التحريف والجدل والتأويل على تمسك شيعة العراق بالحكم العربى المسلم، وقطع الطريق أمام أى طرح سياسى يتجاوز الاستقلال الوطنى.

وقد ظل هذا الموقف الشيعى ثابتاً فى الفترات التالية رغم الاضطهاد والتمييز الطائفى الذى مارسته السلطات الحاكمة، والذى نال رواد الاتجاه الوطنى مثل الشيخ مهدى الخالصى الذى نفته حكومة عبد المحسن السعدون إلى خارج العراق مع أنه ساهم فى كسب التأييد الشيعى للحكم الوطنى، وكان إبعاده بتأثير طائفية السلطة ومحاولة التخلص من زعيم وطنى طالب بالاستقلال الكامل وبالدستور الوطنى النزيه.

لم تؤثر النزعة الطائفية على توجهات شيعة العراق، وظلوا متمسكين بالوحدة الوطنية إلى أبعد الحدود، وللإنصاف كانوا هم أكثر من ضحى لاستقلال العراق ووحدته، وأكثر من خسر وتضرر، وكأن السلطات تكفلت بالانتقام منهم نيابة عن المحتل الأجنبى.

وحينما وصلت الأوضاع إلى أزمتها المتفجرة الحالية، لم يطرح شيعة العراق شعار الانفصال أو فكرة مشابهة على الإطلاق، بل أجمعت الفصائل الشيعية الفاعلة فى المعارضة العراقية حتى اليوم على وحدة العراق الوطنية وضرورة الحفاظ عليها كهدف استراتيجى ثابت.

إن وحدة العراق بحدوده الرسمية الحالية ووحدة شعبه بكل فئاته وقومياته وأقلياته، مطلب شيعى وخط ثابت يتمسك به شيعة العراق، وهو ما يمكن ملاحظته فى كافة سياقات الخطاب الشيعى مهما اختلفت مصادره.

إن شيعة العراق أثبتوا تاريخياً أنهم يضحون بحقوقهم من أجل المصلحة الوطنية، وأن مطالبتهم بحقوقهم السياسية والمدنية ورفضهم للسياسة الطائفية هو نهج وطنى مخلص، من شأنه أن يعزز الوحدة الوطنية، وهو أمر يجب أن يأخذه فى الاعتبار كل عراقى مخلص ويضعه فى قمة الأولويات والثوابت الخاصة بمستقبل العراق.

الفصل الرابع من أرشيف الطائفية

الفصل الرابع من أرشيف الطائفية

?أكثر من ثمانين عاما من عمر الوزارات العراقية للأقلية

وأقل من أربع سنوات للأكثرية!

?اكتشاف ۲۳۸ مقبرة جماعية أغلبها فى مناطق الأكثرية الشيعية

وبعضها فى المناطق الكردية!

والحبل على الجرار...

آلاف القضايا الطائفية

تاريخ العراق السياسى يزدحم بآلاف الأحداث والأرقام والقضايا الطائفية التى لا حصر لها..

ولقد جمعنا منها صورا مختلفة ومنوعة وهى ليست إلا غيض من فيض.

مسلسل المعاناة فى العهدين الأموى والعباسى

لقد مر التشيع بعد استشهاد أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام بفترة عسيرة جداً، وذلك أيام حكم معاوية بن أبى سفيان، حيث وصل الخال فيها إلى محاولات اجتثاث التشيع، وذلك بقتل جميع من ينتسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو يواليه أو يتبع طريقته.

وبما أن حكم معاوية كان يتركز فى الشام، فقد أرسل إلى العراق وخصوصاً الكوفة لأنها كانت مركز التشيع فى ذلك الوقت بعض الحكام الظلمة مثل زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة وأمثالهما، فساسوا أهل العراق بالظلم، وقتلوا عدداً كبيراً من الشيعة فى العراق().

وكاد معاوية أن يقضى على الشيعة فى العراق، لولا منهج أهل البيت عليهم السلام حيث أوصوا إلى شيعتهم باستخدام أسلوب التقية (أى التكتم فى الاعتقاد والعمل)، وفى هذه الفترة أصبح الشيعى محل اضطهاد من قبل أغلب حكام بنى أمية، ولكن هذه الحالة لم تدم، ففى آخر عهد بنى أمية ضعف سلطانهم، وأخذ الشيعة يعملون بصورة أوسع، ورفع عنهم الضغط بعض الشىء.

وعند مجىء حكام بنى العباس إلى السلطة سمحوا للشيعة فى البداية بالعمل بمذهبهم ونشر علومهم؛ وذلك لأن بنى العباس لم يصلوا إلى الحكم إلا بشعار أخذ الثأر من بنى أمية للإمام الحسين عليه السلام وآل على عليه السلام.

نهاية الحكم الأموى

إن فترة نهاية حكم بنى أمية وبداية مجىء حكم بنى العباس تمكن الشيعة فيها من العمل بنطاق واسع من أجل نشر التشيع، وقاموا بإنشاء المدارس العلمية فى العراق والحجاز وغيرهما لتدريس العلوم الدينية بجميع أنواعها، من فقه، وأصول، وعلم الكلام، وتفسير، وحديث وغيرها، وذلك على منهج أهل البيت عليهم السلام، وقد ضمت حلقاتها آلاف الطلبة، وكل هذا كان مقارناً لزمن الإمام الباقر والإمام الصادق.?

ولكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ أحس بنو العباس بخطر العلويين على عروشهم الظالمة، لأنهم كانوا يريدون الحكم من أجل الدنيا بينما أراد العلويون وعلى رأسهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إقامة حكم الله فى الأرض، ولم يكن يتماشى هذا مع رغبتهم الدنيوية والمادية، فعندما حارب بنو العباس العلويين وأشياعهم، وجميع من ينتمى إليهم، بشتى الوسائل والطرق، حتى فاق ظلمهم ظلم بنى أمية حتى قال أحد الشعراء:

معشار ما فعلت بنو العباس

تالله ما فعلت أمية فيهم

إلى أن خفت حدة الظلم والمطاردة للشيعة فى عهد المأمون نسبياً، حيث فرض منصب ولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام، وذلك بمؤامرة من المأمون نفسه فى قضية تاريخية مشهورة()، ولكن لم تستمر هذه الفترة طويلاً، إذ عندما استشهد الإمام الرضا عليه السلام عاد الظلم والمجاهرة بالعداء لكل من ينتمى إلى آل محمد عليهم السلام وشيعتهم، وتجسد الظلم فى زمن المتوكل العباسى بأبشع وأفظع صورة()، واستمرت الحالة على هذا المنوال حتى أخذ الحكام يقتلون الشيعى ويبيحون دمه وماله وجميع ممتلكاته.

وأهون فترة مر بها الشيعة فى حكم بنى العباس هى فترة تولى (المستنصر لدين الله) الحكم، واستفاد الشيعة من هذه الحرية التى كانت فى زمنه فأخذوا فى نشر التشيع، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلاً، فعند وفاته عاد الظلم والقتل بحق أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام. وهكذا كانت الأحوال تتقلب من حال إلى حال.

الدولة العثمانية والضغط الطائفى

بعد ما سيطرت الدولة العثمانية() على مقاليد الحكم، تغير حال الشيعة فى العراق عما كانوا عليه فى زمن الدولة الصفوية، فلقد عاد الظلم والاضطهاد، وأصبح كل من ينتمى إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام ويعرف بأنه من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام معرضاً

للقتل والتشريد، وشتى أصناف التعذيب الأخرى.

وكان المذهب الرسمى فى الدولة العثمانية هو المذهب الحنفى، ولم يكتفوا فى جعله فوق المذاهب بأسرها، بل عمدوا إلى ضرب كل المذاهب الأخرى وخصوصا المذهب الشيعى. وسعوا إلى نشر المذهب الحنفى بأسلوب الترغيب والترهيب فى جميع أرجاء العراق، حيث كانوا ينشرونه بصورة سرية فى المناطق الجنوبية من العراق وفى العتبات المقدسة، والتى كان كل سكانها من الشيعة إلا ما ندر، كما قاموا بنشر مذهبهم وبصورة علنية فى شمال العراق، وبعض المناطق التى يكثر فيها السنة.

ونتيجة لمقاومة الشيعة الشديدة، وقوة نفوذهم وتأثيرهم أجبر بعض الأمراء الأتراك على مسالمة الشيعة، فقد أجروا بعض التعديلات والتعميرات فى العتبات المقدسة، وزارها بعض ولاتهم. ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض المؤرخين قال: إن الشيعة لاقوا من المتعصبين العرب الذين كانوا تحت حكم الدولة العثمانية الحاقدين على التشيع، وعلى مذهب أهل البيت عليهم السلام أكثر مما لاقوه من حكام الأتراك أنفسهم، وقد أثبت التاريخ حينما رحل الترك عن العراق فإن الأوضاع المأساوية ظلت على ما هى عليه إن لم نقل أنها تفاقمت().

نظرة إلى واقع العراق المعاصر

إن العراق عاش تجربتين قاسيتين بعد نيله الاستقلال، والتجربتان هما:

أولاً: الحكم الملكى، الذى بدأ بالملك فيصل الأول()، الذى عملت بريطانيا على رسم صورة حكمه وتنصيبه، لإخماد نار الثورة العراقية الكبرى عام ۱۹۲۰م التى قادها المرجع الأعلى الميرزا محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه()، وكانت تجربة فيصل فاشلة للغاية، والتاريخ يشهد بذلك.

ثانياً: الحكم العسكرى والجمهورى: المتمثل ب (عبد الكريم قاسم)() الذى أطاح بالحكم الملكى الذى كان (نورى سعيد)() أحد أكبر رموزه.

و(عبد السلام عارف)().

ثم من بعده (عبد الرحمن عارف)()، إلى حكم (أحمد حسن البكر)() المشئوم، ثم حكم صدام() وهو الأشأم من بينهم.

والمتتبع أحوال هؤلاء الحكام والمسئولين والأوضاع التى كانت فى عهودهم، يدرك جيداً مدى فشل هذه الحكومات، ولم يكن هذا الفشل إلا تخطيطاً من جهة الاستعمار فلم يكن باللاشعور بل كان مدروساً ومخططاً له لتأخير المسلمين والسيطرة على ثروات العراق.

وكان تخلى بعض الناس عن مسؤولياتهم فى الماضى، وتخلى بعض آخر عن حقوقه، وإهمال الجانب السياسى مضافاً إلى عوامل أخرى أدت مجتمعة بمجيء بصدام على رأس حكومة العراق، ولو تكررت هذه الأمور مجدداً فلعلها ستأتى بشخص هو أسوء من صدام، لا قدر الله ذلك.

إن الشيعة فى العراق يمثلون الأكثرية من الشعب، فحسب بعض الإحصاءات إنهم يشكلون ۸۵ ٪ من نفوس الشعب العراقى، وحسب قانون الشرع والعقل، بل وحتى ما يسمى بالقوانين الديمقراطية فإن حق الحكم يعطى للأكثرية، مع حفظ حق الأقلية، إلا أن هذه المعادلة لم توجد فى العراق، ولا تريدها بعد الدول الغربية، لمصالح وأغراض خاصة، لذا ينبغى لنا أن نلتفت إلى هذه القضية، ونعى الخطط المرسومة من قبل الغرب لندفعها، ونعمل جاهدين لإيجاد حكومة الأكثرية().

الحق المذهبى مشروع ومتفق عليه

إن من الخطأ الجسيم اعتبار المطالبة بالحقوق المذهبية ضرباً من الإثارة الطائفية، فمن الأمور التى تتطلب تفكيكاً وحواراً هو حقوق الأقليات والمذهبيات المختلفة فى المجتمع الواحد، فالبعض يعتبر أن الوطنية معناها: إلغاء الأقلية أو تنازلها عن حقوقها باسم المصلحة

العامة، وهو ما سنراه واضحا فى المطلب السنى فى المجتمعات ذات الأكثرية السنية لنظرائهم الشيعة بأن يتنازلوا عن حقوقهم باسم الإجماع الوطنى والوحدة الإسلامية، أو مطالبة الشيعة لنظرائهم السنة فى المجتمعات ذات الأكثرية الشيعية بالأمر ذاته.

لعل السؤال الأبلغ هو كيف يمكن تحقيق أعلى معدلات الانسجام والهدوء، والتوازن فى أى مجتمع من المجتمعات؟ وهل يكون ذلك بتقليل التنوعات فى المجتمع، والعمل لاحقاً على إلغائها؟ ليتحول المجتمع بكل أطيافه إلى مجتمع يتعبد بمذهب واحد، ثم نحصر الاختلاف بين المدارس الاجتهادية فى المذهب الواحد، لنحول المجتمع بجميع أفراده إلى أشخاص يتعبدون على المذهب الرسمى الذى تتبناه الدولة؟

هل هذا هو طريق الوحدة والانسجام فى المجتمع؟ ماذا إذن لو أردنا أن نحقق الوحدة على مستوى الدول الإسلامية؟ هل علينا أن نسير قدماً فى اتجاه تنميط شعوب هذه الدول بنمط واحد، لتكون جميع دولنا إسلامية حسب رؤيا فقهية واحدة؟

إذا قبلنا ذلك نظرياً وهو غير مقبول فهل يمكن أن تذوب الشعوب والقبائل التى خلقها الله هكذا مثل الشمع فى قالب واحد؟ وهل يبقى أى معنى للمجتمع وللتعارف وللتفكير أو الإبداع؟ وهل يمكن القفز على الطبيعة الإنسانية المجبولة على الاختلاف والتنوع؟

وإذا عرفنا بأن صهر المجتمعات فى قالب واحد هو عمل مستحيل وبعيد عن الواقع، فلابد من الاعتراف أيضاً بأن لكل طائفة الحق بأن تجد ذاتها حاضرة غير ملغية، أو مغيبة بسبب اختلاف فكرى أو عقائدى، وأنها تمتلك الحق كاملاً فى التعريف بنفسها، والتبشير بقيمها وثقافتها التى تؤمن وتتميز بها، وفى ذات الوقت هى مطالبة بإظهار المشتركات الإنسانية والوطنية بينها وبين نظرائها فى الساحة، إسهاماً فى دفع مبدأ التعايش بين المختلفين إلى ساحة الضوء والفعل.

ولا تكون حينها مطالبة طائفة بأن يكون لها مساجدها ومؤسساتها وحضورها الإعلامى ومشاركتها السياسية ضرباً من الطائفية، بل تتمثل الطائفية عبر إلغاء الآخرين بحجة أن الآخر لا يمثل أكثرية فى المجتمع، المخيف أن تبرير الأكثرية والأقلية قد يكون مدخلاً لا يتوقف عند الرغبة فى إلغاء الآخر وقمع صوته، بل يتعداه إلى شرعنة إلغاء وجود الآخر واغتياله، وهو تشريع ابتكره الجمهرة من علماء البلاط لتسويغ قتل الإمام الحسين والتمثيل به، وسبى نسائه وذريته، لسلب ضمير الأمة ورأيها الحر تضعيفاً لتماسك المجتمع وتوهيناً لوحدته().

صور من الطائفية فى العراق

۱: البرلمانات المزورة

مجالس البرلمان مؤسسات تمثل رأى الشعوب، وهى المسئولة عن تقويم كل معوج فى البلاد، إلا أنها فى العراق إنما مثلت إرادة سلطة الأقلية الطائفية الخاضعة للمندوب السامى البريطانى فى العهود الملكية، وللقوى الاستعمارية والأقلية الطائفية فى العهد الجمهورى. وسنورد هنا بحثاً موثقاً كتبه الأستاذ حسن العلوى تحت عنوان: (تمذهب البرلمان) مع قليل من التصرف، ثم بحثاً مماثلاً عن طائفية الوزارات العراقية فى عهود الدولة العراقية العصرية، كتبه تحت عنوان: (تمذهب الوزارات) من كتابه الوثائقى: (الشيعة والدولة القومية فى العراق) ص ۱۹۴ وما بعدها.

فى التأكيد على واحدة من النتائج المرتبطة جدلياً بتمذهب الدولة القومية فى العراق، استحالة قيام نظام برلمانى سليم ونزيه، قد ينتهى بانتقال السلطة إلى الأغلبية السكانية، ولما كانت الأغلبية العراقية شيعية؛ فإن الانتخابات الحرة ستأتى بهذه الأغلبية إلى البرلمان. ولما كانت المادة السادسة والستون من الدستور قد نصت على صلاحية مجلس النواب فى منح أو سحب الثقة بالوزارة، أصبح ممكنا إحداث تغيير أساس فى السلطة لصالح الشيعة. وهو أمر يتعارض مع ما يمكن أ ن نسميه بالحق المذهبى الموروث من وزارة كوكس النقيب، ومن مبدأ تمذهب الدولة ذاته. ولهذا حالت السلطة دون إجراء انتخابات حرة فى العراق طيلة الدورات الستة عشرة ما بين

عامى ۱۹۲۵ ۱۹۵۸.

جاء فى مـذكرات عبد الكريم الأزرى النائب والوزير السابق: (فى صبيحة يوم من أيام تشـرين الأول سـنة ۱۹۴۳ اتصل بى قريبى السيد حسين النقيب الرفيعى بالهـاتف قائلاً ـ لى: أهنئـك من صـميم القلب. فسـألته: على مـاذا تهنئنى؟ أجـابنى: على فوزك فى الانتخابـات النيابية! فقد ذكرت الإذاعة الصباحية اسمك بين الفائزين فى الانتخابات النيابية عن لواء العمارة. قلت له: هل أنت تمزح؟ قال: لا، والله لا أمزح. وقـد تبين أن ما أنبأنى به السـيد الرفيعى كان صـحيحاً، وأننى قـد انتخبت نائباً عن لواء العمارة وأنا لا أدرى، فلم أراجع أحداً ولم أرشح نفسى. وهكذا نمت ليلتى وأصبحت فى الصباح نائباً عن لواء العمارة ().

وكان الشاعر الجواهرى قد أشار إلى تجربة مماثلة له مع النيابة عام ۱۹۴۸ قائلاً:

أصبحت عن أمرٍ بليل نائبا

وبأن أروح ضحىً وزيراً مثلما

وتقول جريدة الأهالى: (لقد سـلكت الحكومات العراقية تجاه مجلس الأمة مسـلكاً يظهر منه أن مجلس الأمة مسـئول أمام الحكومة ولا عكس، إذ ترى الحكومات المختلفة تتحكم بالمجلس وتحله عندما تريد) ().

ولم تسقط أو تشكل وزارة واحدة من الوزارات العراقية الثمانى والخمسين تحت قبة البرلمان. وهو أمر طبيعى ما دام النواب يعينون من قبل الحكومة، ولا يجرى انتخابهم من قبل الناخبين.

إن تعيين النواب مفيـد للدولـة الطائفيـة فى توفير أغلبيـة مذهبيـة فى البرلمـان أسوة بما هو حاصل فى قيادات الجيش ومجلس الوزراء. وهذا يعنى أن الدولة أنجزت تمذهب ا لسلطة التشريعية عن طريق تعيين نواب من المذهب الحاكم ممثلين عن المناطق الشيعية.

من جانب آخر فإن قانون الانتخاب قد نص على حصص للمسلمين، وحصص الأقليات الدينية كالمسيحيين واليهود. فاستحوذ المذهب الحكومى على حصـص المسـلمين، وأقصـى المـذهب المحكوم فى بعض الألويـة. وقد نشأ عن ذلك أن يمثل لواء بغداد تسـعة نواب مسلمين جميعهم من السنة، واثنان من اليهود، ونائب مسيحى دون وجود مسلم شيعى (الدورة الثالثة).

۲: نواب مزورون

وقد يزيد عدد النواب غير المسـلمين الذين يمثلون البصـرة على عدد النواب الشـيعة، بعد أن يسيطر المسلمون السنة على مقاعد اللواء، فيخصص واحد أو اثنان منها للشيعة، مقابل اثنين لليهود والمسيحيين، (سكان البصرة ۹۰٪ من الشيعة).

وقد تصل درجة الاسـتحواذ الطائفى حدودها القصوى، فلا يرشح نائب شـيعى عن لواء شيعى كلواء الكوت الذى يمثله كل من: أحمد حالت، وحامد الوادى، وعبد الغفور البدرى، ويحيى الآلوسـى، وجميعهم سنة من بغداد (الدورة الخامسة). ولم يرشح نائب شيعى طيلة الدورات الست عشـرة عن لواء ديالى الذى يشـكل الشيعة فيه ثلثى السكان، عدا ثلاث دورات رشح فيها أحد الشيوخ الشيعة الساكنين فى ديـالى، ويفرض على ألويـة العمـارة والديوانيـة والحلـة، وهى منـاطق شـيعية عـدد من النـواب السـنة يبلغ ثلـثى عـدد نواب الألـوية المذكورة.

وإذا كـان منطق الانتخابـات فى النظم البرلمانيـة يعتمـد على اختيـار النـاس من يمثلهم من أبناء مـدينتهم، ففى العراق يُسأل النائب عن المدينة التى يفضل أن يكون نائباً عنها.

وتتغير المنطقـة الانتخابيـة من دورة إلى أخرى، فيكون النائب مرة ممثلاً عن الكوت، وثانيـة عن الحلـة، وثالثـة عن ديالى، وهو لم يزل مقيماً فى مسكنه بشارع طه فى الأعظمية ببغداد، أو فى أحد قصور العيواضية التى يسكنها الساسة من أعضاء السلطة الطائفية.

۳: ديمقراطية على الطريقة الطائفية

إن تغييراً طفيفاً حدث فى الدورة الحادية عشرة عام ۱۹۴۷، فقد سمح أن ترتفع نسبة الشيعة فى المجلس إلى ۴۰٪، بعد أن كانت تتراوح بين (۲۷و۳۵٪)، ومثل بغداد سبعة نواب شيعة من أصل عشرين نائباً مسلماً. وأصبح عدد النواب الشيعة فى البصرة مساوياً لعدد نواب السنة، وبقيت المناطق الأخرى كما هى.

وأثار هذا التطور الأستاذ كامل الجادرجى، فقدم مذكرة سريعة للغاية بتاريخ ۵/۸/۱۹۴۷ إلى أعضاء الهيئة الإدارية للحزب الوطنى الديمقراطى، انتقد فيها تغيير الحصص ووصف تلك الدورة بأنها طائفية().

واعتبر زيادة عدد النواب الشيعة إلى النسبة الجديدة: بمثابة رشوة لاستدراج الشباب الشيعة إلى جانب المشاريع الحكومية. وهو تحليل صائب ودقيق، لكنه يضيف: إن من شأن هذه الخطة أن تثير ردود فعل لدى الطوائف الأخرى.

ومعنى هذا أن الأستاذ الجادرجى أصبح ينظر إلى تلك الدورة الانتخابية، وإلى مجلس النواب المنبثق عنها، إنها دورة شيعية ومجلس شيعى. (الأمر الذى سيستفز الطوائف الأخرى التى أصبحت مغبونة. مع أن التطور الطفيف لم يرفع نسبة الشيعة فى المجلس إلى نسبتهم السكانية. وما زال الفرق بين النسبتين يقارب أل ۵۰٪، وكان مازال النواب السنة يمثلون المناطق الشيعية المحضة، ومنهم الأستاذ الجادرجى الذى كان ممثلاً للواء الحلة.

إن الوطنيين الذين أشغلوا المعارضة الدستورية بجدارة وإخلاص، معنيون قبل غيرهم بنقد ظاهرة طائفية الدولة، والبرلمان بشكل خاص، من وجهة نظر ديمقراطية ودستورية باعتبار أن الطائفية، وحصر السلطة بالأقلية، يتعارض جملة وتفصيلاً مع النظام البرلمانى السليم لما فيه من تزييف لإرادة الناخبين. إن الأكثرية الشيعية لم تكن أساساً معنية بمن سيكون ممثلها فى هياكل نيابية هشة، كانت أداة بيد الحكومة لإضفاء الشرعية على مشاريع سياسية واجتماعية بعيدة عن أن تمثل الحدود الدنيا من مصالح تلك الأغلبية.

وفى هذا المكان، كما فى غيره، سنؤكد مرة أخرى على أن السلطة المتمذهبة، رغم أنها طائفية مناوئة للشيعة، فإنها ليست سلطة سنية، بمعنى أن الذى يدفعها لموقف العداء ضد الأغلبية، ليس هو محض دفاع، أو حرص على مصالح مذهبية سنية، بقدر ما هو استحواذ أنانى وشخصى على امتيازات الدولة، والتمتع بالثراء والوجاهة والنفوذ.

ومن الغريب أن يغفل الوطنيون المخلصون، موضوعاً خطيراً ومعادياً لأبسط طموح مشروع فى إقامة حكم عادل سليم، كموضوع طائفية الدولة والبرلمان والمؤسسات الأخرى.

وعلى أية حال فقد تعاملت الدولة بالازدراء والاستخفاف والاستهانة المقصودة مع الأغلبية الشيعية، كشريحة اجتماعية قاصرة تحتاج إلى وصاية خارجية فيستقدم لها سيد يأتيها من خارجها، ممثلاً لها فى البرلمان، أو متصرفاً أو محافظاً أو مديراً للتربية أو مديراً للشرطة.

۴: طائفية الوزارات

كان مجلس الوزراء أول حقل للتجربة المذهبية التى انتهت بتمذهب مؤسسات الدولة الأخرى. ولأسباب تتعلق بحركة الجهاد وثورات الشيعة ضد الإنكليز وكونهم يمثلون الأكثرية، استقر رأى السياسة البريطانية على أن يشكل وزارة الاحتلال الأولى أحد المتعاونين مع الإدارة البريطانية، وقد رغب بيرسى كوكس أن يتألف مجلس الوزراء من تسعة أعضاء. وحين انتبه بيرسى كوكس إلى ضرورة تطعيم وزارته بشخصية شيعية، وجد صعوبة فى الحصول على من يمثل الشيعة، بسبب تحريم علماء الشيعة عمل المسلم بإمرة ولى أمر غير مسلم. ولكون عبد الرحمن النقيب الذى اختير لرئاسة الوزارة، كان متعصباً ضد الشيعة. غير أنهم فى النهاية عينوا وزيراً شيعياً واحداً.

لقد تحدد شكل الوزارة العراقية. فرئيس الوزارة ووزارة الداخلية والدفاع ومعظم الوزراء الأساسيين من السنة العرب. ويعطى للسنة الأكراد مقعد فى وزارة ثانوية. وقد يزيد إلى مقعدين كما خصص للشيعة المقعد الأخير فى كعب قائمة التشكيل الوزارى. والغريب أن السلطة وجدت الكثير من الشيعة الذين يرضون الجلوس فى كعب القائمة الوزارية. فكانت الإرادة الملكية تصدر بالتشكيل الوزارى. فيكون اسم الوزير الشيعى آخر الأسماء وزيراً للمعا رف قبل سحب الوزارة هذه من الشيعة ودفعهم إلى وزارة التجارة أو أية وزارة

ثانوية. (يشار إلى أنه قد سُمح لعناصر من الشيعة أن تستلم وزارات أساسية ولمرات وفترات محدودة، بعد مرور ۲۵ عاماً على تأسيس الدولة).

وفيما يلى قائمة بأسماء رؤساء الوزارات وعدد المرات التى تولوا فيها رئاسة الوزارة منذ تأسيس الدولة العراقية حتى يومنا هذا:

المذهب عدد المرات التى تولى فيها رئاسة الوزارة الدراسة رؤساء الوزراء

سنى ۳ لم يدرس أية دراسة نظامية عبد الرحمن النقيب

سنى ۴ عسكرى عبد المحسن السعدون

سنى ۴ عسكرى جعفر العسكرى

سنى ۲ عسكرى ياسين الهاشمى

سنى ۳ حقوقى توفيق السويدى

سنى ۱ حقوقى ناجى السويدى

سنى ۱۴ عسكرى نورى السعيد

سنى ۱ خريج كلية ملكية شاهان ناجى شوكت

سنى ۴ حقوقى رشيد عالى الكيلانى

سنى ۷ عسكرى جميل المدفعى

سنى ۳ عسكرى على جودت الأيوبى

سنى ۱ خريج كلية ملكية شاهان حكمت سليمان

سنى ۱ عسكرى طه الهاشمى

سنى ۲ حقوقى حمدى الباجه جى

سنى ۲ مهندس أرشد العمرى

شيعى ۱ حقوقى صالح جبر

شيعى ۱ دراسة دينية محمد الصدر

سنى ۱ حقوقى مزاحم الباجه جى

سنى ۱ حقوقى مصطفى العمرى

سنى ۱ عسكرى نور الدين محمود

شيعى ۲ دكتوراه

فى التربية فاضل الجمالى

شيعى ۱ حقوقى عبد الوهاب مرجان

سنى ۱ حقوقى أحمد مختار بابان

سنى ۱ عسكرى عبد الكريم قاسم

سنى ۲ عسكرى أحمد حسن البكر

سنى ۳ عسكرى طاهر يحيى

سنى ۲ أستاذ قانون عبد الرحمن البزاز

شيعى ۱ عسكرى ناجى طالب

سنى ١ عسكرى عارف الكبيسى

سنى ١ حقوقى صدام حسين

من مجموع مدة (٦٨) عاماً أشغل رئاسة الوزراء فيها خمسة رجال شيعة لمدة أقل من ثلاث سنوات أى بنسبة ٤٨ر٤٪.

ومن بين ٥٩ وزارة ملكية، ألف الوزارة خمس مرات رؤساء وزراء شيعة أى بنسبة ٤٧ر٨٪.

أما فى العهد الجمهورى ما بين عامى (١٩٥٨ ١٩٨٨)، فقد أشغل رئاسة الوزراء رجل شيعى مرة واحدة ولمدة عشرة شهور خلال ثلاثين عاماً أى بنسبة

٧ر٢٪.

ويلاحظ أيضاً أن رجلاً شيعياً شكل وزارة لأول مرة بعد أكثر من ربع قرن على تأسيس الدولة هو صالح جبر عام ١٩٤٧. وأن سببا ما كان غير طبيعى أو مقصوداً لمهمة خاصة أو مأزق سياسى يدور دائما حول تكليف هؤلاء الشيعة الخمسة الذين شكلوا رئاسة الوزارة فى تاريخ العراق الحديث.

ففى المرة الأولى كان واضحاً أن السياسة البريطانية تبحث عن رأس حربة لعقد معاهدة جديدة بدلاً من معاهدة ١٩٣٠ مع العراق، فأنيطت المهمة إلى صالح جبر الذى تزعم الوفد العراقى لإعداد نصوص المعاهدة مع الجانب البريطانى، يشاركه قطبان بارزان هما: توفيق السويدى، ونورى السعيد، بالإضافة إلى محمد فاضل الجمالى. فانتفض الشعب العراقى رافضاً سياسة المعاهدات، وحدثت الوثبة فى كانون الثانى عام ١٩٤٨ والتى قتل فيها على جسر الشهداء عدد من الوطنيين رافضى المعاهدة. فسقطت الوزارة ومعاهدة بورتسموث فى وقت واحد. ولم يعد صالح جبر إلى رئاسة الوزارة مرة ثانية مع أن شركاءه شكلوا عدداً من الوزارات بعد ذلك.

واختير الثانى وهو السيد محمد الصدر لرئاسة الوزارة لكونه الشخصية التى ستلقى على عاتقها مهمة تهدئة الشارع وامتصاص ردود فعل وثبة عام ١٩٤٨، حتى إذا تم ذلك ترك الوزارة بعد أربعة شهور ونصف الشهر. ولم يكن تكليف محمد فاضل الجمالى برئاسة الوزارة يخرج عن سبب مماثل. فقد اقتضت السياسة بعد تتويج الملك فيصل الثانى عام ١٩٥٣ إشعار الرأى العام العراقى، بأن تغييراً سيطرأ فى استبدال الحرس القديم، بعناصر مثقفة جديدة. وكان الجمالى أول رئيس وزراء عراقى يحمل شهادة علمية عالية، وكان متوقعاً أن يكون الأستاذ عبد الرحمن البزاز أحد مساعديه. وقد استمرت وزارته فى الحكم خمسة أشهر وعشرة أيام. وكان قد أشرك فيها عدداً من المثقفين وشخصيات من المعارضة ونهج فيها نهجا ليبرالياً.

وشكل الجمالى وزارة ثانية استمرت (٤٥) يوماً. وفى عام ١٩٥٧ الذى عرف بعام الصراع الحاد بين القوى الطامحة للتغيير، والقوى المحافظة ذات الميول الغربية بزعامة نورى السعيد، اتجهت السياسة العراقية إلى إبعاد نورى السعيد عن الخط الأول، وإحلال شخصيات معتدلة كعلى جودت الأيوبى، وعبد الوهاب مرجان الذى كلف بتشكيل وزارة فى منتصف الشهر الأخير من العام المذكور، وهو من العناصر القومية المحافظة التى أريد لها أن تمتص إلى صالح السياسة العراقية، مجموعات الشباب والمثقفين، أو تحييدهم على الأقل. واستمرت وزارة مرجان شهرين ونصف الشهر.

أما الوزارة اليتيمة فى العهد الجمهورى والتى شكلها ناجى طالب فى ٦ آب ١٩٦٦ فقد جاءت فى أعقاب صراع شديد بين العسكريين والمدنيين من جهة، وبين رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز من جهة أخرى. وقد انتهت بتشكيل ناجى طالب وزارة جديدة خلفاً للبزاز، حتى إذا مرت الأزمة، ترك ناجى طالب الوزارة بعد أن ساند المطالب السورية فى زيادة عائداتها من مرور النفط العراقى. ولا شك أن موقفاً كهذا سيبدو محرجاً لشركات النفط. ثم واجه ضغوطاً طائفية من العسكريين النافذين فاضطر إلى الاستقالة وقد أسدل الستار باستقالته على أول وآخر وزارة جمهورية يتزعمها عربى شيعى فى العراق عرف بأنه من زعماء الحركة القومية فى هذا الوطن!؟ ().

۵: الملک فیصل والأکثریة المضطهدة

يعترف الملك فيصل فى الفقرة الثالثة من المذكرة التى وجهها إلى عدد من السياسيين العراقيين بأن العراق مملكة تحكمها حكومة عربية سنية مؤسسة على أنقاض الحكم العثمانى، وهذه الحكومة تحكم قسماً كردياً، وأكثرية شيعية منتسبة عنصرياً إلى نفس الحكومة. إلا أن الاضطهادات كانت تلحقهم من جراء الحكم التركى الذى لم يمكنهم من الاشتراك فى الحكم وعدم التمرن عليه، والذى فتح خندقاً عميقاً بين الشعب العربى المنقسم إلى هذين المذهبين ().

وتعلو نبرة الملك أكثر، ويتقمص دور ناقل الكفر لإيصال شكوى الناس إلى مسامع هؤلاء السياسيين أخشى أن أتهم بالمبالغة، ولكنه من واجبى أن لا أدع شيئاً يخامرنى، خاصة لعلمى بأنه سوف لا يقرأ هذا إلا نفر قليل، ممن يعلمون وجائبهم ومسؤولياتهم. ولا أرغب أن أبرر موقف الأكثرية الجاهلة من الشيعة، وأنقل ما سمعته ألوف المرات، وسمعه غيرى من الذين يلقون فى أذهان أولئك المساكين البسطاء من الأقوال التى تهيجهم، وتثير ضغائنهم، أن الضرائب على الشيعى، والموت على الشيعى، والمناصب للسنى، ما الذى هو للشيعى؟ حتى أيامه الدينية لا اعتبار لها، ويضربون الأمثلة على ذلك، مما لا لزوم لذكرها.

ويقر الملك فيصل دون مواربة بوجود تمييز واضح فى تعامل الأوقاف مع الشيعة وأن رجال الدين من الشيعة ليس لهم أى ارتباط مع الحكومة، وهم فى الوقت الحاضر أجانب عنها، خاصة حيث يرون أن رجال الدين السنيين يتمتعون بأموال هم محرومون منها، والحسد خاصة فى الطبقة الدينية معلوم، فعلينا ما دمنا غير قادرين على تقسيم الأوقاف فيما بينهم، أن نفتكر فى إيجاد أوقاف خاصة، ومن رأيى أن ذلك ممكن بالطريقة التى كنت تشبثت بها، غير أن الظروف حالت بينى وبين تحقيقها.

أما الحل الذى يطرحه الملك فيصل لمعالجة مشكلات الانقسام، وعدم التجانس فى الشعب العراقى فيبدأ.. بتزييد قوة الجيش عدداً بحيث يصبح قادراً على إخماد أى قيام مسلح ينشب فى آن واحد على الأقل فى منطقتين متباعدتين.

وكان الملك فيصل قد توفى بعد مرور ستة شهور على كتابة هذه المذكرة. وتحولت وصيته المذكرة من التزام الحكمة والتدبر فى مواجهة الواقع المذهبى والعنصرى للشعب العراقى، إلى مجازر دموية شملت مناطق: بارزان، وسنجار، والدغارة، وعفك، وسوق الشيوخ، والرميثة، والمشخاب، كان المشرفون عليها هم الساسة الذين خصهم الملك بمذكرته، كياسين الهاشمى، ورشيد عالى الكيلانى، وجعفر العسكرى، وجميل المدفعى، وحكمت سليمان. فاقتراح الملك بتقوية الجيش كان لهذا الغرض، لا لرد هجمات أعداء خارجيين بل لقمع الشعب ليس إلا.

۶: نسبة المقاعد الوزارية فى عهد الملك فيصل

إن الدولة العراقية الحديثة التى بنيت على تضحيات أبطال الحركات الشيعية وجماجم شهدائهم قد أسست منذ أول دولة ووزارة على أسس طائفية، ولمعرفة هذه الحقيقة يمكن النظر إلى نسبة المقاعد الوزارية التى أشغلتها الأكثرية المجاهدة، والواقع أن الشيعة قد أشغلوا طيلة حكم فيصل (۱۹۲۱۱۹۳۲) عشرين مقعداً وزارياً من بين (۱۱۳) مقعداً أشغله زملاؤهم السنة. وكانت النسبة المئوية لمشاركة الشيعة ۱۷٫۷٪، وقد يكون مبعث هذا الاعتقاد أن هذه النسبة قد انخفضت بعد وفاة فيصل إلى أقل من ۱۶٪، وكان معروفاً أن علماء الشيعة قد تعرضوا لأول وأوسع عملية نفى فى عهد الملك فيصل!!

واليوم وبعد مرور أكثر من ثمانين سنة على تأسيس الدولة العراقية الحديثة، أى منذ عام ۱۹۲۰ وحتى سقوط أخر حكومة فى ۹/۴/۲۰۰۳، تعاقبت على العراق أنظمة سياسية مختلفة ملكية وجمهورية، مدنية وعسكرية، برلمانية صورية ودكتاتورية، وكان المشترك بينها أمر واحد هو حكم الأقلية المذهبية، فمثلاً فى العهد الملكى شُكلت ۵۸ وزارة احتوت على ۵۷۵ مقعداً وزارياً تناوب على شغلها ۱۶۶ وزيراً، وترأس هذه الحكومات ۵۴ مرة من إخواننا السنة، بينما لم يتول الشيعة رئاسة الوزارة إلا أربع مرات، حيث تناوب ۲۴ شخصاً على الرئاسة كان أربعة منهم فقط من الشيعة وهم: السيد محمد الصدر، وصالح جبر، وفاضل الجمالى، وعبد الوهاب

مرجان. وكانت مدة بقاء الحكومات السنية أكثر من ۳۶ سنة فى العهد الملكى، ولم تتجاوز فترة حكم الشيعة العامين.

أما بالنسبة لمقعد الوزير فمن ۵۷۵ مقعداً وزارياً شغل الشيعة ۱۵۹ مقعداً فقط، وفى العهد الجمهورى تم تشكيل ثلاث وزارات جميعها يرأسها سنى فى عهد عبد الكريم قاسم، و۱۱ وزارة فى عهد الأخوين عارف لم يترأس الشيعة منها سوى واحدة، وفى عهد الحكم البعثى أصبحت الحكومات شكلية، والحكم فردى خالص كان نصيب أحمد حسن البكر منه ۱۱ سنة، وصدام حسين ۲۴ سنة، وكلاهما من قرية واحدة فى تكريت.

لم يكن حال السلطة التشريعية فى السنوات الماضية بأحسن حالاً من التنفيذية؛ لأن الأولى كانت مخولة بموجب المادة السادسة والستون من الدستور العراقى الصادر فى ۱۹۲۵ بسحب الثقة من الحكومة، ولذلك لم تكن هناك انتخابات حرة فى عموم العراق، وكان أعضاء البرلمان يتم تعينهم من قبل الحكومة، ويفرضون على المناطق حيث ينقل المؤرخ الحسنى، نقلاً عن مذكرات السيد توفيق السويدى فى معرض وصفة لانتخابات الدورة الأولى للمجلس النيابى: استمرت عملية الانتخابات واستمر الضجيج والتشاحن خلالها حتى انتهت بانتخاب مرشحين كان يتفق على تعيينهم الملك ووزير الداخلية ومن ورائه المستشار البريطانى ورئيس الوزراء. وكانت قائمة الترشيح هذه تبقى مكتوبة حتى يوم الانتخابات إذ تبلغ بالتليفون إلى المتصرفين، ويطلب منهم أن يبذلوا جهدهم لإنجاحها ().

۷: عبد المحسن السعدون ومرسوم الجلد وقمع المظاهرات

لقد نجحت بريطانيا والعاملون فى المشروع الطائفى التقليدى الذى حدد ساطع الحصرى أفكاره وسلوكه من جعل الإشارة إلى الشيخ الشيرازى، أو الشيخ مهدى الخالصى، أو الشيخ محمد جواد الجزائرى، أو الشيخ جواد الجواهرى، أو الشيخ كاشف الغطاء، أو السيد عبد الرزاق الحلو، والسيد محمد سعيد الحبوبى، والسيد مهدى الحيدرى، والسيد عيسى كمال الدين، والسيد بحر العلوم فقهاء الحركة الاستقلالية تهمة تطارد صاحبها، وتلصق به الطائفية والشعوبية، فى الوقت الذى ينتصب تمثال عبد المحسن السعدون فى قلب بغداد، وهو الذى بادر إلى طرد ونفى فقهاء الحركة الاستقلالية، إلى خارج العراق.

وما بين عامى ۱۹۳۳-۱۹۵۸ أصدرت السلطات ۳۷ مرسوما وقانونا لمعاقبة العاملين فى خطوط المعارضة، ومن بينها قانون إسقاط الجنسية ومرسوم النفى والطرد من العمل، وكان رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون قد انفرد بإصدار مرسوم الجلد الذى ينص على جلد طلبة المدارس غير الراشدين ۲۵ جلدة لكل من خرج فى مظاهرة احتجاج، وقد شرع مرسوم الجلد لمعاقبة المتظاهرين ضد زيارة الداعية الصهيونى (الفردموند) إلى العراق عام

۱۹۲۸م!().

۸: إبقاء الشعب فى ظلام الجهل

وكان من ثوابت السياسة الطائفية إبقاء أغلبية الشعب فى حالة الجهل بعيداً عن التعليم والتثقيف.. وهذه شهادات من كبار رموز الدولة الملكية الطائفية:

يتحدث الكولونيل ويلسن وكيل المندوب السامى البريطانى عن اجتماع عقده مع ثلاثة من الوطنيين فى صيف عام ۱۹۲۰ ممن كان يظن أنه سيستدرجهم إلى العمل فى حقل آخر قائلاً: إن اجتماعاً سرياً عقد مع ثلاثة ممن كانوا على اتصال وثيق بالزعماء الوطنيين، فذكرتهم بالأقلية الكردية والعنصر الشيعى القوى فى الفرات كان محدثى الثلاثة من السنة فأجابوا بأن هذين الفريقين هم فلاحون جهال يمكن إبقاؤهم فى مكانهم بسهولة.

وكان الملك فيصل قد اعتاد أن يصف الأكثرية الشيعية بالجهل فيقول فى مذكراته الشهيرة: العراق مملكة تحكمها حكومة عربية

سنية، مؤسسة على أنقاض الحكم العثمانى، وهذه الحكومة تحكم قسماً كردياً أكثريته جاهلة، وأكثرية شيعية جاهلة تنتسب عنصرياً إلى نفس الحكومة.

يقول ناجى شوكت رئيس وزراء سابق، فى جوابه على مذكرة الملك فيصل تلك: وأخال أن ما تقوله الأكثرية الجاهلة من الشيعة حول عدم مشاركتها فى الحكم هو غير صحيح.

إن بعض الملاحظات يمكن أن تدرج فى مناقشة هذه التسمية:

الأولى: إذا صح هذا الوصف على الشيعة، فإنه يشكل إدانة واضحة ليست للشيعة الجهال، وإنما للدولة التى تترك الأغلبية منها فى حالة الجهل هذه. وكان مطلوباً أن تعالج قضية جهل الأغلبية بزيادة الكفاءة الكمية والنوعية للتعليم، وإخضاع توزيع المدارس لمبدأ ديمقراطى يراعى الكثافة السكانية من جهة، ونسبة انتشار الجهل من جهة ثانية. وكلاهما يعنى أن يخصص قدر من الاهتمام بمناطق الأغلبية هذه. لكن ذلك لم يحصل، إذ كانت سياسة التمييز التربوى تحرم هذه الأكثرية من حق التعليم، والتمتع بفرص متكافئة فى البعثات العلمية.

الثانية: من المعتقد إن استخدام تعبير الأكثرية الشيعية الجاهلة، كان يقصد به التقليل من الأهمية النوعية للأكثرية؛ لتبرير طائفية الدولة، والرد على من يرفع عقيرته من هذه الأغلبية بالمطالبة فى التمثيل السياسى، والاشتراك فى إدارة الدولة.

إن تعبير الأكثرية الشيعية الجاهلة يعنى: إن رجال المؤسسة التركية الذين اتفقت معهم الإدارة البريطانية لتولى شؤون العراق،لم يستحوذوا على السلطة عن طريق اتفاق أو صفقة، وإنما عن كفاءة وجدارة ودراية يفتقر إليها الشيعة. ويؤيد الأستاذ كامل الجادرجى هذه النظرية قائلاً: إن الإنكليز لم يجدوا عند احتلالهم العراق بين الشيعة من المتعلمين من يصلح لإدارة الشؤون المحلية، وتمشية الإدارة ومعاونة الحكام السياسيين.

الثالثة: لم تكن الأغلبية الشيعية وحدها ذات مستوى تعليمى هابط. وقد يفهم من هذا التركيز على الأغلبية الجاهلة بأن الأقلية السنية فى العراق كانت فى بحبوحة علمية وثقافية بالدرجة التى يتحدث عنها الأستاذ الجادرجى حين يقول: إن المشكلة التى جابهت فيصل هى انعدام العناصر الكفوءة من بين الشيعة، التى يمكن أن تتولى المناصب الحكومية؛ بالنظر لابتعاد الشيعة عن جهاز الدولة فى العهد العثمانى، وبعدهم عن التعليم الحديث اللازم لإدارة جهاز الدولة.

إن الرد على هذه النظرية لا يحتاج إلى جهد كثير. فالتعليم الحديث فى العراق لم يكن معروفاً فى الفترة التى يدور الحديث عنها. ولم يكن أحد فى مجلس الوزراء الذى شكله فيصل سوى ساسون حسقيل وزير المالية قد تلقى تعليماً حديثاً. وكان ثلاثة على الأقل من أعضاء المجلس يجهلون القراءة والكتابة. ولم يكن مجلس النواب فى وضع علمى أفضل، استنادا إلى جدول نشره ناجى شوكت حتى نهاية عهد فيصل:

الأميون وأشباههم المجلس الذى تم انتخابه أيام الوزارة

۷۳ ٪ وزارة نورى السعيد عام ۱۹۳۰

۵۰ ٪ وزارة ناجى شوكت عام ۱۹۳۲

۶۰ ٪ وزارة ياسين الهاشمى عام ۱۹۳۵

ولم يكن فى المدارس الحكومية الرشدية التى تعادل الدراسة المتوسطة أكثر من ۳۶۰ طالباً فى جميع أنحاء العراق قبل الحرب العالمية الأولى موزعين على عشرة مدارس، عدا المدارس الملحقة بجوامع بغداد والتى تديرها الأوقاف الحكومية، والمعنية بالتعليم التقليدى اليسير المعلومات().

ارتفاع المستوى التعليمى الشيعى

من جهة أخرى لا يبدو الادعاء بانعدام الكفاءة بين الشيعة الذين يصلحون لإدارة الدولة، وتركيز صفة الجهل على الأغلبية الشيعية

صحيحاً، إذا ما اعتبرنا المراكز الدينية فى النجف وكربلاء والكاظمية مراكز علمية فى الوقت نفسه، حيث ينتشر التعليم فى تلك المدن ذات الكثافة السكانية العالية كواجب دينى لا يتأخر عنه إلا قلة من الناس، حتى بلغ أعداد الدارسين فى النجف فى القرن التاسع عشر نحواً من عشرة آلاف طالب. وكانت المدن المقدسة تضم فى مطلع تأسيس الدولة العراقية (۵۷) مدرسة لتعليم الصغار. وتلزم العائلة المتعلم منها أو العالم بتدريس أبنائها دون الحاجة إلى المدرسة.

يصف الدكتور على جواد الطاهر طريقة التعليم فى النجف، وهو يتحدث عن محمد مهدى الجواهرى قائلاً: ولكن لابد للولد من أن يتعلم علوم قومه ويستمر فى التعليم. وليست مواد التعليم غريبة، فبيته مدرسة والمجالس التى يرتادها بصحبة والده مدرسة، وبلدته كلها مدرسة للقراءة والكتابة كما للفقه والأصول، كما للغة والبلاغة.. أما الشعر فتحصيل حاصل.. فمذ يسمع الكلمات الأولى يسمع معها وقبلها الشعر والشعراء والأدب والأدباء.. فهذه مكتبة.. وهذه كتب، وهذه دواوين...

إن التثقيف عن طريق العائلة أو نظام المدرسة العائلية قد عوّض أبناء الشيعة المحرومين من فرص التعليم الرسمى، وجعلهم يعتمدون على التثقيف الذاتى رغم أن السلطة لا تعترف بهذا النوع من الثقافة.

۹: الطائفيون والتراث التليد

إن مما لاشك فيه أن تراث كل أمة يعتبر من ثرواتها التاريخية، والعراق الذى يزخر بالتراث الثمين والغالى، أصبحت مدنه التراثية ضحية من ضحايا الطائفية، وفى السطور التالية صورة عن الظلم الطائفى فى هذا المجال.. جاء فى كتاب (الشيعة والدولة القومية فى العراق) ما نصه مع شىء من التغيير والتصرف:

فمع نقص الوعى بأهمية التراث العربى الإسلامى، يدخل عامل آخر هو كون جغرافيا الحواضر العربية القديمة بالإجماع شيعية، كالبصرة والكوفة والكاظمية والنجف وكربلاء، أو أنها مركز دينى للشيعة كسامراء، وقد أثر هذا وذاك على إهمال وإغفال وتجاهل حواضر أغنت الفكر العربى والإنسانى بعلوم اللغة والتاريخ والفلسفة والجبر والهندسة، حيث ازدهرت مدرستا البصرة والكوفة، واستقلت كل منهما بمذهب فى النحو واللغة والبلاغة. وكان ممكناً لأى عراقى ومسلم أن يجعل من مدن التراث سبباً من أعظم أسباب الفخر؛ لكن جهل الطائفيين بآداب لغتهم وتراثهم، وانسحاقهم تحت ضغط مشاعر التطيف، صيّر نظرتهم إلى هذه المدن مشحونة بروح العداء، وصيّر أهل هذه المدن غرباء عن الدولة. ولم يقف الأمر عند هذه الحافات الخطرة، بل تجاوزها إلى اعتبار مدن التراث العربى الإسلامى كالكوفة وكربلاء والنجف والكاظمية مدناً فارسية. ويعامل القادمون منها إلى دوائر السفر والجنسية فى العاصمة بأشكال من أساليب التمييز، وعرقلة إنجاز المعاملات الخاصة بهم، وإسماعهم كلاماً يطعن فى عروبتهم وأصولهم. (ملاحظة ملفتة اعتادت السلطة القومية أن تصطفى لهذه الدوائر ضباط شرطة مسئولين وموظفين من الغلاة المتدربين على الأعمال الطائفية. والمعروف أن طائفية الشرطة سار على نسق طائفية الجيش، إذ يمنع أو يعرقل قبول العراقيين من جغرافيا التشيع فى كلية الشرطة وفروعها. فأصبحت قيادة الشرطة من المذهب الحاكم، بينما استوعبت القاعدة فقراء الشيعة للعمل كشرطة بصفة أفراد عاديين. وقد مرت تسعة عقود منذ أن أنشأت كلية الشرطة دون أن ترتفع نسبة الطلاب الشيعة فيها إلى ۱۰٪)().

مواصفات مدن التراث الحضارية

إن مدن التراث الست المذكورة تشترك فى ثلاث مواصفات حضارية: كونها مراكز للإشعاع الفكرى، ومراكز للجذب السياحى، ومراكز آثارية تتلمس فيها عبقرية المعمارية الإسلامية، فضلاً عن دورها السياسى واشتراكها فى الدفاع عن الأرض العربية والإسلامية فى طرابلس الغرب والجزائر وفلسطين والعراق.

لكن قصر نظر يمليه التعصب الطائفى، وشهوة غير محدودة للسلطة، وإبقائها فى دائرة التمذهب الطائفى، يجعلان رجل السلطة والضالعين معه يتصرفون مع تراث البصرة والكوفة والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، ومع أصحاب هذا التراث بطريقة تضر مباشرة

بمصالح الدولة والشعب الأساسية.

فقد أهملت البصرة التى مصّرها المسلمون عام ۱۴ للهجرة، والتى كانت موطن الفرزدق والخليل بن أحمد الفراهيدى والجاحظ. فلم تدخل مناهج الدراسة ولم يلق عليها قليل من الضوء التاريخى والحضارى.

ولم تحظ البصرة بمشروع ثقافى يتناسب وأهميتها فى الحضارة الإسلامية. وإنما حدث العكس تماما ففى خطة وضعتها وزارة الثقافة والإعلام عام ۱۹۶۹ ارتئى أن تتحول البصرة إلى مدينة سياحية لجلب أموال السياح، فأجيزت دور للهو ونواد للقمار، وأقيمت ساحة لسباق الخيل.

۱۰: تمثال السعدون

من الشخصيات التى يرد اسمها فى التاريخ (عبد المحسن السعدون)()، وقد تسلّم منصب رئاسة الوزراء فى العراق، وكان يتمتع آنذاك بقدرة تامة فى تنفيذ أوامره، وكان عميلاً معروفاً لبريطانيا، وقد استفادت منه كثيراً فى تمرير مؤامراتها على العراق. وأول ما قام به هو إبعاد عدد من علماء العراق وبعض مراجعهم، ومنهم المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه إلى إيران، لكن نصبه التذكارى لا يزال منتصبا فى بغداد، وإن أكثر الناس لا يسألون من هو هذا الشخص؟ وماذا كان؟ وكيف بقى تمثاله قائماً فى بغداد إلى الآن؟ ولماذا سمى شارع باسمه فى العاصمة؟

ولا يدرون أنّ هذا التمثال هو لذلك الشخص الذى أبعد قادة التحرير من المراجع العظام، وزعماء الشعب العراقى المجاهدين، من العراق إلى إيران، والشىء العجيب أن الحكومات الملكية تأتى ثم الشيوعيون والقوميون والبعثيون، وهذا التمثال موجود من دون أن تتعرض له الحكومات، وذلك لأن كلّ هذه الحكومات التى جاءت إلى السلطة كانت وما زالت تعمل ضد الشعب، وهدفها قمع الأكثرية قيادات وجماهير وسحق حقوقها.

۱۱: مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

يقول الإمام الشيرازى الراحل رحمة الله عليه فى كتابه (الأكثرية الشيعية فى العراق): فى أيام الحكم الملكى فى العراق قرّرنا أن نؤسس مدرسة باسم (مدرسة الإمام الصادق عليه السلام)، ونظراً لأن السلطة كانت بيد الأقلية ونسبتها ۱۲٪ من الشعب، فإن الحكومة رفضت أن تمنحنا الإجازة، لأنها تعدّ ذلك تقوية للشيعة، وقال أحد المسئولين: يجب أن تغيروا اسم هذه المدرسة إلى اسم آخر، إلّا أننا بذلنا السعى الحثيث ولمدة ستة أشهر فاستطعنا أن نبقى اسم المدرسة (مدرسة الإمام الصادق عليه السلام). أما لو كانت المدرسة تحمل اسماً لغير أئمة أهل البيت عليهم السلام، أو لا يرمز إلى مذهبهم ولا يرتبط به، لكانت الإجازة تمنح بفترة قليلة وبلا أتعاب!!

۱۲: مسجد المتقين

يقول رحمة الله عليه أيضا فى نفس المصدر: وذات مرة قمنا بتأسيس مسجد بين منطقة الحر الرياحى وكربلاء باسم (مسجد المتقين)، وبينما كنت ذاهباً يوماً لزيارة المرقد المطهّر للإمام الحسين عليه السلام جاءنى شخص وأنا فى طريقى إلى حرم الإمام عليه السلام وقال لى: إن البلدية قطعت التيار الكهربائى عن مسجد المتقين، بسبب عدم تسديد فاتورة الكهرباء والبالغة ثمانية دنانير، وطلب منى تسديد هذا المبلغ.

فقلت له: اذهب وقل لذلك الشخص الذى قطع الكهرباء عن المسجد: كيف يصحّ أن تبنوا مسجداً للسنّة فى كربلاء بمبلغ ۲۵۰ ألف دينار!. فى حين أن كربلاء ليس فيها سنّة ليصلوا بهذا المسجد، لكن من أجل ثمانية دنانير تقطعون التيار الكهربائى عن مسجد شيعى، يستفيد منه كثير من المصلين!!، ألا يعبّر هذا عن مدى الطائفية الحكومية!!.

۱۳: مؤلف كتاب ليالى بيشاور

نقل لى والكلام لسماحة الإمام الشيرازى الراحل رحمة الله عليه السيد سلطان الواعظين وهومن العلماء المجاهدين صاحب كتاب (ليالى بيشاور) أثناء زيارته لكربلاء، فقال: فى زمن عبد الكريم قاسم، كنت قد ذهبت إلى حمام فى الكاظمية، حيث كنت وقتها مريضاً جدّاً، وأثناء ما كنت فى الحمام كان عدة من الرجال يستحمون أيضاً، وفجأة قام جنودٌ من قبل السلطة بمداهمة الحمام وألقوا القبض علينا ونقلونا فى سيارة مغلقة إلى وزارة الدفاع، وكان الهواء حينها بارداً جداً، وهناك وضعونا فى مرآب قذر، فوجدنا هناك الآلاف من الذين اعتبروهم إيرانيين، قد وضعوا فى حالة يرثى لها، وحينما حل وقت الظهر حيث كنا جياعاً جداً، جاءوا لنا بالرز والمرق، إلاّ أنهم وضعوه فى عربات تدفع بالأيدى، تستخدم لنقل الطابوق والتراب عادة، وقالوا لنا: تحركوا مجموعات مجموعات، كل مجموعة تقف على عربة وتتناول الطعام، استهانةً بنا. كان الوضع يجرى هكذا فى العراق، وكان رئيس الدولة هو عبد الكريم قاسم، ثم شاهدنا بأعيننا ذلك المغفل الذى رسم صورة الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله وفى وسطها صورة عبد الكريم قاسم وإلى يساره صورة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، وهو يربط سيفاً على محزم عبد الكريم قاسم، وكانت الصورتان معلقتين على باب الدخول لحرم الإمام أبى عبد الله الحسين عليه السلام بأمر من الحكومة!!.

۱۴: محاربة الزوار

يذكر العلامة الشيخ جعفر الرشتى رحمة الله عليه أنه قبل ثمانين سنة فى زمان لم تكن آنذاك (الجنسية) متعارفة بين الناس التى جاء بها الاستعمار لبلادنا كان هناك جسر على طريق بغداد قبل الوصول إلى مدينة كربلاء المقدسة بفرسخ واحد، وكذلك كان على طريق (كربلاء النجف) مكان يدعى ب (خان الهندى)، وهو يبعد عن كربلاء فرسخاً واحداً، يقول الشيخ الرشتى: وكان الزوّار فى ذلك الزمان لكثرتهم ينامون على امتداد جانبى هذا الطريق، أى من الجسر الأبيض حتى كربلاء، ومن كربلاء حتى خان الهندى فى الطرف الآخر من المدينة. فانظر كم كان عدد الزائرين آنذاك؟ وهنا نتساءل: أين ذهبت تلك الأعداد الكبيرة من الزوار؟ والجواب: لما أحكمت الحكومات الطائفية المتعصبة قبضتها على الشيعة، قامت بمنع وقمع كل هذه الجموع من الزائرين، فمنعتهم من زيارة إمامهم أبى عبد الله الحسين عليه السلام وسائر الأئمة الأطهار عليهم السلام، وذلك إما باستخدامهم القوة والبطش، أو بإدخال الأفكار المنحرفة إلى عقول بعض السذّج لكى يصرفوهم عن أئمتهم، إذ أخذوا يروّجون بأن هذه الأعمال والشعائر هى من الخرافات، وتقف حائلًا أمام التقدم والحضارة (المستوردة) وغيرها من الدعاوى الباطلة().

۱۵: إبادة ملايين النخيل

لو وقفت فى مدينة عبادان الحدودية، ونظرت إلى الجانب الآخر لنهر شط العرب، لشاهدت مئات الألوف من النخيل واقفة بلا رؤوس، فهذا الحوض الممتد من الفاو إلى القرنة ولمسافة أكثر من ۱۵۰ كيلومترا، حيث توجد أكبر غابات النخيل فى العالم، ويقدر عددها أكثر من (۳۰) ثلاثين مليون نخلة، وتحيى تحت ظلالها ملايين من أشجار الفواكه المتنوعة، تحولت هذه النخيل والأشجار إلى هامات هامدة، ونقلت النخيل الجيدة إلى مزارع أفراد السلطة الطائفية فى تكريت، وسامراء، والدور، والراشدية.. وصارت مناطق الشيعة هنا عبارة عن أرض جرداء لا حياة فيها.

۱۶: تشريد حوالى نصف مليون!!

وإذا صعدت شمالاً حيث أهوار الجنوب التى مساحتها (۴۱) ألف كيلومترً مربعً أى أكبر من مساحة لبنان وتعتبر ثامن بيئة مائية فى

العالم، لما تحتويه من ثروة طبيعية وحيوانية نادرة، ومناظر خلابة حيث غابات القصب والبردى، وملايين الطيور المتنوعة والأسماك، بالإضافة إلى كونها مصدر رزق وحياة لأكثر من نصف مليون شيعى يقطنون فيها منذ أكثر من خمسة آلاف عام، تحولت هذه البيئة بين عشية وضحاها إلى صحراء قاحلة لا أثر للحياة فيها، حيث تم تحويل روافدها المائية شمال مدينة بغداد، وأُنشئت هناك بحيرات واسعة تمتد على سواحلها القصور والفيلات الجميلة، وصارت منتجعات خاصة للعائلة الحاكمة، وعناصر السلطة المنتمين إلى طائفة محددة على حساب الشيعة، وتم قتل وسجن وتشريد أكثر من نصف مليون إنسان شيعى ساكن فى منطقة الأهوار، وتدمير بيئتهم بالكامل.

۱۷: النهب الفظيع لثروات الجنوب العراقى!!

وإذا وقفت فى هذه المنطقة ذات الأهوار سابقاً، والصحراء القاحلة حالياً، وتلفتَ يميناً وشمالاً لشاهدت أكبر حقول العالم النفطية فى الرميلة، والقرنة، والعمارة، والناصرية، ومجنون الذى دفعت شركة توتال الفرنسية قبل عقدين لشرائه لوحده (۶۰۰) ستمائة مليار دولار تضخ وبكل قوة الذهب الأسود (النفط)، وبطريقة الرمل التى حذرت منها كل المنظمات العلمية ذات العلاقة بهذا الشأن، وخاصة منظمة الأوبك؛ لأن الضخ بهذه الطريقة تعنى إنتاج كميات كبيرة من النفط على حساب عمر البئر وقدرة إنتاجه مستقبلاً، وهذا ليس مهماً بنظر السلطة الطائفية فى بغداد، فالمهم إنتاج أكبر قدر ممكن للحصول على المال الشيعى وقتلهم به.

وامتدت أنابيب النفط آلاف الكيلومترات، لتنقل ثروات الشيعة إلى حيث تبنى قصور التكارتة وغيرهم من طائفة معينة، حيث الحياة الفارهة الجميلة، واللعب بالأموال كما يلعب الأطفال بالماء أو التراب المباحَين، ويضخ الذهب الأسود الشيعى إلى دول عربية مجاورة، وروسيا وغيرها، لشراء مواقفهم السياسية أو بالأحرى ضمائرهم فى الدفاع عن جلادى الشعب العراقى.

هذه الثروة ترسل إلى تلك الدول لتتقدم وتتطور فى الحياة نحو الأفضل، أو تعطى كهبات إلى وسائل الإعلام الأجنبية من: محطات فضائية، وكُتّاب، وأحزاب، وجمعيات، لتقاتل بشراسة بوسائلها الخبرية وغيرها للمحافظة على أكلة أكباد العراقيين، أما أصحاب الثروة الحقيقية (الشيعة) فهم يعيشون حياة القرون الوسطى بكل ما تحتويه الكلمة من معنى، حيث البؤس والفقر والحرمان المقترن بالدم والدموع بشكل متعمد من قبل السلطة المركزية فى بغداد التى تتلذذ بقتلهم.

۱۸: وحولوا الجنان إلى صحارى قاحلة

وإذا توجهت شمالاً فى المناطق الشيعية الأخرى، لوجدت تلك الأرضى الزراعية الواسعة والكثيفة سابقاً، صارت أرضاً قاحلة تكسوها الأملاح، والأنهار جافة لا يوجد فيها إلا الماء القليل فى فصل الشتاء فقط. وصدقت صحيفة عكاظ السعودية فى مخاطبتها لحكام بغداد: حولنا الصحارى إلى جنان، وحولتم الجنان إلى صحارى قاحلة، فاخجلوا واخسئوا.

۱۹: ضرائب على زيارة العتبات المقدسة

وعند زيارتك للعتبات المقدسة فى النجف وكربلاء، ستشاهد ملايين الزوار من شيعة العالم يتوافدون بشوق للتبرك بزيارة مراقد أئمتهم عليهم السلام، وكل واحد منهم يدفع مئات الدولارات كرسم وضريبة الزيارة للسلطة المركزية الطائفية فى بغداد، وعلى سبيل المثال يبلغ عدد الزوار الإيرانيين فقط سبعة آلاف زائر أسبوعياً، يدفع كل فرد ضريبة إلى الحكومة البعثية مقدارها (۵۰۰) خمسمائة دولار، وهى ثروة تقدر بعشرات الملايين من الدولارات سنوياً وإذا زاد هذا العدد وأضيف إليه زوار سائر الدول فالعائدات تبلغ المليار، إنها عوائد هائلة دون أى عطاء، أو خدمات للزوار من الحكم الطائفى، بل العكس هو الصحيح حيث المراقبة، وتقييد حركتهم، وإحصاء أنفاسهم. أما الشيعة كبشر يشكلون حالياً

٨٠٪ من سكان العراق بعد انعتاق الأكراد من القهر البعثى وتمتعهم بحريتهم ويعيش العراق على ثرواتهم النفطية وفق برنامج (النفط مقابل الغذاء)، وتاريخهم المجيد فى مقاومة الاحتلال البريطانى فى الحرب العالمية الأولى، وتفجيرهم لثورة العشرين التى أعطت العراق الاستقلال فى العصر الحديث، إضافة إلى عروبتهم الأصلية فقبائلهم وأنسابهم ضاربة فى بطون التاريخ، مع عطائهم العلمى الغزير للإسلام والعروبة والوطن، فبالرغم من كل هذه المزايا وغيرها، تعتبرهم السلطة الطائفية فى بغداد مجرد قطعان من مخلوقات غير مؤهلة لا تستحق الحياة، فيعاملون كالعبيد، بل أصبح قتلهم يومياً ولمجرد الهواية فى كثير من الأحيان.

٢٠: القتل والإبادة المفرطة

وقتل من الشيعة فى الحروب الخارجية العدوانية مع كل من إيران والكويت أكثر من مليون، واستشهد منهم فى انتفاضة شعبان ١٩٩١ أكثر من ربع مليون، وأعدم أكثر من نصف مليون فى الزنزانات الرهيبة، ولا ـ زالت دماؤهم تجرى أنهاراً. فدمائهم رخيصة وأموالهم وثرواتهم منهوبة، وكل شىء يعبر عن وجدانهم وله علاقة بدينهم فهو ممنوع عنهم، حتى ممارسة شعائرهم وطقوسهم خلال عشرة أيام فى السنة محرمة عليهم.

وفوق هذا وذاك إذا شعرت السلطة المركزية فى بغداد بأنهم ليسوا كما يجب فى طاعتهم اعتبرتهم أجانب، ويتم تسفيرهم أو يبقوا تحت التهديد بالطرد من البلاد عند الضرورة، فهم أمام خيارات محددة: أما أن يهربوا خارج العراق كما هرب الخمسة ملايين عراقى قبلهم وأغلبهم من الشيعة، ليحل محلهم وفق مخطط مدروس الأربعة ملايين فلسطينى فى المستقبل القريب، أو مواطنو الدول العربية الأخرى باسم الأخوة العربية أو الاعتقال والزج بهم فى السجون وانتظار الموت السريع أو البطىء، أو يكون الشيعى جندياً ضمن تشكيلات السلطة المتعددة والغير منتهية: الجيش، الأمن، الشرطة، الحرس الخاص، الأمن الخاص، فدائيو صدام، أشبال صدام، الحرس الجمهورى، الجيش الشعبى، قوات الطوارئ، جيش القدس ... إلخ، ولديه واجب واحد محدد وهو: مراقبة وقتل الإنسان الشيعى().

٢١: العهد العارفى: المراكز العليا للطائفيين فقط!!

حرم شيعة العراق من التوظيف فى المراكز العليا والحساسة فى الجيش والوزارات، فعلى سبيل المثال لم نلحظْ أن تسلم شيعى وزارة الداخلية أو وزارة الدفاع وحتى رئاسة أركان الجيش، لم يكن من الشيعة من تقلد هذا المنصب إلا فى فترات محدودة جداً، وفى هذا الصدد يقول العقيد الركن أحمد الزيدى: من أهم المعضلات والآفات التى تنخر فى روح وعزيمة القوات المسلحة العراقية وركائزها الأساسية: الطائفية، فهى تمارس فى الجيش بصورة تكاد تكون علنية، ولا يحتاج إلى جهد كبير لمعرفة المدى الذى وصل إليه التميز الطائفى داخل القوات المسلحة، فلقد ظلت القيادات الرئيسية داخل القوات المسلحة دوماً بعيدة عن أيدى الضباط الشيعة فى كل العهود، كرئاسة أركان الجيش، وقيادات الفرق، والألوية الرئيسية، والمناصب الهامة فى وزارة الدفاع إلا نادراً.

وعلى الرغم من أن نسبة الشيعة داخل القوات المسلحة، وخاصة فى الوحدات الفعالة تصل أحيانا إلى ٨٥ ٪ فإن نسبة الضباط لا تتعدى ٢٠ ٪. وفى مسح للدورتين ٤٤ و٤٥ من الكلية العسكرية فى عهد الأخوين عارف، كانت الخارطة الاجتماعية للدورتين كما يلى: ٢٠ ٪ من التلاميذ الشيعة من مختلف المحافظات، ٤٥ ٪ من الموصل، ١٥ ٪ من الرمادى، ١٠ ٪ من بغداد من مناطق السنة، ١٠ ٪ أكراد ومسيحيين ويزيديين وتركمان، ولم يكن ذلك يتناسب مع حجم أبناء الطائفة الشيعية التى تشكل فى مجموعها أكثر من ٦٠ ٪ من سكان العراق، وفى مسح للدورتين ٥٧ و٥٨ فى حكم حزب البعث العراقى، كانت النسبة مقاربة إلى النسبة التى كان يتم القبول على ضوئها فى عهد الأخوين عارف.

لقد بدأ عبد السلام عارف رئاسته بإقصاء الشيعة فى الجناح المؤيد له بعد أن تم إقصاء الجناح اليسارى. وفى تلك الفترة كان المجلس لقيادة الثورة الذى تشكل يوم ٨ شباط يتألف من (١٨) عضواً، عشرة منهم عسكريون وجميعهم سنة، وثمانية مدنيين خمسة

منهم شيعة وثلاثة سنة. ومعنى هذا أن السنة فى مجلس القيادة كانوا (١٣) والشيعة خمسة، إلا أن عبد السلام عارف والعسكريين فى القيادة ومنهم أحمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح نظروا إلى هذه النسبة بعدم الرضا.

٢٢: البهتان الطائفى

وفى (١٨) تشرين الثانى وفى البيان الأول لحركة عبد السلام عارف أشير إلى هؤلاء بكلمة الشعوبيين، وهو الوصف الذى يستخدمه الطائفيون فى الحركة القومية للشخصيات الشيعية. وإن طوراً خطيراً وجديداً من أطوار طائفية الدولة سيبدأ مع انتقال العمل الطائفى ضد الأغلبية الشيعية من السرية والتكتم إلى الإعلان الصارخ وعلى لسان عبد السلام عارف نفسه، فقد عادت مؤسسات الدولة إلى التعامل مع المواطنين العراقيين على ضوء انتماءاتهم المذهبية، وأخضع المبعوثون إلى الخارج إلى فحص مذهبى، وأغلقت أمام الطلاب الشيعة أبواب الكلية العسكرية من جديد. ولم يسمح إلا للقليل من الضباط الشيعة العبور إلى كلية الأركان. وحصرت المراكز المؤثرة فى الدولة بغلاة الطائفية الذين حصروا بدورهم فرص العمل ودرجات الوظيفة، بطائفة دون أخرى وبقرية دون أخرى، واستخدمت بشكل موسع لفظة الشعوبية لوصف المواطنين الشيعة.

٢٣: طائفية شاملة لكل المجالات

وكان ضباط الشرطة أقسى فى ملاحقة البعثيين الشيعة منهم البعثيين السنة، وهو الأمر الذى حدث نفسه للشيوعيين بعد انقلاب ١٤ رمضان. فقد واجه الشيعة منهم فى مراكز التحقيق، وفى المحاكم الخاصة صنوفاً من التعذيب أقسى كثيراً مما واجهه رفاقهم المنحدرون من عوائل سنية. وفى قوائم الفصل والطرد من الوظيفة كان واضحاً أن الاستثناءات مع الشيعة لم تكن بحجم استثناءات رفاقهم السنة فى الحالتين.

وكانت قوائم الإعدام قد خصت الشيوعيين الشيعة بشكل خاص، ولم يعدم شيوعى واحد من أصول سنية إلا بعد انتفاضة معسكر الرشيد تموز ١٩٦٣. مما قد يكون محسوبا على هامش الصراع على السلطة.

من جانب آخر أحدثت سياسة التمييز الطائفى انعطافاً أساسياً فى اتجاهات الجيل نحو دراسة الفروع العلمية البحتة كالهندسة والطب والعلوم والفيزياء، آملين أن تكون السلطة بدافع الحاجة القصوى لهذه الاختصاصات مضطرة إلى تعيينهم فى أجهزة الدولة، وقد ظهر فى إحصائية مودعة بوزارة التخطيط أواخر السبعينات أن ٨٠٪ من حملة الشهادات العليا فى الفروع العلمية كانوا من أبناء الشيعة، ولم تكن هذه الإجراءات نهاية الحدود التى كانت ستتوقف عند مشارفها السلطة الطائفية فى طورها الجمهورى. فقد ظهر جلياً أن السياسة الجديدة ما بعد عام ١٩٦٣، كانت تنظر إلى ما أنجزته السلطة الطائفية فى طورها الملكى، ولم يكن فى أى قطاع حكومى ثمة مجال أو فسحة متروكة لأبناء المذهب المحكوم، مما يعنى أن المرحلة الجديدة فى طائفية الدولة ستشمل قطاعات غير حكومية. ولعل ذلك هو الذى حصل بالفعل فى طائفية التجارة، وطائفية النقابات وطائفية الصحافة وأخيراً طائفية المعارضة.

٢٤: المركب العنصرى.. الطائفية الإقليمية

ضمن سياق التمييز الطائفى ضد شعب العراق تحرك الحكام الجمهوريون فى نفس الوقت فى إطار إقليمى ضيق مما جعل التمييز الطائفى لديهم تمييزاً عنصرياً مركباً سحق خلاله أوليات حقوق الشعب الإنسانية، وهذه قائمة تنطق بهذه الحقيقة مقتبسة من كتاب: (الشيعة والدولة القومية فى العراق) ص٢٥٤:

جدول تأقلم الدولة ١٩٦٣١٩٩٠

المدينة المنصب الاسم

عانة رئيس جمهورية عبد السلام عارف

عانة رئيس جمهورية عبد الرحمن عارف

تكريت رئيس جمهورية أحمد حسن البكر

تكريت رئيس جمهورية صدام حسين

تكريت رئيس وزراء طاهر يحيى

عانة رئيس وزراء عبد الرحمن البزاز

كبيسة رئيس وزراء عارف الكبيسى

الرمادى رئيس وزراء عبد الرزاق النايف

راوة نائب رئيس وزراء عبد الغنى الراوى

راوة وزير عبد الهادى الراوى

راوة وزير محمد عمار الراوى

راوة وزير مسارع الراوى

راوة وزير إبراهيم خليل حسين

راوة وزير فريد فتيان

راوة وزير عبد الرحمن حبيب

راوة وزير ناجح الراوى

راوة وزير سعد عبد الباقى

الدور وزير عزت الدورى

الدور وزير محمد محجوب

حديثة وزير أنور عبد القادر

حديثة وزير مرتضى الحديثى

حديثة وزير نورى فيصل

حديثة وزير حكمت عمر

كبيسة وزير خالد عبد عثمان

الرمادى وزير سعدون غيدان

هيت وزير إبراهيم عبد الرحمن

الفلوجة وزير إبراهيم العبد الله

الفلوجة وزير عبد المجيد الجميلى

الرمادى وزير محمد عايش

الرمادى وزير سعدى عريم

الرمادى وزير عبد اللطيف الدراجى

الرمادى وزير عبد الستار على الحسين

الرمادى رئيس ديوان رئاسة الجمهورية طارق حمد العبد الله

الرمادى وزير شفيق الدراجى

سامراء وزير شامل السامرائى

سامراء وزير عبد الخالق السامرائى

سامراء وزير عبد الله سلوم

سامراء وزير عبد الله فاضل

سامراء رئيس ديوان رئاسة الجمهورية أحمد السامرائى

سامراء وزير صبحى السامرائى

عانة رئيس ديوان رئاسة الجمهورية بديع شريف

عانة وزير عزيز شريف

عانة وزير عامر عبد الله

عانة وزير عبد المجيد سعيد

عانة وزير خضر عبد الغفور

عانة وزير فخرى قدورى

عانة وزير شفيق الكمالى

عانة وزير تايه عبد الكريم

عانة وزير طاهر توفيق

عانة وزير عبد الغنى عبد الغفور

عانة وزير رياض إبراهيم حسين

عانة وزير كامل مولود عبد

عانة وكيل وزارة الداخلية حامد العانى

عانة وزير عزت مصطفى

عانة وزير كريم شنتاف

تكريت وزير صلاح عمر

تكريت وزير عدنان خير الله

تكريت وزير حسين كامل

تكريت وزير كامل الياسين

تكريت وزير عبد الفتاح الياسين

تكريت وكيل وزارة الخارجية عبد الملك الياسين

تكريت قيادى برهان الدين عبد الرحمن

تكريت وزير رشيد مصلح

تكريت وزير ذياب العلكاوى

تكريت وزير غالب مولود مخلص

تكريت عضو مجلس قيادة الثورة حردان عبد الغفار

تكريت عضو مجلس قيادة الثورة حماد شهاب

هذا واقع سلطات العراق: طائفية + إقليمية + عمالة + إرهاب = حكم عراقى قومى!!

وما قيل فى رئاسة الجمهوريات والوزارات يقال فى المحافظين لكل مدن الشيعة والأكراد ويقال فى رؤساء الجامعات وقادة الجيش ورؤساء الأقسام وغيرهم من المسئولين.

۲۵: ملاحظة إقليمية!

حين كانت السلطة الطائفية الإقليمية تستبعد لأمر ما مسئولاً عن منصب كانت تستبدل به غيره من نفس قريته (وإقليمه) فحين أبعد عزت مصطفى العانى عن وزارته تم تصعيد أربعة عانيين مكانه فى أربع وزارات وحين أعدم عبد الخالق السامرائى للخلافات الداخلية تم تصعيد ثلاثة بدلاً عنه كما تم تعويض مرتضى الحديثى بنورى فيصل الحديثى وحكمت الحديثى!!. نعم، هكذا كانت الروح الإقليمية تحدو المسئولين فى العراق الجريح المستباح!.

۲۶: طائفية البكر

وكذلك بالنسبة لأحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية بعد انقلاب ۱۷ تموز ۱۹۶۸، الذى لم يحد عن النهج الطائفى المترسخ فى إدارة حكم العراق، لخدمة المصالح الغربية وإرضاءً لتركيا العضو الفعال فى حلف الناتو. لكنه كان يمارس طائفيته بشكل مخفى، ويتستر عليها على العكس من سلفه عبد السلام، ويروى العقيد الركن أحمد الزيدى عن طائفية البكر عشرات الأمثلة فى كتابه (البناء المعنوى للقوات المسلحة العراقية)، ومنها باختصار: ذات مرة وفى أحد شوارع بغداد أنقذ أحد الضباط امرأة من سائق تاكسى يحاول اغتصابها، فسمع البكر بهذه القصة فأرسل على الضابط الشهم كى يثنى عليه ويكرمه على عمله هذا، وبالفعل أحضر الضابط أمامه، سأله البكر: ما اسمك؟ أجابه الضابط: سيدى اسمى على. سأله من أى المحافظات أنت؟ أجابه الضابط: بأنه من إحدى المحافظات التى يقطنها أهل السنة. فقال البكر: اعتقدت بأنك شيعى عندما قلت لى بأن اسمك على، ولكننى عرفت بأنك لست منهم صدق حدسى، فهؤلاء يقصد الشيعة لا يمكن أن يقوموا بعمل شريف كهذا أبداً؛ لأنهم لم يتربوا على الشرف والكرامة. هكذا رؤساء حكموا العراق وبهكذا رؤية متوترة عاملوا الأكثرية من الشعب.

۲۷: التفتيش الطائفى فى القوات المسلحة

وفى ظل انقلابيى ۱۷ تموز وصل التمييز الطائفى، وخاصة فى القوات المسلحة لدرجة إضافة فقرة جديدة للاستمارة السرية التى يجب على الضابط أن يملأها كل ستة أشهر، وهى الانتماء المذهبى، أى أن يكتب الضابط هل هو شيعى أم سنى؟ بينما كانت الاستمارات من قبل تقتصر على حقل الديانة والقومية فقط.

۲۸: الحقد الطائفى على الأهوار

إن الحقائق على أرض الواقع تكشف لنا أبعاد الخطة الخبيثة التى خطط لها النظام، للقضاء على الحياة فى الأهوار التى يعود تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وانطلقت منها أولى الحضارات فى العالم، حضارة سومر، وتعتبر الأهوار من المناطق المحمية فى العالم بموجب القرارات الدولية بشأن حماية البيئة، وكانت الأهوار غنية بالحياة وتحتوى على قدر كبير من الثروة السمكية التى كانت مصدر الرزق الرئيسى لسكان الأهوار، وفيها من الحيوانات والطيور النادرة فى العالم، وكانت الأهوار تغطى أكثر من مائة ألف كيلومتر مربع، أما الآن لم تبق منها إلا ما يقدر ب ۱۵۰۰ كيلومتر مربع فقط، فلم يكترث النظام البائد لا بالنداءات من المنظمات الدولية، ولا

لحياة مئات الألوف من أبناء الأهوار الذين حرمهم من أبسط حقوق العيش، فالهاجس الأمنى والحقد الطائفى هما اللذان كانا المهيمنين على التدابير التى شرع النظام بتطبيقها، فكانت النتيجة هجرة السكان من المنطقة هائمين على وجوهم أمام خيارين كلاهما مرّ: إما إلى إيران كلاجئين، والعيش على المعونات التى تقدمها الدولة المضيفة، أو العيش فى المجمعات القسرية التى شيدها النظام ذات النظام الصارم، والتى هى أشبه بالمعتقلات الكبيرة والشبيهة بتلك التى أنشاها سابقاً لسكان القرى والأرياف الكردية، بغية إفراغ الريف الكردى من ساكنيه بعد عمليات الأنفال السيئة الصيت.

۲۹: التحكم حتى بمياه الشرب

وصف تقرير أعدته رسالة العراق هذه السياسة: تتعرض أرياف الجنوب إلى كارثة بسبب من السياسة الإروائية للدكتاتورية ذات الأهداف الأمنية البغيضة، والرامية إلى إفراغ الريف من ساكنيه، وصل حد التحكم حتى بمياه الشرب. ومن خلال التقرير المعد بعناية فائقة نلمح أيضا السياسة الطائفية تبرز بشكلها القبيح، حيث عمد النظام لإنشاء السدود الضخمة التى تستوعب عشرات المليارات من الأمتار المكعبة كسد بادوش (سد صدام حسين) قرب ناحية فايدة التابعة لمحافظة الموصل، وسد الثرثار المعروف والمربوط بقناة مع سد سامراء، والسد العظيم شمال بعقوبة. والعارف بجغرافية العراق يدرك أهمية مواضع هذه السدود ومواقعها، والعشرات غيرها، والغاية التى أنشئت من أجلها فى تلك المناطق المختارة بعناية فائقة.

۳۰: سياسة الإرواء الطائفية

وحسب الدراسات والتقارير عن مستقبل البشرية، تشير بأن منطقة الشرق الأوسط على جدول المناطق التى ستعانى من التصحر، وقلة الماء فى المستقبل المنظور، وخاصة بعد إتمام مشروع الغاب التركى فى عام ۲۰۰۵ الذى سيتحكم بنسب المياه المتدفقة من دجلة والفرات إلى سورية والعراق، لكن الإجراءات التى باشر النظام باتخاذها لمواجهة المشكلة المائية المقبلة، لم يتخذ فيها جانب الحرص على مستقبل أبناء العراق بشكل عادل، وجاءت إجراءاته مكملة للنهج الطائفى الذى يقطع فيه الأشواط تلو الأخرى بسرعة جنونية، تجعل المراقب للشأن العراقى يقف حائراً مشدوه الفكر لما يخبئه هذا النظام لمستقبل العراق وشيعته، فسياسته الإروائية ليست نزيهة بالمرة، وغير عادلة فى توزيع المياه بالتساوى على مناطق العراق، من خلال تلك السدود التى ستضر بالدرجة الأولى أبناء الطائفة الشيعية فى الجنوب.

۳۱: مصادرات لأوقاف الشيعة

ليس خافياً على أى فرد من العراقيين ما مارسته السلطات الطائفية البائدة من مصادرات، واغتصاب طائفى لأوقاف الشيعة، وحرمانهم من أبسط امتيازاتها.. وفيما يلى لقطات عاجلة عن الممارسات الطائفية فى الأوقاف:

۱: استولت وزارة الأوقاف على أوقاف الشيعة البكداشية فى الحلة.

۲: وتسيطر الأوقاف وعلى هذا النحو الطائفى على واردات الأئمة السنة والشيعة، لكنها تحرم المؤسسات الشيعية من هذه الواردات. إذ المعروف أن أجور الماء والكهرباء والخدمات الأخرى للجامع الشيعى تدفع من تبرعات المصلين. وتدفع الأوقاف أجور هذه الخدمات إذا كان الجامع سُنياً. وتستولى الأوقاف بين الحين والآخر على مساجد شيعية عنوة (استيلائها على مساجد البصام، وجامع السهلانى فى البصرة الذى بُنى من تبرعات المصلين) خلافاً للفقه الإسلامى الذى ينص على عدم جواز التصرف فى الوقف إلا حسب ما وقفه الواقف.

۳: ويحرم العراقيون المسلمون إذا كانوا شيعة من واردات الأوقاف العامة فى سبيل الله، وقد أخفقت مقترحات قدمها علماء الإسلام

الشيعة من أجل وحدة المسلمين والمساواة بينهم، أن تكون الأوقاف العامة مشتركاً بين المسلمين شيعة وسنة. وأن تعطى أوقاف أئمة الشيعة للشيعة، وأوقاف أئمة السنة للسنة.

۴: وتستولى الأوقاف الحكومية على رسوم المقابر الشيعية، إلا أنها أى الأوقاف غير مسئولة عن الخدمات التى تحتاجها هذه المقابر.

۵: لا تُشمل العوائل الشيعية الفقيرة ببرامج الإسكان والدور التى تقيمها الأوقاف.

۶: وتتدنى ممارسة التمييز الطائفى فى هذه المؤسسة الدينية الحكومية إلى حد حرمان اليتيم العراقى إذا كان شيعياً من حق الدخول إلى مدرسة الميتم الإسلامى التى تديرها الأوقاف.

۷: تبنى الدولة جوامع فى المدن الشيعية، وترسل موظفاً دينياً سنياً يسمى إمام الجامع، فيظل مسجد الدولة فارغاً من المصلين، وقد أخفقت نداءات علماء الشيعة ودعواتهم لأن تبنى الدولة الجامع وتترك للمسلمين حرية الصلاة خلف إمامهم، كل على مذهبه كما هى الحال فى الكنائس المسيحية التى تساهم الدولة أيضاً ببنائها.

۳۲: محنة كلية الفقه فى النجف الأشرف

ونشير إلى مظهر آخر من مظاهر التمييز الطائفى فى المؤسسات الدينية مما جرى لكلية الفقه فى النجف:

أُجيزت هذه الكلية فى أعقاب ثورة ۱۴ تموز وكان وزير المعارف هديب الحاج حمود على أن تقبل خريجى الثانوية أو طلاب الدراسات الدينية الخاصة. حيث تزدهر فى النجف وكربلاء والكاظمية منذ ألف عام.

وقد قبلت الدورات الأولى على هذا الأساس، حتى انقلاب ۸ شباط عام ۱۹۶۳ وإسقاط ثورة ۱۴ تموز، وعودة الدولة إلى سياسة التمييز الطائفى، إذ أُلغيت الفقرة الخاصة بالدراسات الدينية، فى محاولة واضحة لاستئصال الشريان الرئيسى الذى تتغذى منه هذه الكلية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد استكملت حلقة اضطهاد هذه المؤسسة بعد عودة البعث للحكم عام ۱۹۶۸م، إذ جرت مصادرة كلية الفقه، وإلحاقها بالجامعة المستنصرية، وإخضاعها لبرامج التعليم الحزبى الذى يشرف عليه بعثيون غير مسلمين عادة، فانتدبت النجف وفداً لمقابلة وزير التعليم، وعرض الوفد أن تتم مساواة كلية الفقه فى النجف مع كلية الإمام الأعظم التى بقيت تتغذى من خريجى المعاهد الدينية التابعة للأوقاف، وشهادتها غير معادلة للثانوية. فلماذا لا يقبل خريجو المدارس الدينية فى النجف وكربلاء فى كلية الفقه أسوة بزملائهم طلاب المعاهد السنية، والدراسة فى النجف وكربلاء كما هو معروف أرقى وأقدم وأشمل فى علوم العربية والإسلام.

وعد الوزير أعضاء الوفد أنه خلال أيام سيسعى لتوحيد الحالة. فصدر قرار عن رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر بمعادلة الدراسة الدينية فى المعاهد السنية بالشهادة الثانوية! وقبول ۶۰٪ من طلابها فى كلية الفقه! وإبقاء طلاب المعاهد الإسلامية الشيعية على حالتهم، وحرمانهم من حق الدراسة فى كلية الفقه!

لقد أراد الوفد أن يتساوى معهد شيعى مع معهد سنى فى الشروط، فصدر القرار بجعل ۶۰٪ من طلاب المعهد الشيعى سُنة بعد ترقية شهادتهم إلى مستوى الثانوية!!

۳۳: الطائفية تجهز على جامعة الكوفة

وتعرضت الكوفة التى ينسب إليها الخط الكوفى، والنحو الكوفى إلى إهمال مقصود. ولم تبذل أية جهود لمنحها أى دور فى الحياة العلمية والسياسية. ولم يأت على ذكرها كاتب، ولم يقف عند مدارسها مفكر.

ولقد فكر نخبة من العلماء المفكرين بإحياء الدور الريادى العلمى للكوفة أواخر الستينات، وبدأت الخطوة الأولى وبرعاية المرجع الأعلى الإمام السيد محسن الحكيم رحمة الله عليه بتشكيل الهيئة التحضيرية لمشروع علمى ضخم تعهد بتمويله المجتمع، وأشارت

مستويات التبرع إلى أن الحصيلة ستكون كافية لإقامة أضخم جامعة فى الوطن العربى، تلحق بها مساكن الأساتذة، وقرى للبحث العلمى ومشاريع إنتاجية؛ لكى تعود الكوفة مرة ثانية عاصمة من عواصم العالم العربى. كما كانت إحدى مراكز الثورة فى التاريخ، منذ أن أقام فيها الإمام على عليه السلام بعد واقعة الجمل إلى أن أعدم فيها قادة ثورة النجف عام ۱۹۱۸، وقصفت الطائرات البريطانية مسجدها الكبير، وقتلت عدداً من المصلين الذين كانوا يستعدون لهجوم على قوات الاحتلال فى ثورة العشرين.

إن السلطة القومية الطائفية بدلاً من أن ترعى مشروعاً علمياً وثقافياً واسعاً كهذا لجأت إلى إصدار قرار عشوائى باعتقال معظم أعضاء الهيئة التأسيسية للمشروع، ومصادرة الأموال التى تبرع بها المواطنون لإقامة جامعة الكوفة.

ومن المثير للاستفزاز أن تقدم السلطة القومية فى شباط من عام ۱۹۵۶ على هدم منارة مسجد الكوفة التى بنيت فى منتصف القرن الثانى الهجرى. كما هدمت مدخل المسجد بريازته العربية النادرة، دون أن تقدم سبباً (معقولاً) لذلك.

كما اتفقت الأوقاف والآثار العامة على هدم منارة العبد إحدى مآذن ضريح الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء والتى بناها مرجان مشيد جامع مرجان فى بغداد عام ۱۵۷۵ ميلادية. وقد ظلت هذه المأذنة قائمة فى مؤخرة الحائر المقدس وسط الجانب الشرقى من الصحن، حتى هدمت عن جهل وضلال عام ۱۹۳۷. وكانت مأذنة متينة البنيان يبلغ قطر قاعدتها حوالى ۲۰ متراً، وترتفع إلى ما يناهز الأربعين متراً. كما كانت مزينة بالفسيفساء النادر والقاشان البديع.

۳۴: نهب عوائد الزيارات الدينية

من جانب آخر فإن العتبات المقدسة وبغض النظر عن قيمتها الدينية، يمكن أن تستخدم فى الجذب السياحى حيث صارت السياحة صناعة العصر، وإنعاش اقتصاد البلد دون وقوع المجتمع العراقى بمشكلات المدن السياحية، ودون الحاجة إلى سباق للخيل، أو دور للبغاء، ونواد للقمار، وحانات للمخمورين. فالسائح إلى المدن الإسلامية المقدسة ناسك متعبد يأتيها خاشعاً ويغادرها باكياً.

وإذا كان معروفاً أن ما لا يقل عن مليونى زائر كان يمكن أن يتوجه سنوياً إلى هذه المدن، لو أفسح فى المجال لكان عائد العراق فى الحد الأدنى يزيد على مليار دولار سنوياً. وكان المفروض بالدولة أن تنهض ببناء مطار على الأقل فى مدينة كربلاء للنقل المباشر بين هذه المدينة ومدن العالم. وأن تعطى سمات الدخول لهذه الزيارة دون تعقيد أو روتين. ولو حدث ذلك لكانت المدن العراقية المقدسة فى وضع اقتصادى تستطيع معه أن تردم المستنقع التاريخى الذى يحيط بكربلاء، وأن توقف الرمال الهائجة على النجف، وأن تبنى فى سامراء جامعة، وفى الكوفة جامعة، والعراق فى كل ذلك هو البلد المزار والقبلة المقصودة.

۳۵: مصادرة حقوق الإنسان ومعاقبة قادة التحرير

إن واقع العراق السياسى والإنسانى واقع لا يصدق إلا لمن يشهده رأى العين.. وهو واقع يختلف عن واقع كل دول العالم، فالعراقيين عرفوا منذ عهد النقيب حتى يومنا هذا أنماطاً من المراسيم والإجراءات التى تنزع عن العراقى جنسيته العراقية.

ففى العهد الملكى وحده أصدرت الدولة (۳۷) مرسوماً لمعاقبة أصحاب الرأى الآخر. وانتهت الدولة مؤخراً من مخالفة جميع بنود الإعلان العالمى لحقوق الإنسان. ودخل العراقيون إلى مهاجرهم أشتاتاً، وشرد نصف مليون إنسان، مطرودين وراء الحدود، بعد أن انتزعت وثائقهم وأموالهم، وحجز أبناؤهم فى معسكرات صحراوية، وهاجر من البلاد أكثر من أربعة ملايين مضطرين مقهورين، وحيث يحتفل المغاربة والليبيون والمصريون والشاميون بقادة الجهاد فى أقطارهم، تعتم السلطة العراقية والعاملون فى المشروع القومى الطائفى على أسماء قادة الجهاد العراقيين، وزعماء ثورة العشرين، وترتفع درجة العداء إلى مستوى التصفية الجسدية لأعداد من أبناء وأحفاد قادة الجهاد وثورة العشرين، فقد قُتل أو أُعدم الكثير منهم:

* المفكر الإسلامى المجاهد الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازى عالم دينى من بيت ومدرسة قائد ثورة العشرين، المرجع محمد تقى

الشيرازى.

* المهندس الأستاذ علاء الشهرستانى، من أحفاد هبة الدين الشهرستانى.

* الأستاذ محمد حسين الشهرستانى عالم نووى كذلك، وقد حاولوا إعدامه لكنه أفلت بأعجوبة بعد سجنه عشر سنوات فى زنزانة.

* عزيز بن جعفر أبو التمن.

* راهى بن عبد الواحد الحاج سكر.

* عبد الحميد بن علوان الياسرى.

* أسعد بن محمد رضا الشبيبى.

* علاء الحيدرى، حفيد قائد حركة الجهاد مهدى الحيدرى.

* (۱۷) ابناً وحفيداً للإمام السيد محسن الحكيم.

* ومعروف أن أسرة زعيم الحركة الاستقلالية الشيخ مهدى الخالصى عاشت سنين طويلة فى المنفى.

* السيد آية الله محمد صادق القزوينى الشاهد الأخير من فقهاء التأسيس الوطنى سجن فى بغداد منذ يوم ۸/۴/۱۹۸۰، وقد أحرقت مكتبته، وصودر منزله، وبقى خبره مجهولاً حتى سقوط النظام البعثى المقبور.

۳۶: الشيعة وقود المعارضة وضحايا السلطة

كل الحركات والأحزاب السياسية فى العراق (باستثناء الأكراد) تعتمد على قواعد شعبية من الأكثرية الشيعية.. فأكثر أتعاب وتضحيات مرحلة النضال السلبى يتحملها الشيعة، وما أن تحقق المعارضة نصراً سياسياً معيناً أو تصل إلى السلطة.. ترى أن جمهور المناضلين وكوادرهم قد أقصوا بطريقة أو بأخرى عن مراكز السلطة.. هذا هو ديدن أغلب الحركات والرموز السياسية العراقية..

يقول الأستاذ حنا بطاطو وهو باحث محايد فى كتاب الطبقات القديمة: ص۹۲:

إن الشيعة الذين كانوا يمثلون ۵۴٪ تقريباً من قيادة الحزب فى الفترة ما بين ۱۹۵۲ ۱۹۶۳،لم يعودوا يمثلون إلا ـ أقل من ۶٪ ما بين ۱۹۶۸۱۹۷۰. ولم يدخل بعثى شيعى واحد مجلس قيادة الثورة العراقى ما بين ۱۹۶۸۱۹۷۷.

ويقول الأستاذ غسان سلامة وهو باحث محايد أيضاً: إن الحلقة الصغرى من قمة الحكم فى العراق منذ عام ۱۹۶۸ ليست شيعية على الإطلاق، ولم يتمثل الشيعة يوماً فى أجهزة السلطة العراقية لا الحقيقة منها ولا الشكلية بنسبة تعادل نسبتهم من السكان ().

۳۷: نموذج طائفى فى ظل الديمقراطية

يجدر هنا إثبات ما ورد فى بعض الصحف حول بعض القرارات الصادرة من (وزارة التعليم العالى) فى ظل نظام جديد تعددى تعقد عليه الآمال لاستئصال جذور الطائفية السياسية، فقد جاء فى مانشيت الخبر ما نصه تعيين أحد عشر ملحقاً ثقافياً بينهم مقاول! ونقل ثمانية وعشرين أستاذاً جامعياً لأنهم شيعة!!، وتفصيل الخبر هكذا:

كشف أستاذ جامعى رفض الإعلان عن اسمه: إن وزير التعليم العالى السابق وقع قبل ساعات من مغادرته مبنى الوزارة على (۱۱) أمر إدارى سرى للغاية، تضمنت تعيين ملحقين ثقافيين فى عدد من دول العالم خلافاً لكل القيم والضوابط المهنية والعلمية.

وبحسب المعلومات التى أكدها الأستاذ الجامعى ل (البينة): إن وزير التعليم العالى السابق أصدر أوامر سرية عين بموجبها مجموعة من أقاربه وأصدقائه الأعزاء بمناصب ملحقين ثقافيين، علماً أن هؤلاء يعيشون لحظة صدور الأوامر الإدارية خارج العراق، ولم يتشرفوا لحد الآن بزيارة الوطن، كما أن أغلبهم غير منتسب أصلاً للوزارة، وليس محسوباً على ملاكها الوظيفى، ناهيك عن عدم علاقة هؤلاء ب (صنعة) الثقافة العراقية.

وشر البلية ما يضحك أن أحد هؤلاء يعمل مقاولاً، وأن تعيينه بمنصب ملحق ثقافى قد تم إرضاء لعيون زوجته التى تشغل منصب مدير عام فى الوزارة المبجلة!.. من جانب آخر أتضح أن الوزير الراحل أصدر أمراً إدارياً بنقل (۲۸) من حملة شهادة الدكتوراه إلى خارج الوزارة لأنهم من الشيعة!! بالإضافة إلى قيامه بإصدار أمر خاص إلى سكرتيره الشخصى منع بموجبه دخول شخصيات شيعية إلى الوزارة. ترى ماذا يفعل لو بقى وزيراً بعد خمس سنوات؟! ().

وليس لنا تعليق على الخبر سوى أن القوانين الديمقراطية وحدها لا تكفى لمكافحة الطائفية السياسية، بل لابد من تعيين حق كل جهة من الأكثرية والأقليات الكبيرة والصغيرة.

وذكرت الصحف أيضاً: إن وزير الداخلية العراقى وقبل أن يترك منصبه للحكومة المؤقتة قد أحال على التقاعد ثلاثة عشر مسئولاً شيعيا فى الوزارة، وعين بدلهم مسئولين من الأقلية التى ينتمى إليها..

أهكذا تدار أمور وزاراتنا فى العراق الجديد؟!.

۳۸: الطائفية الدموية

لم تنحصر الطائفية فى إطار مصادرة الحقوق.. بل تعدتها فى مراحل عديدة إلى مصادرة الأرواح أيضا.

فالمقابر الجماعية التى فاق عدد ما عثروا عليها المائتين.. والتى انتشرت فى مدن وحواضر الأكثرية الشيعية، صورة واضحة من الطائفية الدموية.

وحوالى خمسة ملايين وثمانمائة ألف حالة إعدام وقتل وثائقها محفوظة فى مقر (منظمة حقوق الإنسان العراقى) وغيره فى بغداد وغيرها، هى صورة أخرى عن تلك الطائفية الدموية، وكلها أو أكثر من ۹۰٪ منها من أبناء الأكثرية المظلومة.

وكذلك ما جرى على أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة شاب حيث قطعت أذنهم، وأسماؤهم محفوظة فى ملفات خاصة لدى المنظمة المذكورة.

والأنكى والأشد إيلاماً هو ما يعانيه العراق الجديد يوميا من حمامات الدم ضد الأكثرية، كالانفجارات المفجعة فى يوم عاشوراء بكربلاء والكاظمية عام ۱۴۲۵ه، وكاغتيال رموز الأكثرية من أمثال الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم، والأستاذ عز الدين سليم، والدكتورة عقيلة الهاشمى، ومحاولات الاغتيال المتكررة للدكتور أحمد الجلبى، وسماحة السيد حسين الشامى رئيس ديوان الوقف الشيعى، وفضيلة الشيخ جلال الدين الصغير إمام جامع براثا فى بغداد، واغتيال العلامة الشيخ حسين الحارثى، واغتيال حوالى ۳۷ أستاذ جامعى وعالم متخصص فى مختلف العلوم، حسب ما ورد فى تقرير وزير التعليم العالى والبحث العلمى الدكتور طاهر البكاء لقناة العربية فى مقابلة خاصة..

وهذه صورة أخرى عن الطائفية الدموية المفجعة التى يعانى منها أبناء الأكثرية.

كما أن استمرار عمليات القتل والتهجير للشيعة فى مناطق اليوسفية واللطيفية والاسكندرية والحصوة وغيرها، صورة أخرى عن هذه الطائفية الإرهابية المخالفة لكل نداءات العقل ومواثيق حقوق الإنسان وأحكام كل الشرائع المقدسة لا سيما الكتاب العزيز والسنة الشريفة..

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون().

۳۹: إضطهاد الأكراد الفيليين

قدر البعض عدد الأكراد الفيليين فى العراق بثلاثة ملايين نسمة، وكلهم شيعة على الإطلاق، وقد سجل هؤلاء دوراً فاعلا فى خدمة العراق وشعبه المسلم.

تعد مأساة الكرد الفيليين مأساة مضاعفة لأنهم كرد وشيعة، وهى ترتبط إلى حد كبير بمأساة العرب من شيعة العراق وترجع إلى جذور تاريخية حيث الصراع السياسى الطويل الذى دار بين الدولتين العثمانية التركية والصفوية الإيرانية، والذى أدى إلى منح أبناء العراق حرية المفاضلة بين التبعية الإيرانية والتبعية التركية، فكان أن اختار قسم من الشعب العراقى التبعية العثمانية وقسم منهم التبعية الإيرانية، ثم جاء نظام الصدامى البائد ليسقط عن الأكراد الفيليين الجنسية العراقية بحجة التبعية الإيرانية مستفيدا من هذه الورقة فى صراعه مع إيران.

يقول المطلعون على هذا الملف إن من أبشع ما أقدم عليه النظام العراقى فى تعامله مع الكرد الفيليين هو محاولة مسخ هذه الشريحة الكبيرة من الشعب العراقى الكردى وإنهاء وجودها القومى وترحيلهم من بغداد وسائر المدن العربية العراقية الأخرى عن طريق البطش بمئات الآلاف من أبنائها، ولا سيما فى السبعينات والثمانينات بتهجيرهم قسرا إلى إيران، وما رافق ذلك من عمليات سبى وقتل لرجالهم ونسائهم وأطفالهم، مما لم يشهد له التاريخ مثيلا ولم يوجد له فى العصر شبيها.

كما قام هذا النظام باعتقال وحجز الألوف من الشباب الفيليين وزجهم فى سجونه المرعبة، فلا يعرف أحد من ذويهم أو من المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان عن مصيرهم شيئا حتى الآن.

وقد اتخذ النظام الصدامى من مفهوم التبعية الإيرانية ذريعة لتهجير هؤلاء الكرد الفيليين جماعيا وبالقوة الغاشمة من مناطق سكناهم فى بغداد والمدن والقرى العراقية الأخرى وإلقائهم على الحدود العراقية الإيرانية قبل وأثناء الحرب بين البلدين ۱۹۸۰-۱۹۸۸، متجاهلا بذلك الحقائق التاريخية التى تؤكد على أنهم عراقيون، فإن البريطانيين قاموا بنصب دولة فى العراق على شعب عريق متعدد القوميات والأصول والأديان واللغات حيث تنازعت عليه الأمبراطوريتان الفارسية والتركية العثمانية مئات السنين وتبادلتا التحكم بمصيره عدة مرات فى حين ظلت الحياة الروحية والثقافية لأكبر نسبة من سكانه من أهل الشيعة عربا وكردا فيليين مرتبطة بجارتهم إيران. وكان ذلك هو واقع الحال فى عموم العراق قبل تأسيس الدولة العراقية وصدور أول قانون للجنسية عام ۱۹۲۴، إذ كان معظم سكان العراق قبل تأسيس الدولة إما من التبعة العثمانية أو التبعة الإيرانية، ولأسباب تتعلق مباشرة بتلكؤ الدولة الإيرانية فى مسألة الاعتراف بالدولة العراقية نص قانون الجنسية العراقية على اعتبار السكان المقيمين ضمن حدود الدولة عراقيين إذا كانوا من رعايا الدولة العثمانية، ووضع القانون المذكور عراقيل فى قبول سكان المناطق الجنوبية، ولا سيما القريبة من الحدود الشرقية للدولة كمواطنين عراقيين، وشمل ذلك أفراد القبائل العربية والكردية الفيلية على حد سواء.

ماذا صنع النظام العراقى بالكرد الفيليين؟

تكشف العديد من الوثائق عن القرار الذى أصدره النظام الصدامى البائد بتسفير أو طرد العراقيين من أصحاب التبعية الإيرانية وقد جرى تنفيذ هذا القرار الجائر بصورة بالغة التعسف مما أدى إلى العديد من الكوارث الإنسانية التى شملت اقتلاع أكثر من مائتى ألف من الأكراد الفيليين وأضعافهم من الشعية العرب النفى من بلادهم ومسقط رأسهم ووطنهم بعد مصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة وإتلاف مستندات انتمائهم لوطنهم.

وقد أشار هؤلاء الضحايا وشهود العيان إضافة إلى ما وثقه عدد من الباحثين والمنظمات القانونية والإنسانية إلى إجبارهم على السير على حقول الألغام أيام الحرب العراقية الإيرانية لتنفجر بهم لأغراض تمهيد الطريق للوحدات العسكرية فى جبهة الحرب مما أدى إلى اختفاء آثار الآلاف من هؤلاء المساكين.

كما يقال إن الدوائر الاستخبارية استخدمت عددا منهم كمادة حية فى تجاربها العسكرية الكيماوية والبيولوجية، كما تعرض الآلاف من الكرد الفيليين إلى صنوف التعذيب البشع فى سجون صدام الرهيبة.

۴۰: قرارات الترحيل القسرى:

أصدر وزير الداخلية العراقى فى عام ١٩٨٠ قرارا ينص على تسفير من وصفهم بالإيرانيين الموجودين فى القطر ممن حرموهم من الجنسية العراقية، وكذلك من قدم لمعاملة التجنس ولكن لم يبت أمره، وكان المقصود بهم العراقيين من التبعية الإيرانية، كما نص القرار على الاحتفاظ بشبابهم الذين تتراوح أعمارهم من ١٨ – ٢٨ سنة، كما أكد القرار على فتح النار على كل من يحاول العودة من المسفرين إلى وطنه الأراضى العراقية والذين جرى إلقائهم وبطريقة غير إنسانية على قرب الحدود الإيرانية وفى أوضاع بالغة السوء بعد أن نهبت أموالهم وممتلكاتهم وجرى أسر شبابهم من بنين وبنات وأخذهم كرهائن ثم قاموا بإعدامهم جميعا.

وكان من مصاديق الطائفية التى مارسها صدام هو إجبار الرجال على تطليق زوجاتهم من التبعية الإيرانية مقابل مبلغ قدره ٤٠٠٠ دينار إذا كان الشخص عسكريا، و٢٥٠٠ دينار إذا كان مدنيا، وذلك عند طلاق زوجته أو تسفيرها إلى خارج القطر، وقد اشترط النظام من أجل منح المبلغ ثبوت حالة الطلاق أو التسفير بتأييد من الجهات الرسمية المختصة وإجراء عقد زواج جديد من عراقية، كما ألزم الشخص الذى استفاد من قرار مجلس قيادة الثورة أعلاه بعدم الزواج ثانية من إيرانية وفى حالة زواجه يسترد منه كامل المبلغ().

الفصل الخامس لكل سؤال جواب

الفصل الخامس لكل سؤال جواب

العلم خزائن، ومفاتيحه السؤال فاسألوا رحمكم الله، فإنه تؤجر بها أربعة:

السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهم

رسول الله صلى الله عليه و اله ()

مفتاح العلم السؤال الإمام الباقر عليه السلام()

لو فقد المرشح الكفوء

س١: لو فقدنا المرشح الجامع لشروط الكفاءة فما العمل؟

الجواب: أولاً: ليس من المعقول أن تكون أمة كبيرة تضم بين جنبيها الملايين من النفوس، من ضمنهم الآلاف من السياسيين والجامعيين والمثقفين، كيف يمكن أن نقبل أنها عقمت عن إنجاب رجال أكفاء قادرين على قيادتها إلى بر ألامان؟

ثانياً: لو حدث ذلك وافتقدت الأمة رمزاً كفوءاً معنى ذلك أنها تعانى من أزمة حضارية، ويلزم أن تناضل فى سبيل رفع المستوى العام والخاص، كى لا تظل فريسة الجهل والتخلف والاستبداد، ومع ارتفاع المستويات تبرز الكفاءات إلى السطح.

ثالثاً: وعلى فرض وقوع ذلك وحدوث الفراغ، فيقوم ظرف اضطرارى خاص، وللاضطرار حكم محدد بوقت وحيثيات خاصة، كجواز أكل لحم الخنزير والميتة فى ظروف المجاعة، فيجوز تجاوز القواعد إلى الحل الاضطرارى، معناه: جواز انتخاب مرشح الأقلية لظرف اضطرارى مؤقت، ووفق شروط وضوابط اضطرارية خاصة، ومع قبول القيادة الدينية والمرجعية بذلك.

الحكم الشرعى فى انتخاب مرشح الأقلية

س٢: هل يجوز من الناحية الشرعية انتخاب مرشح الأقلية؟

الجواب: يختلف الأمر باختلاف المعايير التى ثبتت عليها الأقلية والأكثرية، فاللون والقوم والعشيرة والوجاهة الاجتماعية وما إلى ذلك ليس لها أى تأثير فى الواقع الإدارى والاجتماعى، وليس هناك ضير أن يتقدم مرشح الأقلية على مرشح الأكثرية، قال تعالى?: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ()، ?وقال رسول الله صلى الله عليه و اله: أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من

تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى ().

لكن الحكم الشرعى يختلف فيما إذا كان المعيار دينياً، فالأقلية المسيحية لايجوز أن تحكم الأكثرية المسلمة، والميزان المذهبى خاضع للميزان الدينى، فالمذاهب الإسلامية وإن كانت متفقة فى الأصول غالباً: فربهم واحد، ودينهم واحد، وكلهم يؤمنون بالأصول الواردة فى الكتاب العزيز، إلا أن هذه المذاهب تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً، فى مدارسها العقائدية وأحكامها الفقهية، وهذا الاختلاف يترك آثاراً كبيرة فى ميول الإنسان ومواقفه ومنظومته الفكرية، فعلى سبيل المثال: لو اختلف اثنان (زوج وزوجة) فى قضية ما وراجعا قاضياً يختلف معهما مذهبيا.. فقد يصدر حكماً مخالفاً لمذهبهما فلا يرتضيان حكمه ويبطل قضاءه، ووجوده كعدمه عندهما، إلا إذا أكرها عليه، والمكره معذور. ومثال آخر: فإن الشيعى يعتبر التكتف فى الصلاة وقول آمين مبطلاً لها ومخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه و اله، والسنى يعتقد خلاف ذلك.

وهذا الخلاف الفقهى يترك أثراً كبيراً فى الأحكام السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فالمنتمى إلى مذهب يرفض الخضوع أحياناً وهذا ما يؤكد عليه فقهه ومذهبه لمن ينتمى لمذهب آخر.

فنحن نشترط فى القاضى الذى نرجع إليه لفصل الخصومات، والفقيه الذى يفتى، وإمام الجماعة، والوالى الذى يدير الشؤون العامة، أن يكون من مذهب ومدرسة أهل البيت عليهم السلام دون غيرها، وهذا ينسحب على الشؤون السياسية أيضاً، فلا يمكن أن ننتخب من لا ينتمى إلى هذه المدرسة لمبررات منطقية ومقبولة.

فى مواجهة الإرهاب

س٣: لو أن عناصر متشددة وشاذة رفضت مرشح الأكثرية وهددت بالإرهاب.. فما العمل؟

الجواب: الإرهاب اليوم أصبح ظاهرة لهذا العصر البائس، الذى طغت فيه لغة القوة والتعسف ومصادرة الحقوق، فلو أن عناصر إرهابية منتمية إلى الأكثرية أو الأقلية هددت خط الأكثرية والواقع الديمقراطى الذى تنشده، فيلزم:

١- دراسة جذور هذه الظاهرة اقتصادياً وثقافياً وتنظيمياً.. ومكافحة تلك الجذور بالطرق السلمية والعقلانية، فالفقر ومصادرة الحقوق، والتهميش ومنطق المعاقبة، والغرور المؤدى إلى استصغار الآخرين، وغير ذلك من الأساليب الفجة، هى من الأسباب المؤدية إلى الإرهاب. أما الحوار والمنطق، والاحترام المتبادل يسد على العمليات الإرهابية طريقها.

٢- يلزم التثقيف العام لنبذ كل أنواع العنف وأساليبه ومراحله، كما يلزم التثقيف العام أمنياً.. فالشعب هو الأقدر على مكافحة الظواهر السلبية فى الأمة.

٣- وعلى كل الأحوال يلزم مكافحة الإرهاب لا الرضوخ له.. فالعدل والحقوق الديمقراطية المشروعة، هى الكفيلة بإنقاذ الوضع المتردى لا الإرهاب الذى يشنه بعض الشاذين من الشعب أو الدخلاء عليه.

دعم القوى الخارجية للأقلية

س٤: ما العمل فى مواجهة الدعم الأجنبى للأقلية؟

الجواب: إن من طبيعة الأقلية تاريخياً فى كل بلاد العالم أن تستند إلى قوى أجنبية من خارج الوطن.. ولا علاج لذلك إلا وعى الشعب لمواجهة هذه الظاهرة، ورفض خط ومرشح الأقلية الذى يريد تجاوز الأكثرية وفرض نفسه.

ويلزم التحرك من قبل خط الأكثرية وقواه المختلفة للتفاوض والتحالف والحوار مع القوى التى تستند إليها الأقلية، ومحاولة الوصول إلى حل سلمى وإقناعها بأن مرشح الأكثرية هو الضمان لأمن المنطقة وللشعب ومجاوريه وحلفاءه.

مرشح الأقلية الأكفأ

س۵: قد يكون مرشح الأقلية أكفأ واعقل واثقف من مرشح الأكثرية فى العمل؟

الجواب: سوف لن ترشح الأكثرية عنصراً واحداً أو اثنين، إنها هى الأوسع شعبية فى الوطن وتمتلك من الأكفاء الكثير، فلِمَ نسد الطريق أمام من يريد ترشيح نفسه من الأكثرية أو الأقلية، فهل الأمة عقيمة فلا تمتلك الرجال الأكفاء؟ أم أن الأجواء الخانقة تسد الطريق أمام من يريد ترشيح نفسه؟

فمرشح الأقلية مهما بلغت كفاءته، فإن فى الأكثرية رجال إن لم يكونوا أكفاء منه، فهم ليسوا بأقل منه، هذا أولاً.

وثانياً: إن مرشح الأقلية لا يمثل الشعب وإنما يستند إلى قوى خارجية، فمهما كانت كفاءته فإنه يعجز عن إدارة دولة ديمقراطية حرة.

ولا يمكن القياس بين مرشح كفوء لجهة وغير كفوء من جهة أخرى.. بل القياس يكون بين كفوءين من جهتين لا غير، فماذا نقول: فى مرشح كفوء لكنه مسيحى يريد أن يحكم بلداً مسلماً، وماذا نعمل وما هو الموقف السليم إذن؟

فاللازم إعداد مرشح كفوء للأكثرية مهما كلف الثمن، وعدم تقديم مرشح الأقلية لأن ذلك سحق لثوابت الديمقراطية المشروعة والعدالة..

انتخاب مرشح الأقلية

س۶: فلو انتخبت الأكثرية مرشح الأقلية، فما العمل؟

الجواب: إن ذلك مخالفة صريحة لأحكام الشورى والديمقراطية، ولكن يلزم هذا المرشح أن يعمل كما لو كان من الأكثرية، ولا يمارس أى تمييز طائفى وعنصرى.

وعلى الشعب ومؤسساته الدستورية مراقبته ورصد كل تحركاته ومواقفه، ومجابهته بالحقيقة الساطعة فيما لو حاد عن الحق والديمقراطية شبراً واحداً.

التصدع الداخلى

س۷: قد يكون موقف الأكثرية متصدعا داخلياً، ومع هذا الواقع يتقدم مرشح الأقلية، فما العمل؟

الجواب: حدث ميدانياً ما يؤكد ذلك.. ففى منطقة يقيم فيها ۶۰٪ من الأكثرية و۴۰٪ من الأقلية فاز فيها مرشح الأقلية، لتشتت موقف الأكثرية وتوزعه إلى ثلاث جهات، بينما الأقلية اتفقت على انتخاب شخص واحد، وتكرر هذا المورد مرات كثيرة، وليس له حل إلا رص الصفوف وتوحيد الكلمة، قال تعالى?: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ()، ?وتوحيد الصف مسؤولية الجميع لاسيما القيادة السياسية والدينية، وهذا واجب أكيد، وبدونه سيدين التاريخ أهل الحل والعقد المتصدين لإدارة الأمور اليوم.

صمت القيادات

س۸: ما هى مسؤولية الأمة فيما لو لزمت القيادات المرجعية والسياسية جانب الصمت وتقدم مرشح الأقلية؟

الجواب: على كل مواطن مسلماً كان أو غير مسلم، شيعياً كان أو سنياً، من الأقلية أو الأكثرية، أن يتحمل مسؤوليته الوطنية والتى يدعو إليها كل ضمير حر بالدفاع عن الحقوق والعدالة والتى تدعو إليها نصوص الشريعة الإسلامية الطاهرة.

قال تعالى?: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ().?

وقال رسول الله صلى الله عليه و اله: من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم ().

وقال صلى الله عليه و اله: كلكم راع وكل مسئول عن رعيته ().

فلو أن عالماً أو مرجعاً دينياً، أو حزباً سياسياً، أو شخصية لامعة، لم تتحمل مسؤوليتها، أو لم تقتنع بذلك، أو قصرت عن أدائها؛ فإن ذلك لايستدعى تخلى الأمة عن مسؤوليتها مطلقاً، ولا يعتبر ذلك مبرراً لفتح الطريق لحكومة الأقلية فى أى بلد من البلاد، والواقع إن الكلمة الأخيرة هى للأمة، وأن مرجعيتها تعجز عن مخالفة مسيرة الأمة الواعية والمتحملة لمسؤوليتها التاريخية.

ارتكاب الخطأ

س۹: هل من الممكن أن تخطا الأكثرية وتقع فى فخ الأقلية وتنتخب مرشحها، أو تنخدع به مثلاً؟ فما العمل حينئذٍ؟

الجواب: من الممكن أن يستغفل شعب غير واع، أو يخدع بشعارات براقة، ويرتكب خطأً فى حق نفسه.. والحل:

أولاً: أن ينصف المنتخب حق الأكثرية التى انتخبته، ولا يمارس بشأنها العنصرية والتمييز بل يخدمها ويفى بوعوده معها.

ثانياً: أن تراقبه المؤسسات الدستورية والشعب كله، ويحاسبه ويكشف أخطاءه، ولا يخضع لقراراته المغايرة لمسيرة الأكثرية وحقوقها الإنسانية.

ثالثاً: أن يسحب الشعب صوته وتأييده فيما لو طغى وأمعن فى طغيانه، ويحذر مستقبلاً من تكرار هذا الخطأ الكبير الذى يهوى به إلى مهاوى

الاستبداد.

ادعاء غير مبرهن

س۱۰: لو ادعت الأقلية بأنها أكثرية، فما الواجب علينا كتيار إسلامى وديمقراطى يريد لكل ذى حق حقه؟

الجواب: من حق كل إنسان أن يدعى ما شاء إذا كان مقتنعاً بدعواه.. لكن اللازم إثبات دعواه بالأدلة المنطقية القاطعة..

ادعى الأستاذ محسن عبد الحميد حين تصدى لرئاسة مجلس الحكم الانتقالى: بأن المسلمين السنة أكثر من المسلمين الشيعة فى العراق!.

وقال البعض(): (إن محافظة الرمادى تحوى على ۳۲٪ من مجموع أراضى العراق)، ولا إشكال على هذا الكلام، إلا أن نسب الأكثرية والأقلية منوطة بالنفوس لا بمساحات الأرض.

ولو كانت النسب بالمساحات لكان لنا كلام آخر، ونحن نؤكد فى كل الأحوال على قاعدة: (لكل ذى حق حقه) سواء الأقلية أو الأكثرية.

أما بالنسبة لدعوى الأكثرية السنية فى العراق فهى تشبه دعوى الأكثرية الشيعية فى مصر والسعودية، فحقائق التاريخ ودورات الإحصاء المتكررة فى العراق هى التى تضع الحد الفاصل لدعوى الأكثرية الشيعية القطعية.

واليوم، يلزم أن يجرى فى العراق الجديد مشروع إحصاء جديد قائم على أساس الأمانة العلمية والوطنية، وترسم الخطط وفقه، فينقطع الكلام حول أى من المذاهب الإسلامية يمثل الأكثر ومن يمثل الأقل، ثم توضع القوانين العادلة وفق ذلك، ويعيش الشعب كله فى جو من الأخوة والوئام.

صعود مرشح الأقلية

س۱۱: قد ينتخب السياسيون الممثلون للأكثرية مرشح الأقلية.. فما العمل؟

الجواب: إن (حق الأكثرية) حق لجميع المنتمين إليها، وليس لأى أحد كائناً من كان التنازل عن هذا الحق المشروع.

فلو أن أحزاب الأكثرية ورموزها السياسية واجهت ظروفاً معينة وتنازلت عن حق الأكثرية؛ فإن ذلك لا يعنى أن تسير الجماهير مع

هؤلاء السياسيين المتنازلين، وكذا القيادات الدينية والعشائرية وغيرها..

وهذا ما حدثت للأسف فى ظروف معينة فى العراق.. إلا أن ذلك لا يهز ثوابت الديمقراطية والعدالة، وليس مبرراً لمصادرة حق معين، قال صلى الله عليه و اله:

ولا يتوى (يضيع) حق امرؤ مسلم ().

تيار الملكية

س۱۲: لو أن تيار الملكية نمىوكسب شرائح كبيرة من الشعب، وهو ينتمى إلى مذهب الأقلية، فما العمل؟

الجواب: الواقع أن الملكية لو ارتضاها شعب معين واقتنع بها()، يلزم أن تكون نابعة من صميمه. فالملكية التى أسست فى العراق وحكمته لعقود عديدة من الزمن، قد استوردت من خارج الوطن، ولم تمثل أكثرية شعب العراق، وقد وقع رجالنا فى خطأ استراتيجى دون قصد، أدى ذلك الخطأ إلى سيطرة الأقلية حوالى ثمانين عاماً، فالجمهوريات أسست على تلك الملكية البائدة، أما اليوم فإن قر القرار الشعبى الواقعى على ذلك، فيلزم تأسيس ملكية جديدة من صميم الشعب فكراً ومذهباً وتاريخاً ونضالاً، وبغير ذلك نتجاوز على ثوابت الديمقراطية والعدالة، كما لو فرضنا ملكية شيعية فى بلد مثل السعودية حيث الأكثرية السنية، فهل يصح هذا؟

المرشح غير الملتزم

س۱۳: قد يكون مرشح الأكثرية نمىوتربى فى حزب إلحادى أو مدرسة كافرة.. أو أنه لم يلتزم بالثوابت الدينية.. فماذا نصنع؟

الجواب: إن كان ملحدا ينكر الأصول فلا أحد من المسلمين يرتضى حكومته ويحرم انتخابه. أما لو كان فاسقاً بارتكاب بعض المحرمات الشرعية فالأمر مختلف تماماً..

لذا يلزم انتخاب مسلم ملتزم بأحكام الله الشرعية: كالصلاة والصيام وغيرها.

أما إذا لم يلتزم بهذه الفرائض الفردية والواجبة فاللازم رعاية الظروف الموضوعية؛ فإن وجد غيره فبها وان لم يوجد فيلزم أن يكون ملتزماً بالقوانين الشرعية العامة فى حقوق الإنسان والإدارة، ورعاية شؤون الأمة، وعدم الجهر بالفسوق مثل شرب الخمر وما شابه، وإن لم يكن ملتزماً بهذه الأحكام أيضاً فلايجوز انتخابه، وليس كفؤاً لقيادة شعب مسلم.

الحجة الشرعية

س۱۴: ما الدليل على أن إتباع الأكثرية فى الانتخابات واجب من الناحية الشرعية؟

الجواب: لثبوت أدلة (الشورى) فى الإسلام، فقوله تعالى?: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ()، ?يلازمه أخذ رأى الآخرين والتزام أكثرية الآراء، وإلا فإن لم نلتزم الشورى فقد خالفنا النص، وإن التزمنا رأى الأقلية فقد خالفنا مبدءاً عقلائياً().

طبعاً ذلك يخص الموضوعات لا الأحكام الشرعية، فلا يجوز العمل بالأكثرية فيما لو قررت إلغاء الصلاة أو الحج أو ما شابه؛ لأنها أحكام وليست موضوعات()، ففى انتخاب مرشح الأكثرية معناه: المشورة مع جماهير الشعب والأخذ برأى أكثره الذى رشح شخصية معينة لتنوب عنه فى إدارة شؤونها شريطة رعاية حقوق الأقلية كاملة غير منقوصة، فالآية الكريمة ظاهرة فى لزوم تقدم رأى الأكثرية المتمثل فى تقديم مرشحها إلى سدة الحكم.

تداخل المعايير

س۱۵: قد تتداخل المعايير فى تشخيص الأقلية عن الأكثرية، فما هو الحل؟

الجواب: نعم يقع ذلك حين تتداخل المعايير المختلفة، مثلاً تداخل المعيار القومى مع الدينى والمذهبى، مثلاً: يشترك الكردى السنى مع العربى السنى فى مذهبه ويختلف معه فى قوميته، وكذا الكردى الشيعى (الفيلى) يشترك مع جمهور الشيعة العرب والتركمان فى مذهبه، ويختلف معه فى قوميته..

وحل هذه المعضلة مناقشة الموضوع جذرياً، فالمعيار الموحد يعالج المعضلة، فإما أن يكون المعيار قومياً علمانيا أو مذهبياً إسلاميا (وهذا هو الصحيح)، ولايمكن التهاون بكليهما، فيلزم دراسة الموضوع من زاوية أهمية المعيار واستراتيجيته ثم البناء عليه فى تشخيص الأكثرية والأقلية، كما يلزم حل هذا الموضوع قانونياً..

وفى العراق إننا نرى أن اكبر الدوافع التى يجتمع أو يختلف عليها معظم الشعب هو المعيار المذهبى؛ لأن الانتماء إلى المذهب يعنى وحدة التاريخ والجغرافيا، ويعنى أيضا التأثير على سن القوانين وفق قواعد المذهب، ويعنى.. نصب المسؤولين فى مناصبهم ويعنى غير ذلك.. فالانتماء المذهبى هو الأصل ثم القومية والعشيرة واللون وغيرها.. فشعب العراق يقسم هكذا: أكثرية شيعية بمن فيهم من الأكراد والتركمان، وأقلية سنية كبيرة بمن فيهم الأكراد والتركمان أيضاً، وأقليات صغيرة: صابئة ويزيدية ومسيحيون ويهود..

ثم تتقاسم القوميات فى داخل الإطار المذهبى حقوقها بالعدالة وفق أطر تنظيمية قانونية وحسب أنظمة الشورى والديمقراطية.

ويمتاز المعيار الدينى والمذهبى عن القومية بأنه:

أولاً: اختيارى وديمقراطى بمعنى أن كل إنسان له أن يمارس حريته كاملة، وينتمى إلى دين ومدرسة ومذهب معين، بينما القومية واللون وما شابه معايير قسرية مفروضة على الإنسان شاء أم أبى.

ثانياً: إن المعيار الدينى عبارة عن مجموعة من القيم الإنسانية والروحية ومبادئ سامية، بينما القومية ليست إلا لغة وموقع جغرافى، والقيم تسمو دائماً على اللغات والألوان والعنصريات.

ثالثاً: إن الدين والمذهب يتصلان بواقع الإنسان فى حياته الدنيا وآخرته، بينما المعايير الأخرى كالقوم واللون يتصلان بدنيا الإنسان دون آخرته، وهذه نقطة هامة للغاية مبتنية على عقائد الإنسان المسلم التى من أساسها الإيمان باليوم الآخر، وتخلق فى داخل الإنسان دوافع كبيرة للتقدم الحضارى.

رابعاً: إن فى الدين والمذهب حيوية وروح عالية تدفع بالإنسان للتقدم نحو الأمام، فمذهب الإنسان يدفع بصاحبه إلى التضحية والجهاد والنهوض من أجل التقدم الحضارى، بينما القومية واللون وما شابه ليس فيها طاقة الدفع هذه. وإن كان لها شىء من ذلك فالدين مشترك فيها أيضا.

خامساً: إن الدين والمذهب بوتقة لصهر كل الألوان والأجناس والأقوام والشرائح تحت راية واحدة، واعتبار من هو خارج عن هذا الإطار أخاً

الناس صنفان: إما أخ لك فى الدين، وإما نظير لك فى الخلق ()، فالمذهب جامع وموحد للأمة،

وفى التجربة الإسلامية الأولى خير شاهد على ذلك حيث انصهر الأسود (بلال) والأبيض (صهيب) والعربى والفارسى وغيرهم فى بوتقة وحدوية جامعة.

سادساً: ومن الناحية الشرعية لا يجوز الحكم وفق القومية: الناس كأسنان المشط سواء ()، لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى () كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله.

فقومية الإنسان ليست معياراً للحكم عليه، بل الكفاءة هى الأصل أى: التقوى والعلم والجهاد، وهذه معايير إنسانية سامية يقوم عليها إسلامنا الحنيف، ووفقها يُقدم أو يُؤخر الإنسان، لا وفق قوميته ودمه وعنصره.

حقوق الأقلية دستورياً

س۱۶: الأقليات تتمتع بكامل حقوقها الإنسانية المقررة فى الشريعة (وهى أوسع مما تقرره مواثيق حقوق الإنسان)، ولكن هل للأقلية الحق الدستورى فى السيادة على الأكثرية والاستحواذ على منصب رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وغيرهما من مفاصل الحكم؟

الجواب: يلزم حسم الموضوع دستورياً كما أنه محسوم شرعياً، فليس للأقلية دستورياً إشغال ما هو خاص بالأكثرية، وهذا نظير ما لو رشح شيعى للحكم فى السعودية التى تسكنها أكثرية سنية، فإن هذا المرشح غير مرشح شرعا وقانونا من أول الأمر، وليس له حق قانونى ودستورى فى ذلك إلا فى حالتين هما: أن تنمو الأقلية ديمغرافياً وتصبح أكثرية، أو أن يعتنق هذا المرشح مذهب الأكثرية قلباً وقالباً.

نعم، للأقلية حق الترشيح لعضوية البرلمان والمجالس البلدية وما شابه ذلك، التى لزم فيها تمثيل الأقلية، أما رئاسة البلاد فمن حق الأكثرية حصراً.

ما هو المعيار؟

س۱۷: ما هو معيار الأقلية والأكثرية؟

الجواب: المعيار هو الذى يقرره الدين وعقيدة أمة معينة.

نعم، من الممكن أن ينتخب الأكثر من شعب معين معيارا آخر كالقومية مثلاً، إلا أن ذلك يعتبر مخالفاً لموازين الشريعة.

وبناءا على ذلك: فليس لأحد طريق للانتماء إلى الأكثرية إلا بالانتماء إلى دين ومذهب الأكثرية ليس إلا.

وإذا كان فى بلد أفريقى أقلية بيضاء اللون، فالرأى لأكثرية الشعب إن ارتضى حكومة البيض، وكذا فى بلد أبيض لو تقدم مرشح أسود اللون، فالرأى الفاصل لصناديق الاقتراع، وليس فى ذلك أية غضاضة من الناحية الشرعية.

الأكثرية المبعثرة

إن الأكثرية تكسب اعتباراً فى النفوس، وتتحول إلى قوة ضاربة وفاعلة فى الساحة فيما لو تشكلت وانصهرت فى بوتقة واحدة، فتتحول إلى قوة فى مقابل الأقليات، أما لو تبعثرت فينطبق عليها قوله تعالى?: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ()، ?أى: تضعف شوكتكم.

فالأقليات حتى لو كانت صغيرة ولا تقاس فى نسبتها وحجمها إلى الأكثرية، كما لو كانت تمثل واحداً فى المائة؛ فإن هذا الأخير مع رص صفوفه وتشكله فى وحدة منظمة صلبة وموجهة تكون أقدر وأقوى من الجسد الكبير الموزع إلى أشلاء حتى لو كانت نسبته أقل من واحد فى المائة؛ ذلك لأن الاتحاد قوة والتبعثر ضعف، وهذه المسألة عقلية اتفق عليها كل عقلاء العالم، يقول الشاعر:

وإذا افترقن تكسرت آحادا

إن العصى إذا اجتمعن تصلبت

وكنموذج صارخ وعميق فى واقع الأمة الإسلامية هو قيام الكيان الصهيونى فى قلب الأمة العربية والإسلامية، فهو كيان قوامه ۱۰ ملايين يهودى فى العالم ۴ منهم فى إسرائيل، تحدى هذا الكيان ولا زال كل الأمة الإسلامية البالغ تعدادها حوالى المليارى نسمة، لسبب بسيط وواضح وهام هو تشتت مواقف وطاقات الأمة الإسلامية، وتوحد الكيان الصهيونى (نسبياً) فى مقابل أمتنا مما جعله يستأسد ويتحدى، ويرتكب الجرائم، ويطغى أكثر فأكثر.

الأقلية الموحدة فى الانتخابات

تظهر قوة الأقلية الموحدة وضعف الأكثرية المبعثرة واضحةً حين تتشتت أصوات الأكثرية فى مرشحين أو أكثر، بينما الأقلية الموحدة

توجه كل أصواتها إلى مرشح واحد، فثلاثون فى المائة من الأقلية تنتخب مرشحاً واحداً، بينما السبعون الباقون وهم الأكثر ينتخبون ثلاثة مرشحين، فكل منهم ينال ثلاثة وعشرين وثلثاً فى المائة من الأصوات، فيفوز مرشح الأقلية بثلاثين فى المائة من الأصوات، وهذا مصداق جلى لقوله تعالى?: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ().?

بين مرشح الأقلية والأكثرية

س۱۸: قد ينبرى من يُشكل على مرشح الأكثرية بالقياس إلى مرشح الأقلية، فيخرج بسؤال يقول: أحياناً يكون مرشح الأقلية كفوءاً وأفضل من مرشح الأكثرية، فعلى الأكثرية أن ترحب به وتنتخبه، أليس هذا هو الصحيح؟

الجواب: كلا، ليس صحيحاً، إنها مخالفة كبيرة؛ ذلك لأن الصالح من الأقلية يقاس بالصالح من الأكثرية لا بالطالح منها، فاللازم إن فقدت الأكثرية كفوءاً يمثلها أن تسعى لترميم النقص وسد الثغرة لا بالتنازل عن الديمقراطية كنظام ودستور واللجوء إلى الاستبداد بتقديم مرشح الأقلية الذى لا يمثل جماهير الشعب العريضة.

الأقلية المدعومة أجنبياً

وغالباً ما تنبرى قوى من خارج حدود بلد معين لإسناد أقلية فى داخله لترتفع إلى سدة الحكم، فتنفذ بذلك مؤامرة كبيرة ضد قواعد الديمقراطية، وجر البلاد إلى حضيض الاستبداد، وعلى مثل هذا درجت كل الأقليات المستبدة، حيث أن الأقلية لا تحظى على دعم شعبى داخلى، فتقدم على التنسيق مع القوى الأجنبية..

وواقعنا فى العراق الجديد يقف أمام مفترق طريقين: ديمقراطية مشروعة تحظى بدعم جماهير الأغلبية والمرجعية الدينية، وتضمن للأقليات حقوقها عامة كافية ووافية، أو سلوك طريق مناقض لذلك حكم الأقلية المعتمدة على قوى من خارج الوطن، فتعيش البلاد فى دوامة استبداد، وتتفجر الأزمات يوما بعد آخر!.

أما أن نتخيل أن الأقلية تنصف الأكثرية وتعطيها حقوقها فهذه مغالطة؛ لأن الأقلية التى صادرت حق الأكثرية فى الحكم، وهو الحق السياسى المشروع يسهل عليها ازدراد الحقوق الأخرى بمنتهى السهولة، وبإلقاء نظرة تأمل على واقع حكومات الأقلية فى العراق تتضح الصورة، وينكشف الواقع الذى لم يخف نفسه يوماً!.

لا إثارة فى نظام الأكثرية

س۱۹: وهل أن نظام الأكثرية يثير الأقليات فتهب للإرهاب، ومصادرة الأمن والطمأنينة من البلاد، وعرقلة حركة الدولة والشعب؟

الجواب: لو أن الديمقراطية والعدالة حكمت بلداً فإن الأمن يفرض نفسه.. فلماذا الإرهاب والمقاومة اللا مشروعة حينئذ؟؟ ولتحقيق أى هدف؟؟ هل لإيصال الأقلية إلى الحكم؟؟ هل هذا مطلب منطقى ومشروع؟ وجدلاً لو وقعنا فى المحذور، واصطدمنا بدوامة عمليات الإرهاب وسلسلة مؤامرات سياسية، وحملات إعلام استبدادية منظمة، فالواقع أن ذلك لا يعنى مصادرة الديمقراطية، وشن حرب عليها، ومبايعة الأقلية للحكم على رقاب الأكثرية خلافاً للأعراف والقوانين والشريعة، فيلزم مكافحة الظلم والإرهاب ودفع ضريبة تأسيس النظام الديمقراطى مهما غلى الثمن، فالصحيح إذن حكم الأكثرية وتحمل العراقيل والمتاعب ومكافحة المؤامرات..

المرجعية الدينية

س۲۰: وهل المرجعية الدينية فى العراق أو غيره هى المسئولة عن النضال لنيل الأكثرية حقوقها؟ بمعنى أن غيرها من القواعد الشعبية، والحركات السياسية، والنخبة المثقفة، لا تتحمل أية مسؤولية؟

الجواب: الواقع أن مما لا شك فيه هو أن المرجعية الدينية تتحمل المسؤولية الكبرى فى الدفاع عن الإسلام، وحقوق الشعب بأكمله، والفقهاء إنما هم حصون الأمة وسور الإسلام.

نعم حصون الأمة بمعنى: أنهم يمنعون لحوق أى ضير بها على مختلف الصعد، فهم أمان شعبهم وقواعدهم من النزاعات والأزمات، وهم الحصن المنيع الذى يقى الأمة من كل سوء، وهم سور الإسلام يحفظونه من البدع، ومن كل ما قد يسىء إليه.

فالمرجعية الدينية مسئولة أولاً وبالذات عن الدفاع عن حقوق الأكثرية المنتمية إليها، والملتزمة بتعاليمها وإرشاداتها..

شورى الفقهاء لنيل الحقوق

وإن اجتماع كلمة المرجعية الدينية العليا سواء كانت داخل الوطن أم خارجه، وسواء كانت واسعة الشعبية وحائزة على أكثرية المقلدين أم لا؟ فإن اجتماع مراجع الدين الكبار فى (مجلس شورى للتنسيق) يوحد جهودهم ويصدرون منه بقرارات وفق أكثرية الآراء. إن هذا الاجتماع هو الأقدر على قيادة الساحة الإسلامية والسياسية، وأن مسلك (المرجع الأوحد) يتسبب فى انفصال قطاعات من الشعب عن قراره، بينما الشورى توحدها حيث إن الرأى واحد للأكثرية يصدر من مجلس واحد للمرجعية().

ومن جهة أخرى تقطع الذرائع أمام أى فرد أو جهة فى المجتمع، لو أرادت التمرد على قرار المجلس بذريعة أن المرجعية ممزقة غير موحدة الرأى والقرار.. كما هو الحال اليوم، وكما نراه أحيانا فى هلال شهر شوال وثبوت العيد أو عدم ثبوته.

فالمرجعية الدينية هى الأقدر على تهيئة الأرضية لنيل الأكثرية حقوقها السياسية، واجتماع رموزها مطلب كل الجماهير أو أكثريتها..

كلكم راع

نعم الكل مسئولون.. فلو حدث خلل أو تشتت فى القرار المرجعى، أو واجه الشعب فراغا سياسياً، فلا يدرى ما رأى المرجع الدينى حول الأكثرية أو أى أمر آخر. إن هذه الثغرة لا تعنى أن الأمة غير مسئولة فإن حق الأكثرية حق عام يشترك فيه كل فرد فى الشعب ينتمى إلى جبهة هذه الأكثرية، وليس لأحد التنازل عن هذا الحق، كما ليس له التوانى عن الجهاد لنيل هذا الحق، فالكل مسئولون والكل ملزمون باتخاذ موقف واضح، والدفاع عنه والتضحية فى سبيله بالغالى والنفيس. قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ()....

أما تبريرات بعض الأفراد فمرفوضة بالكامل حيث يقول: ماذا يؤثر موقفى؟ ولم لا يتصدى الآخرون؟ وغير ذلك، فالمسؤولية آخذة بأعناق الكل سواء أدت المرجعية والرموز والحركات مسؤوليتها أم لم تؤد..

فكل فرد من الشعب يملك صوته.. وهذا الصوت لو وقف مع الأكثرية فإنه مارس حقه الديمقراطى والشرعى، أما لو أهمل أو ساند الأقلية فقد وقف مع الاستبداد والظلم.

التوافقية

س ۲۱: وماذا عن التوافقية؟

الجواب: التوافقية ثمرة حوار وتفاهم، وهى ثمرة طيبة وايجابية لظروف استثنائية، حيث الأجواء السياسية لا تتحمل الديمقراطية الشفافة، فتكون سلسلة الاجتماعات المتقدمة لغرض التوافق على مبادئ معينة توافق الثوابت الديمقراطية ومبادئ العدالة.. أما إذا خالفتها فهو أمر يؤدى إلى هضم الحقوق..

فالتوافقية السلبية المخالفة لثوابت العدالة، تكون كمن يتفق مع الدائن للتنازل عن دينه، أو التوافق مع طفل لمصادرة ماله مقابل قطعة حلوى أو هدية مغرية.. فالتوافق لنيل الحقوق العادلة مطلوب، وخلافه مرفوض جملة وتفصيلاً..

ففى بلد تعيش فيه الأكثرية من دين أو مذهب معين، تؤسس فيه صيغة توافقية لمصادرة حق الأكثرية فى رئاسة الجمهورية أو رئاسة الوزراء أو كليهما، فهذا ظلم وتوافق مع من لا يمثل أكثرية الشعب وغير شرعى.. فالأكثرية حق لكل من ينتسب إليها، وليس لأحد أن يتنازل عنها أو يتفق خلافاً لمبادئها وثوابتها..

وأما ما حدث فى وطننا حيث وقع التنافس بين عضوين من الأقلية()، مع عدم ترشيح ولا عضو واحد من الأكثرية، فهذا توافق مخالف للعدالة، ولا يصح ما يقال: من أن الظروف الاستثنائية والقاسية التى تمر بالعراق الجريح هى التى أفرزت هذه التوافقية، إنها مرفوضة فى كل الأحوال.. والإشكال هنا على الصيغة التوافقية وليس على المرشحين المتنافسين.

المحاصصة العادلة

س۲۲: وهل المحاصصة أمر منطقى ومقبول؟

الجواب: المحاصصة بمعنى أن ينال كل ذى حق حقه، وهذه عين العدالة ويطلق عليها (المحاصصة العادلة)، وقد تكون المحاصصة غير عادلة بحيث ينال البعض من حقوق الآخرين، ويحرم صاحب الحق من حقه كاملاً أو نسبياً وهذه محاصصة جائرة، فكل شريكين أو أكثر فى مشروع اقتصادى أو سياسى ينالان حقهما حسب القواعد والأصول، فلو أن شريكا أرصد عشرة ملايين والآخر خمسة ملايين، فمن الواضح أن الأول ينال ضعف النسبة من الأرباح، وهذه محاصصة عقلائية وعادلة، فيما لو كانت جهوده وإدارته ومساهماته الأخرى تعادل ضعف شريكه أيضاً.

وفى السياسة كذلك، فلو أن الأكراد فى العراق وهم داخل إطار قوميتهم أكثرية سنية وأقلية شيعية يشكلون نسبة ۱۸ ٪ من عموم نسبة الشعب العراقى، فيكون حقهم الطبيعى ۱۸ ٪ من نسبة الوزارات، ونسبة المالية، ونسبة أعضاء الجمعية الوطنية، وأقل من ذلك هضم لحقهم وأكثر منه هضم لحق غيرهم.

وكذلك السنة العرب، والشيعة الذين هم الأكثرية ۶۵ ٪ مثلا، فحين اشترك الشيعة فى مجلس الحكم الانتقالى ۱۳ عضو من أصل ۲۵ أى ۵۲ ٪، فهذا إجحاف سياسى بحقهم، وجرى هذا الإجحاف فى تعيين الوزراء أيضاً، هذه محاصصة جائرة مخالفة لقوله تعالى: ?وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ()، ?وقول رسول الله صلى الله عليه و اله: لئلا يتوى حق امرؤ مسلم () أى لايضيع، وكذا فى الهيئة الاستشارية حيث أعطى الشيعة ۴۰٪ فقط.

فالمحاصصة العادلة مطلوبة وليس فيها غضاضة، بل هى تقسيم منطقى لحصص كل جماعة من شرائح هذا الوطن، وبدون هذه المحاصصة العادلة تقع حصراً محاصصة جائرة غير معلنة، تحبك خيوطها خلف الكواليس، وتسحق خلالها حقوق الآخرين تحدياً للديمقراطية، ولأحكام الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية، وهذا ما أثبته تاريخ العراق الملكى والجمهورى الحديث، وتسير الأمور عليه فى مرحلة الحكومة الموقتة، ويتسبب فى إشعال الاضطرابات وزعزعة الاستقرار، وإيقاع البلاد فى دوامة الظلم وإراقة الدماء.

تكون الأكثرية والأقلية

س۲۳: كيف تتكون الأكثرية والأقلية؟

الجواب: الأكثرية والأقلية تتكونان بناءً على أسس عرقية، أو مناطقية، أو عقائدية، أو لونية، تتكون على أساسها علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية، ويندفع الفرد إلى بنى جلدته أكثر مما ينسجم مع غيرهم، ويكون لكل جماعة عاداتها وتقاليدها وعقائدها، فتحدد لها ملامح تختلف عن ملامح الجماعات الأخرى.

فالذى ينتمى تكوينياً إلى لون معين فهو إلى مشاركيه فى اللون أميل، ويحب أصحابه ويضحى فى سبيلهم، ولا يقدم أحداً أو جماعة عليهم، وما قيل فى اللون يقال فى الخصائص والمميزات الأخرى.. وأهمها هو (المعتقد) حيث أنه يؤثر على السلوك والمواقف

والقرارات، وخصوصاً لو كان لها تاريخ عريق، فالمسلم مثلاً: له تاريخ حافل، وأخلاق خاصة، وعلاقات ومواقف، ومميزات وخصائص، تختلف كثيراً عن خصائص المسيحى واليهودى والوثنى وعابد البقر واليزيدى وغيرهم..

وكذا المذاهب المنضوية تحت دين واحد، فإنها تؤثر على عادات وثقافات وتقاليد أبنائها.. وفى عالم اليوم ووفق أسس عقلائية ثابتة لا يجوز تحكيم فرد من أقلية دينية، أو عرقية، أو دينية، أو مذهبية على فرد من أكثريتها، وكشاهد على ذلك فإن حكومة البيض فى مختلف البلاد الأفريقية السوداء أمر استبدادى مرفوض، أو حكومة رجل مسلم فى بلد مسيحى مثل فرنسا وبريطانيا أمر مرفوض هو الآخر، ومن ينتمى إلى أقلية مذهبية كالسنى فى بلد أكثريته زيدية كاليمن، أو رجل شيعى فى بلد أكثريته سنية مثل السعودية أمر مرفوض، كل الشعوب ترفضه، وقواعد الديمقراطية والعدالة تقتضى احترام رأى الأغلبية التى تنتمى إلى دين أو مذهب معين، وتلزمنا بعدم فرض فرد من الأقلية عليهم.

ومثال آخر: إيران أكثريتها شيعية، هل يرضى أحد من داخلها أو خارجها أن يحكمها رجل ينتمى إلى غير مذهبها، وهل يصح ذلك عقلائياً ودولياً؟ طبعاً لا..

لذلك فإن دستورها نص: على أن يكون الحاكم مسلماً اثنا عشرياً، ولم يعترض أحد على ذلك حتى الأقلية السنية فى الداخل والخارج.

وكذا السعودية والكويت وكل البلاد فى العالم حيث تحكمها الأكثرية، فالولايات المتحدة الأمريكية ديانتها مسيحية ومذهبها العام هو الكاثوليك فنص الدستور على ذلك بالنسبة لرئيس الجمهورية، والآن نحن أمام معادلات جديدة فى العراق، فهل يصح أن ينتخب أو ينصب مرشح الأقلية على الأكثرية.. وهل هذه ديمقراطية وعدالة؟!.

الضوابط الديمقراطية أولاً

س۲۴: جاء فى جريدة البيان الصادرة عن حزب الدعوة الإسلامية فى عددها (۹۲) الصادر فى ۱۷ربيع الثانى ۱۴۲۵ ه / ۵ حزيران ۲۰۰۴م، وتحت عنوان: (ماذا ينتظر الشعب من الحكومة المؤقتة) ما نصه: فإننا إذن إذا ما رأينا خطوات تسير باتجاه تحقيق حكومات الوطن والشعب، لا يهمنا من يقود سفينة الوطن إلى مرفأ الأمان على شاطئ الأهداف الوطنية، أنحن أم غيرنا، ولو أن الاستبعاد لا يخدم القضية الوطنية، إلا إننا نلتزم بتجاوز هذه المسألة إذا ما رأينا سلامة المسار ولو على النحو الأعم ... هل هذا صحيح؟

الجواب: إن هذه العبارات لا شك أنها تنم عن روح وطنية، إلا أنها تعتبر صحيحة ومقبولة فيما لو خضعت لضوابط الديمقراطية والعدالة، حيث إن الخطوات التى تسير باتجاه تحقيق طموحات الوطن والشعب يلزم أن لا تكون بعيدة عن من ينفذ هذه الخطوات، هل إنه يمثل أكثرية الشعب أم إحدى أقلياته؟

فإن تحقيق خطوات إيجابية بقيادة الأقلية فهذا انتهاك للديمقراطية، وإن كانت الخطوات إيجابية ذلك لأن نظام سلطة الأقلية يعنى تجاوز الأكثرية الشعبية، وهذا ظلم، واستبداد، والاستبداد منبع كل فساد.

فالخطوات الوطنية ضمن منظومة الاستبداد تنتج ثماراً وطنية وقتية، لكنها مجهولة العواقب ذلك لأن هذه الخطوات تحكم الأقلية، وبتحكم الأقلية تنهار الديمقراطية، وبانهيار الديمقراطية تنحرف المسيرة الوطنية، وقد تصل إلى عواقب وخيمة وتجر الويلات إلى الشعب كما حدث فى العقود الماضية، فإذن من غير الصحيح القول: إننا لا يهمنا من يقود سفينة الوطن إلى مرفأ الأمان، حيث هذا القائد إن لم يمثل الأكثرية؛ فإن وطنيته تؤسس قواعد العودة إلى عهود الاستبداد، أما إذا كان المقصود أن هذا القائد لسفينة الوطن إنما هو ممثل للأغلبية، فلا يهمنا أن يكون هو الممثل لها أو واحد آخر غيره من منافسيه الممثلين للأكثرية أيضاً، فالكلام صحيح ولا شبهة فيه..

فالضوابط الديمقراطية أولاً، وليس من حق أحد من الأمة التنازل عنها.

مع مرشح الأقلية بعد انتخابه

س۲۵: قد يقع ما يلزم عدم وقوعه، فما العمل فيما لو ارتقى مرشح الأقلية إلى سدة الحكم؟

الجواب: فى الواقع يلزم سن مادة فى دستور العراق لمنع ذلك، أما لو وقع ذلك خلافا للدستور ولرأى الأكثرية ف:

۱: يلزم أن ترصد المؤسسات الدستورية قرارات وخطوات حكومة الأقلية؛ لتمنع أى خطوة ضد مصلحة الأكثرية. والمؤسسات الدستورية الممثلة فى: الأحزاب الحرة، والصحافة، والجمعية الوطنية، و.. هى المحامى الأمين والقدير لحفظ قواعد الديمقراطية وحقوق أكثرية الشعب.

۲: ويلزم وزارة حقوق الإنسان أن تتحلى باليقظة والحذر؛ لئلا يصدر أى قرار من حكومة الأقلية قد يؤثر على مصلحة وكيان الأكثرية من الشعب، ويلزم أن يكون لها آليات فى حماية الوضع الديمقراطى، وضمان حقوق الأكثرية وكل الأقليات.

۳: ويلزم أن تحفظ حقوق المواطنة للجميع، ولا سيما حقوق الأكثرية فى حصتها من الحقائب الوزارية، ومن المالية، والثقافة، والتربية والتعليم، والأوقاف، والإعلام، فلا يفرض عليها ثقافة الأقلية فى المدارس والجامعات والإعلام، ولا يصادر أوقافها، ولا يفرض عليها قضاة من الأقلية، كما يلزم أن يكون مدراء المؤسسات والمحافظون من أكثرية كل محافظة، لا أن يفرض من أقليتها محافظ، أو يصدر إليها محافظ من غير حدود محافظتها!

۴: ويلزم أن تحاسب الجمعية الوطنية المسئولين الأقليين الذين يحكمون الأكثرية، وبدون المحاسبة تتكرر الأخطاء وتصدر قرارات ضد الأكثرية، كما كان ديدن الحكومات الملكية والجمهورية البائدة.

تهمة الطائفية

س۲۶: من يعمل لإرجاع الحقوق إلى نصابها يتهم بالطائفية، وهى تهمة مشينة فماذا نعمل؟

الجواب: إن العكس هو الصحيح، فالذى يواجه العاملين من أجل إحقاق الحق هو الطائفى، وهو الذى يعمل لتثبيت أركان الاستبداد فى الوطن، وهذه تهمة قديمة تشهر سيفاً فى وجه المطالبين بحق الأكثرية، والمفروض أن لا تنال من عزيمة العاملين، فالرسول الأكرم صلى الله عليه و اله رمى بالسحر، والجنون، والضلال، والكذب. والإمام الحسين عليه السلام أتهم بأنه خارجى ومارق من الدين، وصدرت ضده فتوى من قاضى الكوفة تحدياً لجده الأعظم صلى الله عليه و اله القائل: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

والتهمة من أسلحة الطغاة ضد المجاهدين على طول التاريخ..

والذين يتهمون العاملين للديمقراطية والعدالة بالطائفية، هم عناصر شاذة من الأقلية وعليهم أن يثبتوا براءتهم من الطائفية أولاً ثم يتهموا الآخرين، وليست هذه التهمة إلا للحفاظ على كياناتهم الطائفية، التى هى أشهر من نار على علم، وأوضح من أن تخفى على أبسط إنسان عاش فى العراق فى أى عهد من العهود البائدة.

التحالفات الدولية

س۲۷: قد تبرم الأقلية اتفاقات وتحالفات دولية ومحلية للارتقاء إلى سدة الحكم، فما العمل فى مواجهة هذا التخطيط؟

ج: فعلاً أبرمت اتفاقات وموورست ضغوط ونفذت خطط فى هذا الصعيد.

وواقع الحال أن ذلك يعنى تجاوز أهم ثوابت العدالة والديمقراطية، ومواثيق حقوق الإنسان وضرب الآية الكريمة?: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ() ?عرض الجدار، ولا علاج له إلا التخطيط والعمل الدبلوماسى والإعلامى المركز لإثبات أن الأكثرية فى العراق لا تريد غير السلام والأمن، وهى ملتزمة بقواعد حسن الجوار ومواثيق الأمم المتحدة، وأنها لا تهدد مصلحة أية جهة محلية أو دولية، وإنما هدفها

النهوض بشعبها وخدمة وطنها، وإقامة دولة عاقلة وديمقراطية فى العراق.

إن الأجواء السياسية والإعلامية المحيطة بالأكثرية قد شوهت سمعتها وصورتها، وكأنها بؤرة للتوترات وأنها مصدر كثير من المشاكل، ويلزم على كل العاملين الجهاد السلمى السياسى والإعلامى لإثبات خلاف ذلك، وإلا فإن شبح حكم الأكثرية فى العراق يرعب بعض محاور القوى المحلية والدولية، فكما تحركت الأقلية يجب على الأكثرية أداء نفس الدور إيجابياً، وبدونه لا يمكن استرجاع الحق السياسى المشروع لهذه الأكثرية المظلومة.

ضمان حقوق الأقليات

س۲۸: إن لم تستطع الأكثرية فى العراق أو غيره من المحافظة على حقوقها فكيف يضمن حقوق الأقليات من طغيان الأكثرية المحتمل؟

الجواب: من الطبيعى أن يرد احتمال (ديكتاتورية الأكثرية) إن لم يواجه عبر وسائل وقائية وعلاجية عديدة، فيلزم:

۱: مكافحة ثقافة الاستبداد القومى والطائفى فى الأمة، وإحلال ثقافة التعايش والمحبة محلها، ونحن كإسلاميين مبدئيين نرى أن الناس سواسية كأسنان المشط كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله?، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ() ?كما جاء فى التنزيل، وقال على عليه السلام: الناس صنفان: إما أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق، فالجميع أخوة لأب وأم هما: آدم وحواء، ? فيحرم على الإنسان المسلم أن يضطهد أخاه الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم، قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من آذى ذمياً فقد آذانى.

مثل هذه الثقافة الإنسانية علاج جذرى لكل أنواع الظلم السياسى والاجتماعى.

۲: إن الحريات السياسية والإعلامية سد أمام الحكومات من التمادى فى الظلم، فالتعددية السياسية تخلق التنافس السياسى، والحاكم المنتخب من أكثرية الأمة يحذر من فقدان رصيده الشعبى والسياسى إن ارتكب ما يخالف القانون.. فهو يعجز مما يصبو إليه من الظلم، ثم إن الإعلام الحر السليم حارس لحقوق المواطنين من الأقليات وغيرها، ويقعد بالمرصاد من الحاكم وأعوانه.

۳: ويلزم على أعضاء الجمعية الوطنية المنتخبة من أكثرية الجماهير وأقلياتها أن تراقب الرئيس، ورئيس وزرائه، والوزراء، والمسئولين، فكل من يرتكب أدنى خطأ مقصوداً كان أو غير مقصود ضد أى فرد من المواطنين.. يلزم أن يحاسب على خطأه، ويتعهد بعدم العودة إلى مثله، وإلا فسيخضع لإجراءات قانونية جزائية..

۴: ويلزم على وزارة حقوق الإنسان أن تدافع عن الأقليات جميعها مضافاً إلى الأكثرية.. كما يلزم أن تستقبل شكاوى المواطنين، وترتب الأثر الإيجابى والسريع عليها.

وهكذا تحفظ كل الحقوق فى الوطن ميدانياً وعملياً، بعدما روعيت فى سن الدستور وتشريع القوانين نظرياً.

۵: كما يلزم على كل جهة تحتمل انتهاك حقوقها أن تؤسس المنظمات واللجان المدافعة عنها، وهذا حق يضمنه الشرع والقانون لكل المواطنين.

إعطاء كل ذى حق حقه

س۲۹: هل المحاصصة القائمة على المبادئ الديمقراطية ثم التوافق العادل يعتبر طائفية وسببا لتمزق الأمة، فتعالج الطائفية السياسية غير المعلنة بطائفية سياسية معلنة وأسوء من ذى قبل؟

الجواب: لو اعتبرنا المحاصصة العادلة تمييزاً طائفياً بغيضاً وجب نبذها، أما أن يعطى كل ذى حق حقه بناءاً على المبادئ الديمقراطية المشروعة والمساواة الإنسانية الحقوقية، والعدالة الاجتماعية الإسلامية، فليس هذا من الطائفية فى شىء.

إن المحاصصة العادلة متطابقة مع قواعد الشريعة الإسلامية، ومع الإعلان العالمى لوثيقة حقوق الإنسان..

إن تقسيم الأموال، والمناصب، والحقوق، وفق الضوابط العقلائية أمر يرتضيه الجميع فى كل زمان ومكان كتقسيم الورثة لتركة الميت.. فكل من الأم والأولاد من الجنسين له حقه، ولا غضاضة فى ذلك، والكل راضون بهذه المحاصصة العادلة.. لأن كل واحد نال حقه الطبيعى، وهذا لا يدعو إلى الانقسامات والحساسيات ثم الاحتراب والعكس صحيح..

إن التمييز الطائفى، ومصادرة الحقوق، والتآمر على الآخرين، للهيمنة عليهم هو الذى لا يثمر إلا الانقسامات، والتمزقات، والتناحر، والمآسى.

فتقديم الأكثرية إلى المناصب اللائقة بحجمها وكميتها، وإعطائها المناصب والامتيازات، بدون حرمان للأقلية، ودون هضم لحق أحد أمر منطقى يقبله الجميع أيضاً، ومكاسبها الأكثر متناسب مع تضحياتها الأكثر، وعقولها وكفاءاتها، وطاقاتها وقدرتها الميدانية أكثر..

وبمثل توضيحى يتبين الأمر أكثر، فلو أن عشرين رجلاً خرجوا لأداء مناسك الحج، وخمسة عشر منهم سنة وخمسة من شيعة أهل البيت عليهم السلام، واتفقوا على الصلاة جماعة فمن أى المجموعتين ينتخب الإمام! وكلهم أكفاء حسب الفرض هل من الخمسة عشر أم من الخمسة؟

وهذه المعادلة الصغيرة جارية فى كل المعادلات الاستراتيجية، ومناهج التربية، والشؤون الإدارية، والاقتصادية، والسياسية فى كل البلاد.

فالمحاصصة العادلة وتحت مظلة (إنما المؤمنون إخوة)، و (وتعاونوا على البر والتقوى)، و (وأمرهم شورى بينهم)، تبدو منطقية ومقبولة وفق أنظمة الديمقراطية فى كل العالم.

والتجربة اللبنانية التى سبقتها حمامات دم فظيعة تبدو ناجحة اليوم تماماً.. فلكل طائفة حقها المتفق عليه، والحقيقة الثابتة فى الحياة السياسية العراقية هى إن الطائفية تفرض نفسها حتى على الثوابت الديمقراطية، والطائفيون يمارسونها بكل وقاحة ولكن دون إعلان.. بل يصحبها تهريج إعلامى لإدانة الطائفية مع أن السياسيين غارقون إلى أذقانهم فى أوحالها.

فلو أن الدستور العراقى والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية اكتفت بضوابط الديمقراطية فقط كعلاج لمرض الطائفية المزمن؛ فإن مياهه الموبؤة ستجرى من تحت أرجلها، وخيوط المؤامرات الطائفية تحاك فى الظلام وبسرية واتفاق، وتجر البلاد إلى مآسى لا يحمد عقباها؛ ذلك لأن الطائفية السياسية متجذرة فى أرض هذا الوطن، وهذا أوضح من الشمس فى رابعة النهار.

فتقنين المحاصصة العادلة فى اجتماعات توافقية ضرورة لاستئصال جذور هذا الداء العضال.

من الذى يرفض العدالة؟

س ۳۰: من الذى يرفض المحاصصة العادلة؟

الجواب: إن الذى يفكر ويخطط لينال أكثر من حصته، هو الذى يرفض التقسيم العادل للحصص والخاضع لقواعد الديمقراطية.. ويمكن أن يرفضها من يخشى أن تلصق به تهمة الطائفية بغير حق، لكن الواقع أن الذى يفعل ذلك يخلط بين مفهومى (التمييز الطائفى) و(توزيع الحقوق بعدالة).. فالمحاصصة أمر منطقى ومقبول وديمقراطى فى نفس الوقت.

الفصل السادس تحكيم الأكثرية استجابة لمنطق العقل والشرع والديمقراطية

الفصل السادس تحكيم الأكثرية استجابة لمنطق العقل والشرع والديمقراطية

?وما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم

حديث شريف

?إن تقديم رأى الأكثرية هو من مستلزمات المشورة المقررة

فى الكتاب والسنة والإجماع والعقل

موسوعة (الفقه): الحكم فى الإسلام ص۴۷

بما أننا نـدعو إلى الأخـذ بالأكثريـة ومطاليبها أوردنا هنا بحثا حول (رأى الأكثريـة) فى المجلس الذى يشترك فيه جمع من الفقهاء أو من البروفيسورية أو الأطباء أو علماء الذرة أو أية جهة أخرى علمية كانت أو اجتماعية أو شـعبية، فإن الأخذ برأى الأكثرية أمر عقلائى ومنطقى وخلافه معناه الصريح: ديكتاتورية الأقلية، وهى أمر مرفوض وقبيح.

من هذا المنطلق جاء البحث القادم:

و أمرهم شورى بينهم

إن من لوازم (الشورى) الأخذ بالأكثرية وإلا تفقد (الشورى) معناها ومصداقيتها، وتتحول إلى استبداد.. إن تقديم رأى الأكثرية هو من مستلزمات المشورة المقررة فى الكتاب والسنة والإجماع والعقل ().

...صـحيح أن باسـتطاعة المسـلمين أن يعتمـدوا الإجماع ويعملوا به فى أمورهم، وبـذلك قـد اعتمدوا (أصل الشورى) واحترموا رأى الأكثريـة، إلاـ أن اتفاق الآراء وإجماعها على المسائل التنفيذيـة أمر غير ممكن، وسـيرة رسول الإسـلام صـلى الله عليه و اله وعلى عليه السلام وسائر قادة الإسلام تؤكد أنهم حين إجراء (الشورى) كانوا يتبنون الرأى الأرجح، ويأخذون بالأكثرية ()....

فقانون (الشورى) حاكم على (حق الأقلية)، أى: إن الشورى

تضيق نطاق حق الآخرين فى تبنى أى رأى وحقه محفوظ ما لم يتصادم ورأى الأكثرية.

مبدأ الأكثرية اضطرارى وعقلائى

إن مبدأ (الأكثرية) يفرض نفسه؛ لأن فى (الموضوعات العامة) نواجه موقفين لا ثالث لهما، وفى كليهما محاذير معينة، فنكون أمام مهم وأهم، وكـذا يـواجه من يتبنى موقـف الأقليـة هـذا الأـهم والمهم، فإمـا أن يختـار (المهم) وهو رأيه الـذى يوافق الحقيقـة فى نظره، أو (الأهم) الموافق للأكثرية المخطئة (فى نظره أيضاً).

فإتباع هـذه (الأكثرية) أمر عقلائى ومنطقى لابد منه، ولا يمكن بحال إقرار رأى الأقلية كقانون عام؛ لأن ذلك اسـتبداد وهضم لحقوق الأكثرية، ولا يمكن أن تقرر أيضاً بصورة اسـتثنائية لأنه لا مرجح لهذا الموضوع على ذاك حتى يؤخذ برأى الأقلية مرة ويطرح أخرى، ولا يمكن طرح الرأيين معاً أو الأخذ بهما معاً.

فكيف نحـدد الصواب من الخطأ فى مسألـة اجتهاديـة، وكيف نعرف الأصـلح من عـدمه فيهـا، وإذا لم يكن رأى الأغلبيـة هو المعيـار والدليل الترجيحى، فما هو الدليل؟ وما هو البديل؟؟ ().

رسول الله صلى الله عليه و اله ومبدأ الأكثرية

وكان رسول الله صـلى الله عليه و اله ملتزماً بمبـدأ الأكثريـة لو لم تخالف نصاً، حتى لو انعقدت مخالفة لرأيه صـلى الله عليه و اله، ومن الأحداث الجسام فى تاريخ الإسلام التى استشار فيها الرسول صلى الله عليه و اله أصحابه وأخذ بأكثريتهم المعارضة لرأيه:

۱: حرب (أُحـد) فى العـام الثـالث من الهجرة، حيث جاءت قريش مسـتعدة لحرب رسول الله صـلى الله عليه و اله ونزلت قبل جبل أُحد وعرف النبى صـلى الله عليه و اله بقدومها، فاسـتشار الصـحابة مبيناً رأيه الخاص بالبقاء فى المدينة، وإذا دخل القوم الأزقة قوتلوا ورموا من فوق البيوت، ولكن الأغلبيـة رأت الخروج حتى لاـ يقـال عنهم أنهم جبنوا عن لقـاء العـدو، فلما صـلى الرسول صـلى الله عليه و اله

الجمعة لبس لامة الحرب ثم أذن فى الناس بالخروج().

قال المرحوم المحقق العظيم النائينى رحمة الله عليه معلقاً حول موقف النبى صلى الله عليه و اله فى الخروج إلى (أُحد): فى غزوة (أُحد) مع إن رأى رسول الله صلى الله عليه و اله المبارك وجماعة من أصحابه كان عدم الخروج من المدينة المنورة مرجحاً التحصن فيها، وتبين بعد الحرب أن المصلحة والصواب كان فى البقاء فى المدينة، ولكن رغم ذلك خرج الرسول من المدينة لكون الأكثرية أيدت ذلك، فتحمل صلى الله عليه و اله تلك المصائب الجليلة ().

۲: وكان رأيه صلى الله عليه و اله فى حصار الطائف الرجوع،فلم يرض الناس وقالوا: نرحل ولم نفتح علينا الطائف؟ فقال لهم وقد نزل على رأى الأكثرية: فاغدوا على القتال، فرجع صلى الله عليه و اله عن رأيه حتى إذا استبان لهم عدم جدوى البقاء قال لهم الرسول صلى الله عليه و اله: إنا قافلون غداً فسروا بذلك وفرحوا().

هل الأكثرية حجة شرعية؟؟

فلو قامت الأدلة الشرعية والعقلية لدى الفقيه على أن الأكثرية مخالفة لحكم الله، فهل أن الفقيه المعارض محكوم بها؟ وبتعبير آخر: هل الأكثرية حجة شرعية ككتاب الله وسنة رسوله؟؟

الجواب: إن (الأكثرية) ليست حجة شرعية ولا- تغير حكم الله؛ ذلك لأن الحجج الشرعية أمور معينة ليست الأكثرية ضمنها، وأن (مباحث الحجة) تبحث (الأحكام) و (الأكثرية) ترد فى (الموضوعات)، وأن مئات الروايات والعديد من الآيات الواردة فى الشورى إنما تخص (الموضوعات) لا (الأحكام)..

و(الشهرة) الباعثة على الظن النوعى، والتى هى عبارة عن الأكثرية من الفقهاء ليست حجة كالكتاب والسنة والإجماع والعقل، بل الشهرة حجة من الرواية لا الفتوى، وحتى (الإجماع) لو لم يكشف عن رأى الإمام المعصوم عليه السلام لا يعتبر حجة..

فالأكثرية واردة فى الموضوعات، أى فى تنفيذ الأحكام، وأدلة الطرفين تكون فى كل الأحيان أو أكثرها ظنية، فليس لأقلية بأى حال من الأحوال الادعاء بأن رأيها هو حكم الله الواقعى..

الأكثرية واردة فى: هل أن هذه الخطة السلمية أقوى لمواجهة العدو أو العسكرية؟ وهل أن الإعلام يستحق صرف (مليون) دينار سنوياً أو (مليونين)؟.. وغيرها من مئات الموضوعات فلا ربط لها بتغيير أحكام الله.

مضافاً إلى ذلك أن الأقلية من الفقهاء لهم رأيهم المحترم، وحقهم فى التحرك على أوسع نطاق، وشرح أدلتهم لفقهاء الأكثرية، أو كوادرهم، أو القاعدة الجماهيرية، لغرض خلق تيار معارض بنّاء، وتحويل اتجاه الأكثرية إلى اتجاهها..

أما فى مقام التنفيذ لا يمكن عقلاً فى الواقع الخارجى من الجمع بين الرأيين أو الأخذ بالأقلية و أن العقل البشرى لم يستطع حتى الآن أن يبتكر وسيلة يصل بها إلى اتفاق حول الشؤون المشتركة للمجتمع خيراً من مبدأ الأخذ برأى الأغلبية ().

ولعل الحديث الشريف: خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر؛ فإن المجمع عليه لا ريب فيه يفهم منه: إن جانب الأكثرية هو الأرجح الذى يلزم تبنيه.. والعلة المذكورة فى قوله عليه السلام: فإن المجمع عليه لا- ريب فيه تعمم المورد، فلا- تختص بالمقام المذكور فى الحديث بقرينه قوله عليه السلام: ودع الشاذ النادر مما يدل على عدم وجود (المجمع عليه) بل أكثرية فى مقابلها أقلية شاذة نادرة.. هذا من جهة..

ومن جهة أخرى: قد انعقد (بناء العقلاء) على الأخذ بالأكثرية أيضاً فى كل زمان ومكان؛ لأن أتباع (الأكثرية) أمر عقلى لا يختلف فيه اثنان من الموارد التى لا طريق لهما إلا الأقلية أو الأكثرية..

مضافاً إلى ذلك فإن الروايات الداعية إلى لزوم الجماعة، والسلوك فى (سبيل المؤمنين)، وحفظ رباط الوحدة، تؤدى الأكثرية أيضاً،

كقول الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله: يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار، ورواية أبى ذر الغفارى (رضوان الله عليه) عن النبى صلى الله عليه و اله أنه قال: اثنان خير من واحد، وثلاث خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة ()، فلا وجه بحال من الأحوال للأخذ برأى الأقلية فى الأحكام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأمثالها، فيما لو كان المتشاورون متكافئين.

مبدأ الأكثرية ليس مصادرة لحق الأقلية؟

قد يرد هذا السؤال على بعض الأذهان، فتعتبر الشورى مصادرة لرأى الأقلية وسحق حقها، وقد ورد فى الحديث الشريف: لا تبطل حقوق المسلمين فيما بينهم إلا أن هذا الشعور لا أساس له من الواقع ذلك لأن الأخذ برأى الأكثرية من مستلزمات الشورى.. وإلا فلا تتحقق الشورى وتترك مكانها للاستبداد، والحديث الشريف ليس هذا محله، بل ورد فى أمور أخرى..

هذا أولاً..

وثانياً: إن الأقلية ليست ثابتة على جهة معينة، وكذا الأكثرية.. فالأقلية التى يطرح رأيها فى مسألة ما، يؤخذ برأى آخر لها غداً فيما لو صَوَّبته الأكثرية، وأن الأكثرية الظافرة فى مسألة معينة يطرح رأى بعضها فيما لو وقفت مع الأقلية فى مسألة أخرى.. فليس هناك قانون عام فى الشورى لأخذ رأى جهة معينة ثانية، وطرح رأى جهة أخرى، ذلك لأن الأكثرية أو الأقلية ليست لاصقة بجهة معينة وثابتة عليها.. فالحق فى نظام الشورى متكافئ، ولا يشعر أحد بأنه مهضوم ومسحوق الكرامة، بل لكل رأى ثقله وقيمته..

وثالثاً: إن نظام الشورى هو الذى رضيت به الأقلية بكامل حريتها، ولا إكراه لها على ذلك، فالذى اقتنع بأن الشورى واجبة، ملزم بقرار الأكثرية وهل معنى الشورى إلا ذلك؟، ومن لم يقتنع بوجوبها وتمامية أدلتها واعتبرها مستحبة، فهو ملزم به أخلاقاً واستحباباً..

رابعاً: وقلنا سابقاً: إنا نواجه حين وقوع الخلاف بين موقفين: مهم وأهم، ولا يسعنا إلا الأخذ بالأهم الذى تقف معه الأكثرية، أى أن (الأكثرية) تحرز الأهمية بالطبع، فيكون رأى الأقلية مهماً.. فيقدم رأى الأكثرية.

وربما صح عقلاً أن يأتى رأى الأكثرية خاطئاً ورأى الأقلية صائباً، ولكن هذا نادر، والنادر لا حكم له، والمفروض شرعاً أن رأى الأكثرية هو الصواب ما دام كلهم يبدى رأيه مجرداً لله، وأساس ذلك آيات وروايات الشورى، ولزوم الجماعة كقوله صلى الله عليه و اله: يد الله مع الجماعة، وفى رواية: سألت الله أن لا تجتمع أمتى على الضلالة وأعطانيها فالله يسدد دائماً خطأ الجماعة، ويوجهها إلى الرأى السديد ().

وحتى لو افترضنا احتمال خطأ الجماعة فخير لها أن تخطئ وتتعلم من أخطائها من أن يفرض عليها رأى صائب وخير للجماعات أن تخطئ ف رأى تبديه وهى حرة من أن تفرض عليها آراء صائبة، فإن صوابها يكو مقترناً بإرهاق نفسى، وضغط للإرادة، وذلك أشد ضرراً فى تكوين الأمم ().

الأقلية الكفوءة

للكفاءات أهمية كبرى فى الإسلام، ولقد ورد سيل من الآيات والروايات حول علو شأن العلماء وأفضليتهم على من سواهم من شرائح الأمة، فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه و اله: فضل العالم على الجاهل كفضل القمر على سائر النجوم و ركعتان يصليهما عالم أفضل من سبعين ركعة يصليها عابد و نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل و عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد ().

وهذه الروايات المتواترة وكذا الآيات الكثيرة المبينة لفضل العلم والداعية إلى طلبه وتكريم حامله، تؤكد على تقديم ذى الكفاءة على غيره.

ويلزم هنا إثبات بعض الملاحظات بهذا الشأن:

١: إن إحراز الأكفأ أو تشخيص هذا الأكفأ أمر يلفه التعقيد غالباً، وهو تابع للرؤى والمستويات والأذواق، لذلك نرى أن الناس يختلفون فى من هو أخطب الخطباء، ومن أمهر الأطباء؟ ومن أكفأ الرؤساء؟ ومن هو الأعلم والأقدر فى الإدارة؟ فيقع الخلاف الواضح غالباً حول من هو (الأكفأ) ومهما كان نوع الكفاءة: إدارية أو سياسية.

يقول الأستاذ ناصر مكارم الشيرازى: إننا لو أردنا أن نفرق بين ذوى الكفاءات وغيرهم نواجه فقدان الموازين والضوابط الواضحة().. ذلك يلزم الإجماع أو إحراز الأكثرية الساحقة عل تشخيص (الأكفأ) من غيره، كى لايتعرقل عمل الشورى، وينقض أصلها.. ويدب الخلاف فى أوساطها..

٢: إن (الأكفأ) يقدم على غيره فى مجال كفاءته المتميزة لا فى كل مجال، فالأكفأ إدارياً يقدم فى مجاله، والأكفأ تخطيطياً يقدم فى مجاله الخاص أيضاً.. لا أن يكون أحدهم (الأكفأ) هو الحاكم المطلق والمقدم فى كل المجالات على غيره، فتسقط الشورى ويحل محلها الفردية.. فالسياسيون مثلاً تتعدد كفاءاتهم، ويتميز بعضهم فى مجال لا يبرز فيه غيره.. وبالمقابل يكون لغيرهم كفاءة متميزة فى مجال آخر والاتفاقات حول تقديم الأكفأ، بأن يكون له صوتان مثلاً فى مجاله الخاص.

٣: ثم لابد من تحديد (الكفاءات المتميزة) التى يكون لصاحبها ثقل معين، ذلك لأن كفاءة (الطب) مثلاً أو (الهندسة) وأمثالها لا يمكن أن تؤثر على الضوابط الديمقراطية، بل إن تجارب الجهاد، وممارسة الإدارة وأمثالها هى التى يمكن أن تؤثر فى الترشيح والانتخاب وعدمها.

الفصل السابع أين العلاج؟

الفصل السابع أين العلاج؟

?الوعى الإسلامى الحضارى والمشاعر الإنسانية

هى الخطوة الأولى لعلاج مرض الطائفية

?مقترحاتنا العشرون ومبادئ وثيقة (إعلان شيعة العراق)

كمواد دستورية كفيلة باستئصال جذور الأزمة

لابد من الصراحة

إن التغاضى عن واقع الطائفية المزرى فى العراق، يعنى تعريض مصير الوطن والأمة ونهضتها المنشودة للخطر.. يلزم الإقرار أولاً بوجود هذا الواقع الطائفى، ثم علاجه منطقياً وشرعياً فى الدستور العراقى ثانياً، وفى كل مرافق الدولة ثالثاً..

والعلاج المنطقى لا يتجلى إلا بالمساواة فى الحقوق، ثم إيفاء تلك الحقوق لأصحابها من الأقليات والأكثرية? لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ()، ?كما قال ربنا الكريم..

أما الإغماض والاستحياء من طرح الواقعيات المتجذرة فى هذا الوطن، هو فتح طريق واسع أمام الجميع لتتقدم فيه مجموعة من الأقليات الطائفية المدعومة على حساب الأكثرية المحرومة والمضطهدة تاريخياً..

فقد خرجت من الباب بعد انهيار النظام، وتحاول أن تدخل من منافذ شبابيك الديمقراطية.. مع وجود الجذور، والتاريخ، والقدرة المالية والتنظيمية فى سياق الطائفية السياسية فى العراق.

كيف نواجه الطائفية

إن الأزمات الكبيرة والمستعصية لا تعالج بقرار.. بل لابد من علاج حضارى شامل.. يتحمل الشعب وقياداته كلها مسؤوليتهم..

والطائفية السياسية فى العراق من هذا القبيل، وعلاجها الشمولى يمكن أن يتحقق عبر مراحل وضمن علاجات عديدة كالتالى:

١: يلزم أن يتسلح عموم طبقات الشعب بالثقافة الإسلامية والوطنية الإيجابية.. والثقافة الإيجابية هى منطلق التقدم ووسيلة الشعوب لمكافحة التخلف والتمزق.. فالثقافة بكل تجلياتها ومصاديقها من: محاضرات، ومؤتمرات، وكتب، وندوات، ومناهج تربوية ابتدائية وإعدادية وجامعية، ومراكز دراسات، وما شابه ذلك هى وسائل إيجابية للتثقيف، وتسليح الأمة بسلاح الوعى ضد الطائفية السياسية التى هى أم الفساد فى العراق، ويلزم أن يشترك فى هذه النهضة كل المرجعيات الدينية، والحركات السياسية، والمؤسسات العامة.

٢: كما يلزم سن الدستور الدائم، ثم بناء مؤسسات الدولة، ومؤسسات المجتمع المدنى على أسس العدالة والمساواة، وبالضد الكامل من الطائفية السياسية المستحكمة فى تاريخ الحكومات العراقية المتعاقبة.

٣: ويلزم تأسيس لجان ومنظمات وجمعيات تختص بمكافحة الطائفية.. وتعمل سلمياً بمختلف الوسائل المؤثرة لمكافحة هذا المرض؛ كى لا يهوى الوطن مرة أخرى إلى أوحال الاستبداد الطائفى، فيقع فى دوامة التجهيل والتخلف والظلم والمحنة.

۴: كما يلزم العمل الدبلوماسى، وعقد الاتفاقات والتحالفات مع الجهات المحلية والدولية، التى تتحسس من تنامى قوة الأكثرية الشيعية فى العراق؛ فإن العلاقات الإيجابية، والتعاون مع الجيران، وطمأنة المحاور الإقليمية والدولية من شأنه أن يسند حركة التغيير الوطنى الدستورى والبرلمانى فى هذا البلد، على النقيض من التمييز الطائفى والاستبداد..

۵: كما يلزم من جهة أخرى التعامل مع أناس مرنين، ويتميزون بالروح الوطنية العالية، وحب الآخرين سواء من أبناء مذهبه أم غيرهم.. ومثل هؤلاء لو ارتقوا إلى المناصب العليا لا يحرصون على استبعاد أبناء وطنهم؛ لكونهم من غير مذهبهم، كما تعتبر الكفاءة هى المعيار فى إشغال الوظائف الشاغرة، فلا يتعصبوا لبنى مذهبهم بل ينظروا إلى الجميع بعين الرضا والمحبة، فلا يتكرر ما ذكرناه آنفاً حول وزارتى الداخلية والتعليم العالى من إعفاء أساتذة ومسئولين لكونهم شيعة!

من يتخذ القرار لبناء مستقبلنا؟

قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ().

و قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إنما المؤمنون إخوة، بنو أب وأم وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون ().

هناك قسم من أفراد المجتمع لا يشغل تفكيرهم: من الذى سيأتى بعد صدام؟ فهم يفضلون الوقوف على التل دوماً، وينتظرون حتى تأتيهم النتائج جاهزة، والغرب يستغل الفرصة فى مثل هذا الوضع الذى يتخلى فيه جزء من الأمة عن واجبه ليعمل على إزالة صدام مثلاً، ويأتى بشخص آخر عن طريق الانقلاب العسكرى وما أشبه وهذا أمر سيئ للغاية..

هنا نتساءل: لماذا لا نُقدّر مستقبلنا بأنفسنا؟

وهذا السؤال موجه لكل فرد من أفراد الأمة، حيث إنهم كلهم يشتركون فى صنع المستقبل.

الحكومة المستقبلية

إن الواجب على كل فرد من أبناء الشعب العراقى أن يساهم بما أوتى من قوة فى تشكيل حكومة العراق المستقبلية، عن طريق الانتخابات الحرة النزيهة، التى تجرى على مستوى كل الشعب، واختيار آراء الأكثرية مع مراعاة النسب، فليس من الحق والأنصاف أن يحكم أكثرية العراق وهم الشيعة أشخاص من الأقلية، كما ليس صحيحاً أن تقع الحكومة بيد فريق معين من الأشخاص بلا انتخابات أو تصويت أو شورى.

وهذا الكلام لا يعبر عن الطائفية، بل إن هؤلاء الأقلية هم أخوة لنا، ولكن لا ينبغى لهذه الأخوة أن تضيع حق الشيعة الأكثرية فى العراق

كما فى العهود البائدة، بل الأجدر بهذه الأخوة أن تصلح ما قطعته من جسور وروابط اجتماعية وإسلامية بين الأخوة المسلمين، وأن يكونوا مع أخوتهم الشيعة يداً واحدة لقطع أيادى المستعمرين الطامعين بخيرات العراق وبلاد المسلمين.

ولو اعترض أحد على كون الحكومة المستقبلية فى العراق شيعية، فالاعتراض الذى هو عند الشيعة أقوى، وهو: لماذا تحكم الأقلية الأكثرية وتتسلط عليهم، ولماذا يدّعون الوحدة ويحرمون الأكثرية من حقوقهم؟

إن هذا الأمر ليس مقبولاً لا فى قوانين عالم اليوم، ولا فى قوانين الشرع الإسلامى، بل يرفضه حتى القانون الغربى، وذلك بأن تأتى أقلية ضئيلة وتتحكم بمصائر كل جماهير شعب العراق تحت حجج وذرائع واهية، ولا يكون لها حول ولا قوة.

وقد شاهدنا أن الحكام البعثيين فى العراق ومن قبلهم كيف يتعاملون مع الأكثرية الشيعية معاملة اتسمت بالغدر والتنكيل والمكر والخديعة، وفى المقابل هناك من الشيعة أناس صعد البعثيون على أكتافهم بحجة أنهم أخوة للشيعة فى الدين، ولم يجن الشيعة من وراء ذلك غير المعاملة السيئة والسب والشتم والكتابة ضدهم، فبمجرد أن يصل أولئك إلى الحكم لا يكون حظ الشيعة إلا السجن والظلم والاضطهاد بلا سبب يذكر().

مع الأمل وبعيداً عن اليأس

قال تعالى?: وَلَا تَيْأَسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِلَا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ().?

نعم، يجب أن نشرع بالعمل الجاد، بروح ملؤها الأمل مبتعدين عن اليأس ومتوكلين على الله عز وجل هذا أولاً.

وثانياً: أن ينتشر العلماء والمبلغون فى كل مناطق العراق، ليعملوا على توعية الشعب وتعريفه بالإسلام والتشيع وبالأخص الشباب؛ لأنهم يمثلون الطاقة النشطة، وبذلك نقطع الطريق على الأفكار المنحرفة والتيارات التى تسعى للتضليل وشراء الذمم والأصوات.

إذن علينا إذا أردنا أن لا تتكرر المحنة التى وقع فيها العراق اليوم أن نعرّف المجتمع والأمة بالمفاهيم الدينية الصحيحة، وأن ننشر أهداف الإسلام الصحيح والحقيقى بين صفوفها، لكى يعمل الجميع من أجل تحقيق هذه الأهداف فى سبيل نشر حكومة الحق المتمثلة بالإسلام().

وثالثاً: تنظيم وتربية الشباب وبث روح الوعى الإسلامى فيهم وتعبئتهم بالأفكار الإسلامية وتسليحهم بها، عندها لا يبقى هناك مجال لدخول الأفكار الشيوعية ولا القومية ولا البعثية ولا التكفيرية الأصولية إلى صفوفهم()؛ لأنهم إنما اعتنقوا هذه الأفكار للفراغ الذهنى الذى كان عندهم، فإذا امتلأ هذا الفراغ بالمفاهيم الصحيحة لم يكن هناك وجه للخوف آنذاك من أن يضفى الدين والثقافة الإسلامية طابعها العام الإيجابى على شكل الحكومة، وكذلك على الأمة الإسلامية التى تعيش تحت ظل الدولة الإسلامية الكريمة().

صورة الحكومة الإسلامية

أما حول شكل الحكومات الإسلامية فى العراق فنوجزها باختصار كالآتى:

أولاً: إن الدين العام للأمة هو الإسلام.

ثانياً: أكثرية أفراد الحكومة من مذهب الأكثرية تبعاً للنسبة، مع رعاية قانون الكفاءة واللياقة بالمنصب.

ثالثاً: إعطاء الأقليات الأخرى حقوقها، وعدم تجاهلها بحسب نسبتها، مع مراعاة الكفاءة وغيرها من الشروط اللازمة لذلك.

وبهذا سوف تسود فى الأمة الأفكار الإسلامية التى جاء بها الإسلام، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.. والنور الذى تعيش وسطه الأمة سوف يتمثل فى اقترابها من الله عز وجل، وتقدمها العلمى الذى يخدمها كثيراً فى مسارها التاريخى().

الشعور بالمسؤولية

قال الله تعالى?: لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(). ?تعدّ المسؤوليات الاجتماعية من أصعب الأمور وأهمها، لأنّها تتطلّب التضحية والبذل والعطاء، وليس كل الناس قادرين على تفهّمها، بل إنّ بعضهم ليسوا على استعداد حتى لبحثها والخوض فيها، ولو كانوا مستعدّين يوماً لتعلّم هذه المسائل، فهم غير مستعدين لإبداء نشاط إيجابى واضح وصحيح للعمل فى هذا المجال، لذا نرى أن تأخّر المسلمين فى بعض المجالات وبالخصوص فى مجالات الحقوق والسياسة والاقتصاد والتجارة وما أشبه، ناشئ من عدم أداء بعضهم للواجب الملقى على عاتقهم بشكل صحيح ومتقن.

والغريب أن البعض يعتقدون بأنّهم متقدمون فى هذا المجال، ثم يلجئون لتبرير جهلهم وتقصيرهم تجاه المجتمع، ويلقون باللّوم على عاتق الآخرين، فى حين أنّهم جزء لا يتجزأ من أولئك الأفراد المتأخرين. فقد رُوى: فلا تزلّوا عن الحق فمن استبدل بالحق هلك، وفاتته الدنيا وخرج منها ساخطاً ().

فهناك أفراد فى المجتمع مثلًا يدرسون إلّا أنهم لا يأتون بجديد سوى أنّهم يعتبرون هذا العمل وظيفة شرعية أو للكسب، لا وظيفة اجتماعية وحيوية أيضاً، فلا يتعرّضون لقضايا الأمة ومشاكلها، لأنّهم لا يريدون أن يتعبوا أنفسهم، وحينذاك تكون النتيجة أن يظلّ المسلمون فى تأخرهم الذى هم عليه الآن، وتظهر المشاكل فى ضياع حقوق الناس،وسيطرة الأقليّة على الأكثرية أو ما أشبه.

أزمتان أساسيتان

يقول الإمام الشيرازى الراحل (أعلى الله درجاته) وقد كتب أكثر من ۲۵ كتابا وكراسا عن العراق:

لقد طالعت الكثير عن ماضى العراق وحاضره، فوجدت أنّ فيه مشاكل قد تكون مشتركة فى كل البلاد الإسلامية، وقد تكون خاصة به تبعاً لتركيبة الشعب أو لجغرافية منطقته، أو لتاريخه الملىء بالأحداث الساخنة والمتميزة، إلّا أن حقيقة الأمر هى أنّ هناك مشكلتين رئيسيتين موجودتان فى العراق.

أولاهما: ضعف الوعى عند الكثير من أبناء هذا الشعب المجاهد النبيل فى ميادين السياسة والحقوق وفهم الحياة، وهذا الضعف جعله لا يعرف ما يدور حوله من مكائد ومؤامرات استعمارية.

وثانيهما: سيطرة الأقلية على الأكثرية. فالمشكلة لا تقتصر على سلب الحقوق ومصادرة تضحيات الأكثرية بل تتعداه إلى أنّ المستفيد من هذه التضحيات هم أناس بعيدون عن الجهاد والتضحية سوى أنّهم يرتبطون ببريطانيا، وقبلها كانوا يقتاتون على الحكم العثمانى، فهم يتحينون الفرص الملائمة ليضربوا أصحاب الحق. فى حين أن مذهب الأكثرية يشكل حسب بعض الإحصاءات نسبة ۸۵٪ من مجموع الشعب، وهم الذين وقفوا بوجه الاستعمار البريطانى فى ثورة العشرين، ومن قبله العثمانيين وقدّموا الشهداء والتضحيات الجليلة، ولكننا نراهم معزولين ومبعدين عن الحكم، ويعانون من الظلم والاضطهاد، فضلًا عن أنّ القانون الديمقراطى الذى يحكم أوسع رقعة جغرافية من العالم اليوم، يقضى بأن الاتجاه السياسى والمذهبى للدولة، يجب أن يختاره الشعب طبق ميزان التوزيع، وحق الأكثرية، مع احترام حقوق الأقليات، فنسبة ۸۵ ٪ هى التى يجب أن تحكم فى العراق مع احترام الأقليات الأخرى بقدر حقّها الذى أشرنا إليه().

والسؤال هنا: لو كان هدف صدام هو العمل الحزبى السياسى فقط، وليس التعصب المذهبى، فلماذا كل هذه المحاربة للشيعة؟ لماذا كل هذا التمييز الطائفى والعنصرى؟ ولماذا كل هذه الضغوط على الحوزات العلمية الشيعية؟ وليس هذا منحصراً فى صدام وحده، بل كل الذين جاءوا إلى السلطة من ملكيين وجمهوريين، وبعثيين وقوميين وشيوعيين ومن على شاكلتهم، مما يكشف عن كون حقيقة الحكم فى العراق بشتى صوره وأصنافه قائمة على الاضطهاد المذهبى والتعصب الطائفى().

وأخيراً.. ما هو العلاج؟

إن الطائفية السياسية داء عضال، وسرطان مستشرى فى جسد الكيان السياسى العراقى، وله جذور عميقة وآثار خطيرة ومدمرة.. وضحايا بلغت الملايين مضافا إلى تحطيم مستقبل العراق بما فى الكلمة من معنى.. فما هو العلاج الجذرى والناجع لهذا المرض الخطير؟

الجواب: إننا نرى أن فى قيم الإسلام السياسية، ومناهجه الحيوية علاجاً كاملاً ـ إلا ـ أن ذلك لا زال بعيد المرام فى العراق، فننتقل مضطرين إلى مرحلة أخرى من العلاج، نحاول أن نؤسس صورة تقريبية له من خلال النقاط التالية:

۱: بناءا على ثوابت العدالة الإسلامية والوطنية الصادقة، وثوابت الديمقراطية المشروعة، يلزم أن يكون رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء من مذهب الأكثرية حصراً، ويلزم تثبيت ذلك فى الدستور.

۲: مراكز القدرة الأساسية كمدير المخابرات العام، وقائد أركان الجيش والشرطة، ووزارات السيادة، يلزم أن يشغلها عناصر ينتمون إلى أكثرية الشعب، مع ملاحظة ضرورة التزام قانون المساواة والعدالة فى إدارة أقاليم الأقليات، فمثلاً إذا كان وزير الداخلية شيعياً يلزم أن يعين مسئولين سنة للأقاليم السنية، لا أن يمارس الطائفية البغيضة، ويستغل منصبه ويعين المحافظين من مذهبه، كما كانت الأنظمة الطائفية البائدة. فكل الوزارات التى يشغلها الشيعة يدير أقسامها أبناء المناطق من الأقليات فى مناطقهم، والوزارات السنية كذلك تعين مسئولين شيعة للأقاليم الشيعية والأقسام التى تخصهم.

۳: عوائد النفط والموارد العامة تصرف بالمحاصصة العادلة المتفق عليها، فلو أن الشيعة كانوا ۶۵٪، والسنة بمختلف قومياتهم ۳۰٪، والأقليات ۵٪، فيلزم صرف ثروات البلاد بمقدار هذه النسب فى مناطق الأكثرية والأقليات حسب نسبها.

۴: الحقائب الوزارية تقسم بالمحاصصة العادلة المبتنية على الكفاءات العلمية والتوافق.

۵: مناهج التربية لا تفرض فرضاً، بل توضع مناهج خاصة بالأكثرية، وأخرى خاصة بالأقلية الكبيرة.. فلا يكره الشيعى على دراسة مناهج السنى ولا العكس.

۶: مؤسسات الأوقاف تخضع لأتباعها من الأكثرية أو الأقليات، ولا تسلم بيد الأقلية كما كان شأن الأنظمة الملكية والجمهورية البائدة. وحتى أوقاف المسيحيين والصائبة وأمثالهم، فهى تابعة لهم لا للشيعى ولا للسنى، أما الأوقاف العامة فعوائدها للجميع حسب العدالة والمساواة.

۷: الإعلام المقروء والمسموع والمرئى لكل طائفة خاضع لأبنائها، ولو أسست مؤسسات إعلامية حكومية، فيلزم أن تخضع للمصلحة الوطنية العامة والعادلة، واحترام كل الجهات بلا استثناء، لا كما كانت فى العهود البائدة خاصة بالأقلية.

۸: المحافظون ومسئولو التربية والاقتصاد والإعلام والثقافة والأوقاف فى كل مدينة ومحافظة يكونون من أبنائها، لا أن يصدر إليهم مسئولون من أقاليم وطوائف من خارجها كما فعلت الأنظمة المقبورة، فنقع مرة أخرى فى فخ التميز الطائفى البغيض، وبتعبير آخر: المطلوب (فيدرالية إدارية).

۹: الشؤون القضائية كل محافظة تابعة لها، ويكون قضاتها منها مذهبياً وإقليمياً، فلا يُحكم الشيعى بفقه السنة ولا العكس، وكذا الأقليات المسيحية والصائبة وغيرها.

۱۰: أعضاء الجمعية الوطنية يمثلون مناطقهم ومذاهبهم بالمحاصصة العادلة، فإذا كان الشيعة ۶۵٪ مثلاً، فيلزم أن يمثلهم وبنفس النسبة نواب شيعة لا من غيرهم، كما كان ديدن الحكومات الطائفية البائدة فى العهدين الملكى والجمهورى.

۱۱: لجميع أبناء الشعب بمختلف أطيافه ومذاهبه وشرائحه حق تأسيس الجمعيات والأحزاب، والمؤسسات الدينية، والجامعات العلمية، والمدارس والمؤسسات الإعلامية، وإقامة المهرجانات والمؤتمرات، والمظاهرات السلمية، والمعارضة السياسية، ومؤسسات المجتمع المدنى، وكل نشاط آخر، شريطه عدم الإضرار بالآخرين، وعدم جرح مشاعرهم الدينية والمذهبية.. وفى هذه الأمور لا يميز أحد من المواطنين على غيره قال صلى الله عليه و اله: المسلمون سواسية كأسنان المشط.

۱۲: المناطق المختلطة من أبناء الطوائف الأخرى تحكمها قوانين الأكثرية الديمقراطية العادلة، مع عدم غمط حق الأقليات.. وكذا

المؤسسات المختلطة كالجامعات والمؤسسات العلمية مثلاً، فهى محكومة بقوانين الأكثرية حسب مناطقها.. فجامعات بغداد مثلاً يلزم أن يكون رئيسها وعمداؤها حسب أكثرية الطلاب الدارسين فيها.

۱۳: فرص التشغيل والتوظيف الحكومى، يلزم أن تكون وفق محاصصة عادلة، وضمن دائرة المحاصصة تطبق قوانين الأولوية والشروط والحيثيات الأخرى. وكذلك فرص البعثات إلى الخارج والمنح الدراسية، والممثليات الدبلوماسية، وما شابه ذلك.. فالسفارات وموظفوها مثلاً خاضعة لهذه القاعدة.

۱۴: المؤسسات الاقتصادية مثل: الشركات والمصانع، والمؤسسات العمرانية والخدمات وغيرها، تؤسس حسب المحاصصة العادلة للأكثرية والأقليات.. فلا يجوز أن تكون مدينة مثل تكريت منعمة بكل أنواع الخدمات، ومعبئة بالمصانع والشركات، ومدينة مثل كربلاء العالمية المزدحمة لا توجد فيها أبسط الخدمات البلدية والصحية، فضلاً عن تأسيس مطار وما أشبه كما فى تكريت.

۱۵: حرية الترشيح والانتخاب لمختلف المؤسسات من حق الجميع على قدم المساواة وفق ضوابط الأكثرية والأقلية، وليس هذا الحق خاصاً بحزب أو مذهب أو إقليم أو دين معين، ويلزم وضع قيود خاصة برجال الحكم وأمثالهم، لئلا يُستغل هذا الحق وتصادر حقوق أكثرية الشعب، وتزور الانتخابات أو تشترى الأصوات والذمم فيهوى الشعب مرة أخرى فى هاوية الطائفية والاستبداد.

۱۶: يلزم وضع القوانين الخاصة بالجيش والشرطة، لئلا تنحرف هاتان المؤسستان عن الواجب المعين لهما.. حيث أن هاتين المؤسستين الاستراتيجيتين استخدمتا لقمع انتفاضات الشعب، ولما كانت قيادتهما من الأقلية الطائفية والانتفاضات من جمهور الأكثرية.. فأسىء توجيه الجيش والشرطة واستخدما طائفياً لقمع الشيعة.. وهذا أمر خطير وطائفى بغيض جداً.

۱۷: الضرائب محرمة فى الإسلام، باستثناء ما شرعه الدين الحنيف، وهى غصب لأموال الناس الذين ينتمى أكثرهم إلى الطبقات الفقيرة فى المجتمع العراقى، ولكن لو حكمت الضرورة وشرعت ضريبة معينة فيلزم أن لا يستثنى منها أصحاب امتياز معينين.. وكذا فى تقسيم الأراضى والمساعدات لا يجوز تمييز أحد على أحد، أو إقليم على إقليم، أو طائفة على أخرى، كما كانت تفعله الحكومات البائدة التى أقطعت بعض أتباعها مئات الدونام من الأراضى الزراعية مع تسهيلات كبيرة ومنح.. فإنها كلها كانت خاضعة للروح الطائفية والإقليمية ضد عموم الشعب.

۱۸: إعادة الحقوق التى أهدرتها طائفية الحكومات السابقة، فالمدارس الدينية التى هدمت (كلها تقريباً) فى كربلاء المقدسة والنجف الأشرف وغيرهما، وكذا دور العبادة والمؤسسات العلمية كجامعة الكوفة مثلاً، فإن إعادتها معناه أن الدولة الجديدة قد بدأت بالتخلص من مخلفات الطائفية التى أسسها الاستعمار وأذنابه فى هذا الوطن.

۱۹: إعادة الأملاك والأموال إلى أصحابها والتى صادرها البعثيون الطائفيون فى العهد البائد.

۲۰: إعادة الوثائق التى انتزعت من العراقيين الذين اضطهدوا تحت شعارات طائفية حاقدة وشردوا إلى خارج الحدود، مع أن كثيراً منهم كانوا من أبناء العشائر العراقية الأصيلة، وكلهم كانوا من أبناء الجهاد وأحفاد ثورة التحرير عام ۱۹۲۰م.

هذه جملة مقترحات تعتبر خاضعة لقوانين العدالة والإنسانية والديمقراطية المشروعة.. وهى تشمل كل أبناء هذا الشعب لا طائفة أو قومية خاصة.. فمنطلقاتها عامة وإن كان الواقع المعاش طائفية ضد الأكثرية الشيعية فى هذا الوطن الغالى.

ولقد وضع (إعلان شيعة العراق) الذى اهتم بتنظيمه الدكتور موفق الربيعى حلولا ناجعة لأزمة الطائفية فى العراق، وإتماما للفائدة نوردها هنا، وهى كما يلى:

ماذا تريد الأغلبية الشيعية؟

يهدف (إعلان شيعة العراق) إلى بلورة رؤية الأغلبية الشيعية لمستقبل العراق السياسى، وإعادة بناء الدولة العراقية على أسس سليمة، والتى يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

۱: إلغاء التمييز الطائفى، وإزالة نتائج السياسات الخاطئة التى مورست فى الماضى.

۲: إقامة نظام نيابى دستورى يحول دون استبداد طائفة أو قومية على حساب الطوائف والقوميات الأخرى.

۳: تثبيت مبدأ المواطنة الواحدة لكل العراقيين، لأن وحدة المواطنة هى الضمان الحقيقى لوحدة الوطن.

۴: احترام الهوية القومية والدينية والمذهبية للعراقيين كافة، وترسيخ مفهوم المواطنة الحقيقية عند كل أبناء القوميات والطوائف المختلفة.

۵: ترسيخ وحدة العراق أرضاً وشعباً وسيادةً وكياناً ضمن التعدد المذهبى والدينى والقومى والسياسى.

۶: بناء المجتمع المدنى على أسس سليمة وتعزيز مؤسساته.

۷: اعتماد النظام اللامركزى الذى يشمل نظام المناطق التى تتمتع باللامركزية لعموم العراق.

۸: احترام مبادئ حقوق الإنسان.

۹: الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية للمجتمع العراقى.

إلغاء الديكتاتورية وإقامة النظام الديمقراطى (النيابى الدستورى):

الدكتاتورية هى أحد الأسباب التى أدت إلى ترسيخ سياسة التمييز الطائفى والعنصرى، وأن تبنى الأسلوب النيابى الدستورى واعتماد ضوابط نظرية من خلال الدستور، وتكريس عمل المؤسسات، هى بمثابة الأسس لمعالجة سياسة التمييز الطائفى والعنصرى.

فالشيعة لا يريدون حلّ مشكلة الأكثرية، ليخلق ذلك مشكلة الأقلية، إنما يسعون إلى نظام يحفظ حقوق مختلف مكونات الشعب العراقى ويعامل الجميع على قدم المساواة.

تبنى النظام اللامركزى

إحدى المشاكل الأساسية فى المعضلة العراقية، هى تمركز معظم السلطات فى العاصمة بغداد مما أدى إلى حرمان بقية مناطق العراق من كثير من الصلاحيات فى إدارة شؤونها المحلية. فلابد أن يكون الحلّ فى إعطاء بعض السلطات والصلاحيات لها لكى تتمتع بلا مركزية واسعة من أجل تسهيل عملية إدارة شؤونها المحلية.

النظام اللامركزى المقترح ينبغى أن يوفق بين سلطة مركزية فعالة غير مستبدة، ومناطق لها خصوصيات وتمتع بإدارة لامركزية واسعة. وتعيّن واجبات وحقوق وصلاحيات المركز والمناطق دستورياً، ولا يجوز لأحد أن ينفصل عن العراق وإنما هو التعدد والتنوع ضمن الوحدة.

النظام اللامركزى المقترح لا يبنى على أساس طائفى وإنما على أساس ديموغرافى إدارى، جغرافى لأنه إذا تشكل على أساس طائفى فسوف يكون مقدمة لتقسيم العراق إلى دويلات صغيرة وضعيفة ومتناحرة مما يخدم أهداف أعداء شعبنا.

النظام اللامركزى المقترح يعطى المناطق الصلاحيات التى تحتاجها، ويحول كثيراً من الصلاحيات التشريعية والتنفيذية والقضائية من المركز إلى الأطراف، وبذلك تحل مشكلة التمثيل على أساس مذهبى أو عرقى بين المناطق المعنية، ويزيل مخاوف المكونات الأخرى للمجتمع العراقى من هيمنة أية أكثرية على المركز.

والنظام اللامركزى ينظر إلى الخصوصية العراقية ويستفيد من تجارب الأمم المتحضرة الأخرى.

الحقوق السياسية

من أجل إلغاء الممارسات الطائفية التى مارستها الأنظمة المتعاقبة لابد أن يعاد النظر فى التركيبة الإدارية للدولة العراقية ومؤسساتها

العسكرية والمدنية، من خلال إعادة النظر فى طريقة التوظيف فى هيئات ومؤسسات الدولة واعتماد مبدأ الكفاءة المهنية كأساس للتعيينات الجديدة، عبر تشكيل مجلس مركزى لمكافحة الطائفية، وظيفته النظر فى عمليات التعيين للوظائف العليا فى الدولة، وينظر فى شكاوى وقضايا التميز الطائفى المرفوعة له، وكذلك يسعى إلى مكافحة الطائفية فى المؤسسات الرسمية والأهلية.

يتم إنشاء صندوق تعويض لكل المتضررين من السياسات الطائفية، وتشكيل هيئة عليا تشرف على تحديد الأضرار وإقرار مبالغ للتعويض.

استصدار قانون لإلغاء ومكافحة الطائفية، وتشكيل هيئة عليا للنظر فى الممارسات الطائفية التى ترتكب، ويعتبر أى عمل أو ممارسة طائفية جريمة يعاقب عليها القانون.

سنّ قانون جنسية جديد يقوم على أساس: أن المواطنة العراقية تعتمد على مبدأ الانتماء إلى العراق، وليس الانتماء الطائفى أو القومى أو الدينى.

إعادة العراقيين المهجرين والمسفرين والمهاجرين، ومنحهم حقوقهم الوطنية والدستورية كاملة.

الحقوق المدنية

يمكن تحديد أبرز الحقوق المدنية للشيعة بما يلى:

ضمان حرية النشاط الدينى للشيعة، وحقهم فى ممارسة شعائرهم الدينية.

حرية إنشاء المساجد والحسينيات والمكتبات، وحقهم فى إدارة العتبات المقدسة الشيعية.

ضمان حرية التعليم فى الحوزة العلمية والجامعات الدينية، بعيداً عن تدخل السلطة.

ضمان حرية واستقلال المؤسسة الدينية (الحوزة والمرجعية) فى تنظيم أمورها.

تسجيل المراقد المقدسة فى العراق فى مؤسسة اليونسكو.

ضمان حرية النشر وتأسيس مراكز ومعاهد فكرية شيعية.

ضمان حق إنشاء المدارس والجامعات والمعاهد التعليمية والأكاديمية الشيعية، بما ينسجم مع المنهاج العام المعتمد فى الدولة.

إدخال مواد المذهب الجعفرى فى المقررات الدراسية الحكومية أسوة ببقية المذاهب الإسلامية.

تنقية المواد الدراسية من النزعة الطائفية، وإعادة كتابة مواد التاريخ والدين والأدب العربى وغيرها فى المدارس الرسمية بشكل علمى لا يحمل روح العداء للشيعة.

منع طمس مقابر الشيعة ومعالمها والالتزام بحرمتها.

?الاعتراف الرسمى بالمناسبات الخاصة بالشيعة.

خاتمة:

من الضرورى إشراك جميع الأطراف السياسية والفئات الأساسية المكونة للمجتمع العراقى فى حل المعضلة الوطنية التى تمر بنا، والتى تهدد كيان العراق ووجوده ووحدته واستقلاله، وإشراك جميع الأطراف فى عملية التغيير وصنع المستقبل، من أجل أن نكون شركاء حقيقيين وعلى قدم المساواة بحيث لا يمكن أن تستغنى أى فئة عن الفئات الأخرى.

ولابد من تناول الأزمة العراقية بجميع أبعادها السياسية (فى الديكتاتورية)، والمذهبية (فى التميز الطائفى)، والقومية (فى التميز العنصرى). وكذلك تتناول كيفية رفع هذه السياسات الخاطئة التى مورست فى الماضى، ووضع رؤية مستقبلية لعراق موحد. وأن أى تناول للأزمة من خلال بعد واحد بذريعة التدرج وترحيل الأهداف سوف يؤدى إلى كارثة حقيقية تكلفنا أجيالاً من المعاناة.

كما ينبغى توفير الضمانات الدستورية والعملية (النظرية والواقعية) لجميع الطوائف والقوميات، من أجل بناء عراق جديد على أسس

جديدة. وترتيب الأولويات ترتيباً طبيعياً فى تطبيق اطروحات هذا الإعلان، إضافة إلى التدرج فى تطبيق الحلول المطروحة، وعدم فرضها بالقوة وإنما تطبيقها بشكل مرحلى، واستعمال كل الأساليب المشروعة فى تنفيذها.

كما يجب مشاركة جميع الأطراف السياسية والفئات الأساسية المكونة للمجتمع العراقى فى تبنى هذا الإعلان، من أجل أن نكون شركاء حقيقيين، وعلى قدم المساواة فى الوطن العراقى الواحد.

۱۷ كانون الثانى ۲۰۰۲

الملاحق

۱ وثيقة حول الإدارة الطائفية لمدن الشيعة

إن السنة ينظرون الآن فى تعيينات تشمل عدداً من الوظائف الإدارية فى المقاطعات وتكاد تكون كافة الأسماء المرشحة من السنة حتى فى مناطق الفرات الأوسط التى تتكون كلياً من الشيعة.

رسالة المس بيل

فى ۲۲ / كانون الثانى / ۱۹۲۰ ج۲ ص۵۸۵.

۲هذه الوثائق الأجنبية تعكس صورة عن التوتر بين السلطة الطائفية وجماهير العراقيين المعارضين، وهى نماذج قليلة من وثائق كثيرة سجلت فى وثائق الخارجية البريطانية فى الملف: المرقم ۳۷۱، نذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

الملف أف أو ۳۷۱ / ۱۷۵۷۵۳ أى كيو ۱۰۱۹ / ۲۶

من السفارة البريطانية فى بغداد إلى وزارة الخارجية ۲۲ نيسان ۱۹۶۴.

هناك عامل تعقيد أكثر بدأ يأخذ أهمية كبرى فى الأشهر الأخيرة وهو الوعى السياسى للشيعة، وهذا ترافق مع المطالبة بأن التنازلات حول (الحقوق القومية) التى تعطى للكرد يجب أن تعطى بالتساوى لطائفتهم، ولكن طلب جزء عادل من المناصب الوزارية فى الحكومة المركزية سوف يكون قضية أكثر جدية، طائفة الشيعة تشكل حوالى ۵۵٪ من سكان العراق، السنة العرب مثلاً باستثناء الكرد عددهم بين ۲۰، ۲۵ من مجموع سكان العراق. إن توزيع الوزارات الأساسية على أسس سكانية سوف يكون كارثياً لموقع السنة العرب الذين شكلوا أغلبية الطبقة الحاكمة للعراق منذ زمن الأتراك.

۳الملف أف أو ۳۷۱ / ۱۸۰۸۱۲ أى كيو ۱۰۱۹ / ۲۰

من السفارة البريطانية فى بغداد إلى وزارة الخارجية ۶ آذار ۱۹۶۵.

رئيس الجمهورية عارف شخصياً الذى ألقى كلمته أيضاً فى الحبانية إلى القوات التى قرر إرسالها إلى الشمال وفيها قدم عارف نداء إلى الشيعة لدعم الحكومة ضد الكرد. حوالى ۸۰٪ من مراتب الجيش شيعة والنداء ربما يشير إلى أن الحكومة لديها شكوك حول إمكانية التعويل عليهم.

۴الملف أف أو ۳۷۱ / ۱۸۰۸۱۲ أى كيو ۱۰۱۹ / ۲۸

من السفارة البريطانية فى بغداد إلى وزارة الخارجية ۲ نيسان ۱۹۶۵.

النضال من أجل كسب ولاء الشيعة للدولة مستمر ووزير الداخلية تجول فى جنوب العراق().

ملاحظة:

معنى ذلك أن العلاقة بين الحكومة والشعب كانت متوترة لممارسات وتمييزات الحكومة الطائفية، والنتيجة النهائية: عدم الاستقرار والأمن فى

الوطن.

۵المرجع الدينى الإمام الشيرازى رحمة الله عليه لصحيفة الأيام:

مستقبل العراق سيكون بخير شرط إعطاء الأكثرية حقوقها كاملة وكذلك الأقليات.

وجهت صحيفة الأيام البحرينية أسئلة مكتوبة إلى مكتب سماحة المرجع الدينى آية الله العظمى الإمام السيد صادق الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه حول بعض القضايا الهامة فى العراق، فأجاب مكتب سماحته إجابة مكتوبة نقلت الصحيفة مقتطفات منها بالمعنى فى عددها الصادر فى ۱۴/۶/۲۰۰۴، وقد جاء فى جواب سؤال حول مستقبل العراق ما نصه:

إن مستقبل العراق بإذن الله تعالى سيكون بخير شرط تحقق أمور،

ومنها:

أولاً: عدم هضم حقوق أية مجموعة من الشعب، وإعطاء الأكثرية حقوقها كاملة غير منقوصة، وكذلك إعطاء الأقليات حقوقها، قال الله تعالى:

?لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ()، ?وعليه فإن لبنة العراق بمعنى جعل الديمقراطية فيه مثل لبنان ينطوى على مخاطر حرب أهلية، فيلزم تحكيم نظام الشورى الحقيقية عن طريق الانتخابات الحرة والنزيهة.

ثانياً: إلغاء قوانين النظام البائد والأنظمة التى سبقته، وتشريع قوانين جديدة فى مختلف مناحى الحياة؛ لأن تلك القوانين لا يتطابق كثير منها مع الإسلام، كما أن كثيراً منها مزاجية أملتها رغبة الدكتاتوريات البائدة، ويكون التشريع عبر مجلس منتخب بانتخابات واقعية، وباستشارة الثقاة من أهل الاختصاص، شرط أن لا يتعارض أى قانون مع الإسلام، قال الله تعالى:

?وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ().?

ثالثاً: تأمين الحرية الكاملة للحوزات الدينية والمعاهد العلمية، لتقوم بدورها المنشود فى خدمة الدين، وتقدم البلاد وازدهارها، وبث الثقافة فى أوساط الشعب.

۶ من ملاحق (إعلان شيعة العراق)

ندرج هنا بعض البحوث والمبادرات التى تناولت الشأن الشيعى العراقى:

مشكلة الحكم فى العراق ... عبد الكريم الأزرى.

الشيعة والدولة القومية ... حسن العلوى.

ماذا يريد شيعة العراق ... محمد بحر العلوم.

أزمة شيعة العراق، ندوة نظمتها مؤسسة الإمام الخوئى رحمة الله عليه فى لندن عام ۱۹۹۲ و ۲۰۰۰.

القضية الشيعية فى العراق والشعائر الحسينية ... إبراهيم حمودى.

الأوضاع الراهنة لشيعة العراق ... محمد الحيدرى.

النظام العالمى الجديد وشيعة العراق ... عادل عبد المهدى.

تقييم الفاعلية الجهادية الشيعية فى العراق ... مهدى عبد المهدى.

البيان الشيعى ... غالب الشابندر.

ويضاف إلى هذه المصادر:

الأكثرية الشيعية فى العراق ... الإمام الشيرازى الراحل رحمة الله عليه.

۷ من ضحايا الطائفية السياسية

إن الشيعة التركمان كانوا من ضحايا الطائفية السياسية لنظام صدام، حيث أعدم أكثر من (٥٠٠) من خيرة رجالاتهم وشخصياتهم وكفاءاتهم العلمية والمهنية والعسكرية، وتدمير عدد من مدنهم لاسيما مدينتى (تسعين) و(بشير)، وتفريق سكانها على المجمعات السكنية البعيدة، وهكذا فإن التركمان كانوا وما زالوا ضحايا تهمة مزدوجة طائفية مقيتة وقومية عنصرية.

إننا فى الإتحاد الإسلامى لتركمان العراق، إذ نعلن دعمنا وتأييدنا للمبادئ العامة لهذه الوثيقة نؤكد على ضرورة التعاطى معها، وتفهم دواعيه فى إطار الحرص على الوحدة الوطنية، وضمان حقوق جميع مكونات الشعب العراقى المذهبية والقومية، فى ظل نظام ديمقراطى تعددى برلمانى يعبر عن إرادة الجميع.

المكتب السياسى للاتحاد الإسلامى لتركمان العراق

فى تقريضه على إعلان شيعة العراق

٨ المرجع الدينى سماحة السيد كاظم الحائرى

أكد المرجع الدينى سماحة السيد كاظم الحائرى رحمة الله عليه ما يلى فى الإجابة على رأى سماحته حول: (إعلان شيعة العراق).

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: إن حقوق الشيعة هدرت فى العراق منذ أمد بعيد وإلى يومنا هذا، ليس من قبل إخواننا السنة بل من قبل الحكام الجائرين فى العراق، فنحن لا نطالب الأقلية من المسلمين فى العراق وهم إخواننا السنة بإعطاء حقوق الأكثرية وهم الشيعة؛ لأن علماء المسلمين شيعة وسنة أجمعوا على أن الإسلام لا يفرق فى الحقوق بين مسلم ومسلم أياً كان لونه المذهبى.

نعم، يعترف ضمناً كل أهل مذهب بمذهبه ويعتز بذلك، ونحن كشيعة أهل البيت عليهم السلام نعترف بحدود مذهب أهل البيت عليهم السلام ونعتز به.

ثانياً: إننا نطالب الحكومات الجائرة فى العراق أياً كانت بترك الحيف على حقوق الشيعة الأكثرية، ولا نقبل أن تحيف على السنة الأقلية أيضاً، ونقول لها: نحن كلنا مسلمون ونتمتع بحقوق متساوية فى ظلال الإسلام.

ثالثاً: يجب حفظ حقوق الأقليات القومية: كالإخوة الأكراد والتركمان وغيرهم إلى جانب حقوق الأكثرية العرب، وهذه مسألة أخرى لا علاقة لها بالتمييز المذهبى.

رابعاً: إننا نطالب الحكومة غير الإسلامية فى العراق أياً كانت أن تتنحى عن الحكم، وأن تفسح المجال للأمة العراقية لتختار لنفسها الحكومة التى تحلو لها، ولا تحلو لها إلا الحكومة الإسلامية.

خامساً: إن العمل لتحصيل حقوق الشيعة فى العراق من أعظم الواجبات، ولكننا يهمنا أن لا يؤدى ذلك إلى إسباغ الشرعية لحكومة جائرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٣ ربيع الأول ١۴٢٣ ه

كاظم الحسينى الحائرى

٩ نبذة من كلمة سماحة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم

نبذة من كلمة سماحة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمة الله عليه التى أرسلها السيد عبد العزيز الحكيم، رداً على الطلب بإبداء رأيه حول (إعلان شيعة العراق).

- مشكلة الحكم فى العراق.

- التمييز الطائفى فى العراق.

هذه القضية يجب أن تحل فى العراق، وإذا لم يتم حلها يبقى العراق بؤرة للقلق وعدم الاستقرار (شئنا أم أبينا)، والمسألة ليست أننا نريد أن يكون بؤرة، وإنما طبيعة التركيبة عندما تكون تركيبة تمييز ضد الأكثرية فى العراق، وتجعلها فى الدرجة الثانية، وتقمع وتحاصر وتحرم من أبسط حقوقها، ولا يفسح لها مجال لأى فرصة بأن تتطور وتنمو والحال أن العالم كله ينمو ويتطور عندئذ بطبيعة الحال تسود حالة عدم الاستقرار، ولذلك نحن نعتقد أن من الأمور المهمة والضرورية فى هذه المرحلة أن يجتمع العراقيون جميعاً ويتركوا هذه الأسماء هنا وهناك وسوف أشير إلى بعض القضايا ليجتمعوا جميعاً لمعالجة هذه الأمور التى طرحها مراجعهم وأئمتهم ويعالجوا قضية الاستبداد والتمييز الطائفى.

- التمييز العنصرى ضد الأقليات:

والقضية الأخرى تتمثل بالتمييز العنصرى ضد الأكراد والتركمان، وحتى ضد الأقليات الأخرى كالآشوريين. هذا التمييز العنصرى يرفضه الإسلام، وترفضه المواثيق الدولية وترفضه الإنسانية، وهذا العصر لا يمكن أن يتحمل كما كان الحال فى العصور السابقة حالة التمييز والاضطهاد العنصرى للأقليات، ولذلك فأن مشكلة الأكراد والتى دافع عنها الإمام الحكيم، والذين لا زالوا يشكرونه على موقفه أكثر مما يشكره بعض إخواننا.

رغم أن الأخوة الأكراد لا يقلدونه فى المذهب، سوى بعضهم أى الأخوة الأكراد الفيلية، ولكن القضية الأساسية أن الإمام الحكيم كان يعتبر مشكلة الأكراد مشكلة حقيقية فى العراق، ولذلك يجب أن تحل بالطرق السلمية، وليس عن طريق القتل والتدمير.

وفى هذا السياق فأننا نريد أن نعالج الأمور فى إطار الوحدة الإسلامية، إذ أن مشكلتنا ليست مع إخواننا السنة الذين هم أحبائنا، ويعرفون دفاع الإمام الحكيم عنهم، ولكن مشكلتنا مع الحكام النواصب المعادين لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، ولعموم الشعب العراقى.

ونحن نرفض أن توجد حالة طائفية، أو تقسيم طائفى فى العراق، نحن مع الأخوة السنة على نسق واحد وعلاقة واحدة، ولكن الحكام يجب أن يكفوا عن التمييز، وأن يعرف إخواننا السنة أنه من أجل أن يكون هناك استقراراً فى العراق؛ فأن عليهم أن يساعدونا فى أن لا يكون هناك تمييز.

ونريد أن تكون هناك مساواة فى الحقوق بين كل أبناء الشعب العراقى.. ومساواة فى الواجبات ومساواة فى تكافؤ الفرص.

ونريد أيضاً أن يكون للشعب رأى حقيقى فى تقرير شكل الحكم وأن يشترك فيه، بعض الناس يتصورون أننا نريد حكم طائفى لأننا الأكثرية فى العراق.. نحن لا نريد حكماً طائفياً، ولا نؤمن بدكتاتورية الأكثرية.

المرسل: عبد العزيز الحكيم

۱۰ آية الله السيد مرتضى العسكرى عميد كلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى?: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ().?

تسجيلاً لما قام به شيعة أهل البيت عليهم السلام فى العراق وما جوبهوا به نقول:

أولاً: إن شيعة أهل البيت يشكلون أكثرية سكان العراق.

ثانياً: جاهدوا بقيادة علمائهم من أجل استقلال العراق.

ثالثاً: بعد الحرب العالمية الثانية قابلوا ثقافياً انتشار الشيوعية، وأخيراً قام البعث الغادر المسيطر على العراق باغتيال علمائهم، وفى

مقدمتهم المرجعين الشهيدين السيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد الصدر، والشهيدة الفاضلة بنت الهدى.

۲۴/ع۱/۱۴۲۳

السيد مرتضى العسكرى

عميد كلية أصول الدين

والجدير بالذكر هنا: إن النظام الطائفى اغتال الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازى، واعتقل آية الله العظمى السيد صادق الشيرازى، وأصدر حكم الإعدام غيابياً عليه وعلى المرجع الراحل السيد محمد الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه.

۱۱ سماحة الشيخ محمد باقر الناصرى:

بسمه تعالى

اطلعت على وثيقة (إعلان شيعة العراق)، وتلبية للإخوة المتصدين لنشرها فى أن أكتب رأيى فيها، أؤكد أهمية هذه الأفكار، واعتبارها مظهراً حضارياً يحقق ما أرسى قواعده الإسلام العظيم، وحملته الرساليون محمد وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وصحبه الأبرار من الدعوة لحكومة العدل الإلهى، وإنصاف عموم البشرية فى حياتهم.

والأغلبية الشيعية فى العراق المعروفة منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة وإلى الآن، قد تعرضت للظلم والاضطهاد فى مختلف العهود الأموية والعباسية والتركية ... وأخيراً على أيدى الغزاة البريطانيين وعملائهم، منذ الغزو المشؤوم فى أوائل القرن العشرين وإلى اليوم.

وجاء نظام عفلق وصدام المشبوه وحفنة العملاء.. ليسيروا على نهج الغزاة والظالمين، وكلهم يعمل ويؤكد فلسفة الجور بظلم الشعب المقهور، وهى فلسفة جاهلية تنطلق من (فرق تسد).

والغالبية الشيعية فى العراق، وكذلك بقية فئات العراقيين المظلومين من عرب وكرد وتركمان وغيرهم.. كلهم ضحايا هذا البغى الدولى المشئوم، وهو مرفوض من جميع العراقيين، ومن جميع المسلمين والمظلومين فى العالم كالفلسطينيين والكشميريين والبوسنيين وغيرهم. وأن سياسة القهر والاستبداد، والظلم الدينى والمذهبى، والقومى والعرقى، وكل ألوان الظلم المطبقة ضد عموم العراقيين، هى سياسات ظالمة فاسدة تشوه وجه حضارة العصر، وتقلق البشرية وتحيل الحياة إلى شقاء واحتراب دائم.

وأنا شخصياً: من حيث المبدأ مع كل الدعوات الخيرة النظيفة، لنشر العدل وإنصاف المظلومين، وفى مقدمتهم الأغلبية الشيعية فى العراق، وقد حرم وسجن وقتل وعذب ملايين العراقيين، من العلماء والمفكرين، وسائر طبقات الشعب العراقى، بعربه وأكراده وسائر فئاته.

أكرر تأكيدى لإنصاف الغالبية الشيعية فى العراق وضرورته ووجوبه، وهذا ما تعترف به كافة فئات الشعب العراقى، ودوائر الرصد والإحصاء فى العالم، والمنظمات الدولية فى الأمم المتحدة وغيرها، وتأمر به كافة الشرائع السماوية والقوانين الدولية.

سائلاً الله تعالى لشعبنا العراقى المظلوم التحرر والانعتاق، والإنصاف من الظلم والقهر، ومساعدته فى التحرر ليقرر مصيره بحرية وأمن واستقرار؛ لأن ذلك سيكون عامل استقرار للعراق والمنطقة والعالم ?، وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُوله وَالْمُؤْمِنُونَ().?

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

آخر ربيع الأول ۱۴۲۳ ه

۱۱/۶/۲۰۰۲ م لندن

محمد باقر الناصرى

۱۲ سماحة السيد محمد بحر العلوم:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد عانى الشعب العراقى كثيراً من الأنظمة الديكتاتورية الظالمة المتسلطة على رقاب أبنائه، وكانت الطائفية السياسية أحد أسلحة هذه الأنظمة فى محاربة وقمع الشعب العراقى. وكان العراقيون الشيعة باعتبارهم أكثرية الشعب العراقى الضحية المزمنة لهذه الأنظمة، فكلما ازدادت ديكتاتورية النظام المتسلط اقترنت معه بصورة متلازمة الممارسات الطائفية المقيتة. وكان النظام الديكتاتورى الصدامى قد تمادى فى طائفيته وإجرامه لتحجيم المرجعية الدينية، وإبادة علماء ورجالات الشيعة، ومدنهم المقدسة، وحوزاتهم العلمية، وخاصة عندما رفع شعار: (لا ـ شيعة بعد اليوم)، إبان انتفاضة الشعب العراقى آذار عام ۱۹۹۱، وما سبقها من اعتداءات على علماء ومثقفى العراق، وحركته الإسلامية، وما تعرضوا له من سجون وإعدامات، وتشريد وتهجير، وما أعقبها من محاولات تجفيف مناطق أهوار العراق وتهجير سكانهم.

إننا نؤمن بضرورة مواصلة النضال لإزالة الديكتاتورية، والعمل على إقامة البديل الديمقراطى الدستورى، الذى يختاره الشعب بحرية، وبناء مؤسسات المجتمع المدنى، وإلغاء كل مؤسسات العنف والقمع التى أنشئت لاضطهاد العراقيين، والعمل على ضمان حقوق المواطن العراقى السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإدارية، باعتبار كل ذلك وسائل كفيلة للقضاء على الطائفية السياسية، والتى ستعيد لشيعة العراق دورهم الأساسى فى بناء الدولة، والنهوض بآمال الشعب. ومن منطلق الحرص على وحدة العراق أرضاً وشعباً، وصيانة مستقبله السياسى، لا بد لنا من تشجيع كل الرؤى والمعالجات الموضوعية، والتى تأخذ من هوية العراق وخصوصيته أساساً لتحركها.. وقادرة على احتواء الإفرازات السلبية للأنظمة الديكتاتورية بروح مرنة غير متعصبة، وتطرح بوضوح وموضوعية المعوقات التى حالت دون تحقيق المشاركة السياسية للأغلبية العراقية، وندعم بقوة وبفاعلية كل الجهود الرامية إلى بلورة مشروع وطنى يتناسب وتطلعات شعبنا العراقى نحو إقامة مجتمع مدنى، ودولة القانون التى تتساوى فيها الأغلبية والأقلية، وذلك هو المشروع الذى يتبناه شيعة العراق باعتبارهم العمود الفقرى للوطن.

وانطلاقاً من ذلك فنحن نبارك كل الخطوات التى من شأنها المساهمة فى تحقيق هذا الهدف الكبير، ورفع الغبن عن (شيعة العراق)، وتثبيت حقوقهم، وتبيان مظلوميتهم، ووضع التصورات اللازمة لإزالة هذا الحيف والظلم عنهم.

لندن ۱۲ ربيع الأول ۱۴۲۳

۲۴ مايس ۲۰۰۲

محمد بحر العلوم

۱۳ الإمام الحكيم رحمة الله عليه: حى على الجهاد

بعد عقود من العمل النضالى والاشتراك فى مختلف قضايا الجهاد الوطنى، تسنم الإمام السيد محسن الحكيم رحمة الله عليه سدة المرجعية العليا.

يمكن اعتبار عهد الحكيم واحداً من أصعب عهود المرجعية الشيعية، فقد شهد عهده الثورة المصرية عام ۱۹۵۲م، وقد أفتى بدعم نضالها أثناء العدوان على بور سعيد. وشهد ثورة تموز وقيام النظام الجمهورى، وقد أفتى بنصرة الثورة، ثم لما تكشفت له بعض الحقائق أفتى وباقى العلماء بتكفير الحزب الشيوعى الذى اعتمدته الدولة فى إدارة البلاد، وقامت الثورة الكردية التى أفتى علماء السلطة بمقاتلتها، وأفتى السيد الحكيم بحرمة قتال الأكراد المسلمين.

وفى عهد مرجعيته ظهر قانون الإصلاح الزراعى والقطاع الاشتراكى، المخالف فى بعض بنوده أحكام الشريعة الإسلامية، وقد أفتى بحرمة الصلاة فى الأراضى المغتصبة، وحرمة التعامل مع بضائع المصانع المغتصبة أيضاً.

واستلم أثناء مرجعيته حزب البعث الطائفى الديكتاتورى السلطة مرتين. فاعتمد الإمام الحكيم فى حملته الإصلاحية الدعوة لأسلمة

الدولة على عدد من الأتباع المنتشرين فى أرجاء العراق، حيث استطاع أن يوظف رصيده هذا لمواجهة السلطة الطائفية التى أعقبت ثورة ١٤ تموز، فشهدت الفترة ما بين ١٩٦٣ - ١٩٦٨ نشاطاً واسعاً للدعاة الإسلاميين. وقد وجه علماء بغداد وبدفع من الإمام إلى الحكومة العراقية مذكرة خطيرة بتأريخ ٢/٢/١٩٦٤ طالبوا فيها السلطة العودة إلى الإسلام واحترام حقوق المواطنين.

وفى ١٩/٣/١٩٦٤ دخلت قضية طائفية السلطة وأقلمة الدولة إلى جدول مباحثات الإمام الحكيم مع رئيس الوزراء طاهر يحيى الذى زاره فى الكوفة قائلاً: إن من واجب الحكومة أن تنظر إلى مختلف أبناء الشعب بنظرة واحدة دون تمييز أو تفريق بين قومياتهم أو مذاهبهم، ويؤسفنى أن أرى الآن فجوة بين الشعب والحكومة، عمل على إيجادها شرذمة تحاول إثارة الأغراض والنعرات الهدامة بين الشعب. فلربما يقول القائل: بأن المفهوم السائد فى الدولة فى هذه الأيام بأن معاملات (عبد القادر) تنفذ، ومعاملات (عبد الحسين) تؤخر وتترك. كما أن هناك نعرات بلدية ضيقة مثل هذا: عانى، وهذا تكريتى، وهذا نجفى، وهذا كوفى. وهذه بسيطة للغاية فى ظاهرها، ولكن ربما استغلها البعض طريقاً لأمور أكبر وأوسع. ولئن صح ما بلغنى فذلك ما يثير الحزازات فى النفوس، ويبعد الأمة عن الحكومة. وما هذه الاضطرابات والانقلابات والتى عشنا بها مدة من الزمن، إلا نتيجة لعدم مراعاة حق الشعب والمحافظة عليه. وأنا لا أرغب أن أذكر لكم إلا ما فيه صلاحى وصلاح شعبى على اختلاف أنواعهم، ولا فرق عندى بين عربى، وكردى، وتركى، فكلهم أخوانى وأولادى ().

فالإمام الحكيم رحمة الله عليه قد تصدى لمواجهة الطائفية السياسية فى مختلف الحكومات المتعاقبة فى العراق، ولعل ذلك هو السبب المباشر لما أصاب أسرته من قتل وتشريد وسجن.. ذلك انتقاما للمواقف الجهادية التى اتخذها هذا الفقيه المجاهد وأسرته الثائرة (رضوان الله على شهدائهم وحفظ الله الباقين منهم).

١٤ مرجعية النجف الأشرف وسماحة السيد السيستانى رحمة الله عليه

إن ما ارتكب فى العراق خلال عام ونصف بعد سقوط النظام من جرائم طائفية بشعة تقشعر لها الجلود، كانت تهدف إثارة المشاعر الطائفية لإشعال نيران حرب لا هوادة فيها تحرق الأخضر واليابس فى هذا الوطن المثخن بالجراح، وذلك ليتسن للأجانب البقاء فى العراق وليفسح المجال لعودة الاستبداد إلى الحكم.

وإن انتهاك حرمة المراقد المقدسة وإزهاق أرواح الأبرياء فى المكان والزمان المقصودين (عاشوراء فى كربلاء والكاظمية) كانت محاولات شرسة ومفجعة لاستثارة جماهير الأكثرية الشيعية فى العراق، وفعلا أثارت حميتها على الدين والوطن وكان العراق على برميل بارود قابل لانفجار مدمر لكل الشعب والوطن.. فماذا لضبط الوضع المتوتر وزم الأزمة المتفجرة والمتفاقمة؟

إنه حنكة المرجعية الدينية وحكمة سماحة آية الله العظمى السيد على الحسينى السيستانى (حفظه الله) الذى استطاع برويته وهدوء أعصابه وروحه الوطنية العالية أن يهدأ العواطف الجياشة ويفقأ عين الفتنة التى لا زالت أيادى العملاء من الطائفيين تحاول إشعال نيرانها، فالموقف الرصين للمرجعية وقول سماحة السيد السيستانى رحمة الله عليه: حتى لو قتلت أنا فلا تتهموا أحدا، إن المتهم الحقيقى هو الصهيونية إن هذا الموقف درأ الخطر عن العراق وحفظه من الفتنة العمياء..

من جهة أخرى إن موقف سماحته المتحفظ من الدستور الموقت الذى صاغته الأقلية وتأكيده على رفض البند (ج) من المادة الثانية والستين، والذى أعطى الحق للبعض فى إلغاء أصوات كل العراقيين (ثلاث محافظات تلغى رأى كل محافظات العراق) هذا الموقف المشرف كان ردا على من يحلو له اللعب بمصير البلاد والعباد، وأخذ هذا الموقف الشجاع المبدئى من سماحته مداه فى العراق والعالم الإسلامى بل كل العالم، فموقف المرجعية الدينية فى النجف الأشرف سجل نقطة للتاريخ، وأثبت أن هذه المرجعية بحوزتها العريقة الواعية وشخصياتها المتنورة هى حصن العراق المنيع.

وهكذا كانت مواقف المرجعيات السابقة، فهى الأخرى امتازت بالوطنية الصادقة والمضادة لصميم الطائفية، كمواقف الشهيدين

الجليلين المجاهـدين: المرجع الـدينى آيـة الله العظمى السـيد محمـد باقر الصدر رحمة الله عليه والمرجع الدينى آية الله العظمى السـيد محمـد محمـد صادق الصـدر رحمـة الله عليه، وقـد امتـد خطهما الفكرى فى رفض طائفيـة النظام البائد والخط التكفيرى المتشدد بعد سقوطه.

وهكذا كانت ولا زالت مرجعية النجف الأشرف حصنا منيعا ودرعا واقيا للعراق من هجمات الطائفية الاستعمارية التى ما جنى منها هذا الشعب المظلوم غير الويلات والمحن والتخلف المرير.

۱۵ الإمام الشيرازى رحمة الله عليه: إصرار متواصل لحق الأكثرية

إن مدرسة ثورة العشرين لا زالت ماثلة بمبادئها التحررية، ورموزها القياديين الأبطال.. أمام العراق برمته.

والإمام الراحل المرجع الدينى آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه واصل مسيرة السلف الصالح على أصعدة مختلفـة أهمها مكافحـة التمييز الطائفى، الـذى حل على العراقيين كابوساً خانقاً، فخطب كثيراً وكتب أكثر وهو سـلطان المؤلفين الـذى ألف أكثر من ألف وثلاثمائة كتاب وكراسً فألف سـبعة وعشرين كتاباً وكراساً عن شعب العراق وهمومه ومحنه، مطالباً بنظام إسلامى إنسانى ديمقراطى مشروع، وتعددى وعادل.

ومن تلك الكتب التوعوية التى طبعت عدة مرات، وكانت الطبعة الأخيرة منها بعد سقوط النظام البائد، هو كراس (الأكثرية الشيعية فى العراق)، وكـذلك كتـاب (إذا قـام الإسـلام فى العراق)، كمـا أجـاب رحمـة الله عليه فى بيـانه التاريخى عام ۱۹۹۱م حين ما سـئل عن مستقبل العراق وصورة الحكومة المستقبلية، فقال():

لقـد سألتم عن العراق والصورة التى ينبغى أن يكون عليها فى المسـتقبل بعـد سـقوط النظام الحالى بإذن الله تعالى، وسنشـير هاهنا إلى بعض البنود حسب ما يستفاد من الموازين الإسلامية المطابقة للموازين الإنسانية الفطرية، قال تعالى:

?فِطْرَتَ الله الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا().?

۱: يجب أن تكون الأكثريـة هى الحاكمـة كمـا يجب إعطاء الأقليـة حقوقها، فإن الأكثريـة كان لها الـدور الأكبر فى إنقاذ العراق مرارا عديدة فى هذا القرن: مرة فى ثورة العشـرين ومرة أخرى فى الحرب العالمية الثانية حيث أفتى العلماء بوجوب إخراج المسـتعمرين من قاعـدة (الحبانيـة) فتحرك الشـعب العراقى بأسـره حتى أخرجهم، ومرة ثالثـة: إبان المـد الأحمر.. وقـد سـجلت الكتب التاريخيـة تلك الحوادث بتفاصيلها.

وقد قال الله سبحانه وتعالى?: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ().?

وقال جل وعلا?: وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ().?

وورد فى الحديث الشريف: لئلا يتوى حق امرئ مسلم ().

۲: من الضرورى استناد الدولة إلى المؤسسات الدستورية حيث يلزم منح الحرية لمختلف التجمعات والتكتلات والفئات والأحزاب غير المعاديـة للإسـلام فى إطـار مصالـح الأمـة، كمـا يلزم أن تكون الانتخابـات حرة بمعنى الكلمـة وان توفر الحريـة للنقابـات والجمعيات ونحوها كما يلزم أن تعطى الحرية للصـحف وغيرها من وسائل الإعلام ويلزم أن تمنح الحرية لمختلف أصـناف المجتمع من المثقفين والعمال والفلاحين و ...كما تعطى المرأة كرامتها وحريتها كل ذلك فى إطار الحدود الإسلامية الإنسانية.

قال تعالى?: لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ()، ?وقال تعالى?: يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِم ().

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله

حراً ().

۳: اللاعنف هو المنهج العام فى الداخل والخارج، كما قال تعالى:

?ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً() ?فإنه هو الأصل ونقيضه استثناء.

۴: يجب أن تراعى حقوق الإنسان بكل دقة، حسب ما قرره الدين الإسلامى الذى يتفوق على قانون حقوق الإنسان المتداول فى جملة من بلاد العالم اليوم، فلا إعدام مطلقاً إلا إذا حكم فى كليهٔ أو جزئيهٔ مجلس (شورى الفقهاء المراجع)، إذ فى صورهٔ الاختلاف بينهم يكون من الشبههٔ و الحدود تدرأ بالشبهات ()، كما ينبغى تقليص عدد السجناء إلى أدنى حد حتى من الحد المقرر فى العالم اليوم، كما لا تعذيب مطلقاً، وكذلك لا مصادرهٔ للأموال مطلقاً.

۵: وبالنسبهٔ إلى ما سبق يتمسك ب?: عَفَا الله عَمَّا سَلَفَ()، ?كما عفا الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله عن أهل مكهٔ: اذهبوا فأنتم الطلقاء ()، وعن غير أهل مكهٔ، وكما صنع ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويؤيده ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: إن حديث (الجب)() أولى بالجريان بالنسبهٔ إلى المسلمين من جريانه فى حق غيرهم.

۶: للأكراد والتركمان وأمثالهم كامل الحق فى المشاركهٔ فى الحكومهٔ القادمهٔ، وفى كافهٔ مجالات الدولهٔ والأمهٔ، فقد قال الله سبحانه: ?يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ().?

وقال الرسول عليه السلام: لا فضل لعربى على العجمى، ولا لأحمر على الأسود، إلا بالتقوى.. ().

۷: ينبغى أن تتخذ الدولهٔ القادمهٔ سياسهٔ (المعاهدهٔ) أو (المصادقهٔ) مع سائر الدول فى إطار مصلحهٔ الأمهٔ، كما قام بذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله مع مختلف الفئات غير الإسلاميهٔ حتى المشركين، ويستثنى من ذلك عدهٔ صور منها: صورهٔ احتلال الكفار والمشركين لبلاد المسلمين كما حدث فى فلسطين وأفغانستان، حيث يجب على جميع المسلمين عندئذ الدفاع إذ المسلمون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ().

۸: المرجع الأخير فى دستور الدولهٔ الإسلاميهٔ القادمهٔ فى العراق، وفى رسم السياسهٔ العامهٔ والخطوط العريضهٔ، هو (شورى الفقهاء المراجع) حسب ما قرره الإسلام، قال الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله: المتقون سادهٔ، والفقهاء قادهٔ ().

ومن الواضح أن الفقهاء المراجع يتعاونون مع الحوزات العلميهٔ، ومع المثقفين، والأخصائيين فى كافهٔ الحقول الاختصاصيهٔ؛ فإن ذلك هو مقتضى المشورهٔ والشورى، كما قال تعالى?: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ () ?وقال جل وعلا?: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ().?

۹: يجب على كافهٔ المسلمين السعى لكى تتوحد بلاد الإسلام، وتنصهر فى دولهٔ واحدهٔ إسلاميهٔ.. ذلك إن المسلمين أمهٔ واحدهٔ، كما قال تعالى?: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ().?

وقد أسس الرسول الأعظم عليه السلام أساس الدولهٔ العالميهٔ الواحدهٔ، حيث توحدت فى حياته صلى الله عليه و اله تسع دول تحت رايهٔ الإسلام على ما ذكره المؤرخون وفى هذا القرن كانت الهند مثالاً لذلك كما أن أوروبا تحاول التوصل إلى ذلك.

ومن الواضح أن تفكك الدول الإسلاميهٔ، ووجود الحدود الجغرافيهٔ بينها من الأسباب الرئيسيهٔ فى تخلف المسلمين من جههٔ، وفى تناحرهم وتحاربهم من جههٔ أخرى، وفى تفوق المستعمرين عليهم واستعمارهم من جههٔ ثالثهٔ.

۱۰: يلزم حث المجاميع الدوليهٔ كى تقوم بالضغوط الشديدهٔ على كل حكومهٔ تريد ظلم شعبها، ذلك أن الإنسان من حيث هو إنسان لا يرى فرقاً بين ظلم أهل الدار بعضهم لبعض، وبين ظلم الجيران بعضهم لبعض. وهذا هو ما يحكم به العقل أيضاً، ولا يجوز فى حكم العقل والشرع أن ندع أمثال: موسيلينى، وهتلر، وستالين، يفعلون ما يشاءون بشعوبهم تشريداً، ومطاردهٔ، ومصادرهٔ للأموال، وقتلاً للأنفس بحجهٔ أنها شؤون داخليهٔ.. فإذا اشتكى أبناء بلد عند سائر الأمم كان عليهم أن يرسلوا المحامين والقضاهٔ، فإذا رأوا صحهٔ الشكوى أنقذوا المظلوم من براثن الظالم.

ويقول الإمام الشيرازى الراحل رحمهٔ الله عليه فى كتابه (الأكثريهٔ الشيعيهٔ فى العراق): إنّ القرائن الموجودهٔ بحمد الله تدلّ على زوال حكومهٔ البعث فى العراق. وبناءً على ذلك فيجب الاهتمام بعدهٔ أمور، لحل مشاكل العراق مستقبلاً:

۱: إن الحكومهٔ القادمهٔ يجب أن تكون بيد الشيعهٔ، لأنهم الأكثريهٔ، وحتى لو قيل: إن هذا الحاكم الفلانى هو إنسان طيّب ومسلم

وملتزم حتى بالمستحبات، فلا ينبغى أن ننخدع بذلك، فيجب أن يكون حاكم البلاد شيعياً، لأن الأكثرية فى البلاد هم الشيعة، وأنّ القانون الإلهى والقانون المتعارف عليه دولياً يقرّ بذلك، نعم من الضرورى أن نعطى للآخرين (الأقليات) حقوقهم بقدر نسبتهم فى الشعب.

۲: تصعيد الإعلام، وبيان ذلك لكل العالم، بأن العراق يجب أن يكون حاكمه شيعياً، وحينما يطرح ذلك، يجب أن لا يكون هناك خوف من أحد، فيطرح هذا الرأى على جميع الفئات على البقال والخباز والمهندس والموظف والعسكرى وعلى غيرهم من شرائح المجتمع، وهؤلاء هم الذين يمثلون (الوحدة القاعدية)، وهم جماهير الناس، ولهم مطالب منبعثة من الدين أو القومية أو الاقتصاد، فإنها توجب الضغط على القوى الكبرى أو الدولة فى سياستها خاصة، إيجاباً أو سلباً أو تعديلاً، وأسلوب ضغط الجماهير وإن لم يكن بشكل خاص، إلا انّه بالنتيجة يؤثّر على الرأى العام ككل، وبالتالى الضغط على أصحاب النفوذ والقوى، فإذا كانت الدولة استشارية تتفادى سخط الرأى العام وترضخ لمطالبه. وإذا كانت ديكتاتورية فهى تتجاهل الرأى العام وبالتالى ستكون نتيجتها السقوط. إنّ الإعلام والتأثير على الرأى العام سوف يوجد تكاتفاً واسعاً فى الرأى سيكون بالنتيجة سدّاً بوجه القوى الكبرى، التى تمنع من تحقيق ذلك. وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: من جهل وجوه الآراء أعيته الحيل ().

كما يجب أن يكون الحكم فى العراق قائماً على أساس إعطاء الناس حقوقهم، وأن يعمل بالشورى والمشورة، وأن تعطى للأحزاب الإسلامية والوطنية المخلصة حرية العمل والتنافس، وأن يكون لها الحق فى نقد الحكومة، وحينذاك سوف لا تكون الحكومة قادرة حتى على قتل خمسة أشخاص بالباطل، كما رأينا ذلك بأعيننا حينما كانت التعددية الحزبية هى الحاكمة. أما إذا جاءت إلى السلطة حكومة ديكتاتورية فسيؤول وضع العراق من سيئ إلى

أسوأ ().

۱۶ مع المرجع الشيرازى رحمة الله عليه:

أما خلفه الصالح سماحة المرجع الدينى آية الله العظمى السيد صادق الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه فهو الآخر حمل بين جوانحه هموم هذا الشعب الممتحن المظلوم.. وركز فى كل مناسبة حول حقوق الأكثرية مع الحفاظ الكامل على حقوق الأقليات كاملة غير منقوصة..

قال سماحته فى بيانه الصادر فى ۱۰ شعبان ۱۴۲۵ ما نصه:

العراق الجريح والمظلوم يمر اليوم بفترة عصيبة بين الشدة والاستبداد فى أبشع ممارساته، وبين الحرية والانطلاق، وهناك أعداء للإسلام ولأتباع أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وعليهم) وللعراق، وهؤلاء لا يريدون لهذا الشعب الصامد والأبىّ أن يعيش بخير ويحاولون بأساليب عديدة سياسياً وعسكرياً وثقافياً وغيرها أن يعكروا صفو ذلك، فينبغى للشعب العراقى الواعى الانتباه بدقة إلى الأمور التالية:

أ) حضارة الإسلام التى أكد عليها القرآن الحكيم، وطبقها رسول الله وأمير المؤمنين (عليهما وآلهما السلام) أيام حكومتيهما العادلتين، لا بديل لها، فلايصلح العراق اليوم وغداً، إلا بما صلح به يوم حكمه الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ضمن أكبر وأوسع وأقوى رقعة على وجه الأرض، قسمت فى خريطة العالم اليوم إلى عشرات الدول والحكومات، فإن لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام اليوم بيننا فنهجه وسيرته وتاريخه الذى يمكن أن يجعل دستوراً ومنهاجاً موجودة عندنا.

ب) يعيش العالم اليوم فى معظم الدول الكبار، الأكثرية فى كل المجالات بدءً بانتخاب الرئيس، والمجلس والحكومة، وانتهاءً بكل حاجات الشعوب الكبيرة والصغيرة. فينبغى أن لا يكون العراق اليوم وفى معترك الصراع العالمى المصطنع مستثنى عن هذه الأكثرية مع حفظ حقوق الأقليات كافية ووافية.

وينبغى أن يشترك فى الانتخاب جميع قطاعات الأكثرية ومناطقها وقومياتها وفئاتها وعشائرها ومثقفيها وتجارها وعمالها وغيرهم... وأن يصادق كلهم على القانون والمجلس والحكومة، حتى لا تصبح الأكثرية جسراً

إلى الأقلية، والانتخاب واجهة للانتصاب، وهذا أمر دقيق ينبغى الانتباه الأكيد له.

ج) العراق أرضاً وشعباً من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب من الأكراد، والتركمان، والعرب، وغيرهم فى المدن والقرى والأرياف، وحدة واحدة لا يمكن أن تتجزأ تحت أى اسم، أو أى شعار.

د) ثقافة التعايش بين جماعات وأفراد الشعب العراقى الواعى، وأحزابه وهيئاته، وحوزاته وجامعاته، ينبغى أن تمارس بأحسن وجه كمقدمة للوحدة الإسلامية الكبرى التى دعى إليها القرآن الحكيم حيث قال: إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (سورة الأنبياء: ۹۲). وفى هذه المرحلة الحساسة التى سيكون فيه تقرير مصير الأمة اليوم، والأجيال القادمة فلابد من السعى الحثيث لتسليم أزمة الأمور إلى الأفراد الصالحين الكفوئين، فإنه إذا صلحت القيادة صلحت البلاد وإذا فسدت القيادة فسدت البلاد.

وقد أصدر مكتب السيد المرجع رحمة الله عليه فى قم المقدسة بأمر من سماحته بياناً فى ۷ ربيع الثانى ۱۴۲۵ه جاء فيه: إن الأوضاع المأساوية التى حدثت فى العراق طوال العقود الماضية، وما ترتب عليها مما نشاهده الآن، إنما هى نتاج ممارسات لامسئولة وأخطاء متراكمة، ومن أسوء تلك الأخطاء: التفريط بحق الأكثرية عشيّة تأسيس الدولة العراقية فى القرن الماضى، وتحت شعارات براقة، مع أن الشريعة المقدسة والنهج الديمقراطى يشرعان صون حقوق الأكثرية.

ومما يؤسف له أن نشاهد اليوم بوادر التفريط بحق الأكثرية أيضاً تحت غطاء نفس تلك الشعارات وما يشابهها.

ونحن إذ نحذر من تكرار التجربة السابقة مرة أخرى مع أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين كما ورد فى الحديث الشريف نطالب بصون حقوق الأكثرية، ولزوم كون رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء من الأكثرية، وكذلك سائر المناصب وحسب نسبتهم الواقعية.

ولا ينطلى على الشعب العراقى الواعى ما يقال: من أن رئاسة الجمهورية منصب تشريفى؛ لأن ذلك من قبيل نفس الخدعة التى انطلت حين تأسيس الدولة العراقية فى القرن الماضى، وأدت إلى تلك المظالم الفاحشة خلال أكثر من ثمانين عاماً.

ومن الواضح أنه لا يحق لأية جهة من الجهات التنازل عن حقوق الأكثرية؛ لأنه تنازل عن شىء هو ملك لجميع الأمة.

وإننا ندعو الشعب العراقى الأبى للقيام بمسؤوليته الشرعية والإنسانية، وبمختلف الطرق السلمية، والمطالبة الجادة والحثيثة ليكون رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء من الأكثرية، وكذلك سائر المناصب وحسب نسبتهم الواقعية ورفض ما سوى ذلك رفضاً قاطعاً.

وعلى أهل العلم والجامعيين والمثقفين القيام بواجباتهم الدينية، ومسئولياتهم التاريخية بتثقيف الناس، وتعليمهم مسائل دينهم، وأمورهم السياسية والزمنية، فقد ورد فى الحديث الشريف: العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس.

كما ينبغى على الجميع التوجه إلى الله تعالى بالدعاء، لإصلاح الأمور، فقد قال سبحانه?: قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ()،? والتوسل بالمعصومين محمد وعترته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولاسيما مولانا الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لزوال الكربات وانقشاع المآسى والمظالم والله ولى النجاة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

من جهة أخرى أصدر الناطق الرسمى باسم ممثليه سماحته، الشيخ ناصر الأسدى تصريحاً عشية الإعلان عن تأسيس الدولة الجديدة المؤقتة، وذكر أربع نقاط هامة هى من ثوابت العدالة والديمقراطية المشروعة، ومما جاء فى التصريح: إننا فى الوقت الذى نأمل، ونتمنى لكل قيادة وطنية مخلصة أن توفق لانتشال الواقع العراقى من مأساته، نؤكد على أن الصيغ التوافقية ليست حلاً لأزمة العراق المستعصية فيلزم:

أولاً: التزام ثوابت العدل، والتى من أهمها إعطاء الأكثرية كامل حقوقها السياسية المشروعة، وبذلك يكون رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء منها.

ثانياً: اعتماد المحاصصة العادلة لنيل الجميع حصتهم، وإن إغفالها يؤدى فى تركيبة الواقع العراقى إلى فرض محاصصة غير منصفة،

وهو يفقد المصداقية فى الديمقراطية، كما أثبت ذلك تاريخ العراق فى القرن الماضى.

ثالثاً: يلزم إشراك كل القوى السياسية فى تقرير مصير الوطن الذى هو ملك للجميع، فإن سياسة التهميش لا تؤدى إلا إلى إشعال نيران الفتن، والتوترات، وعدم الاستقرار.

رابعاً: ويلزم الاستعداد كاملاً لإجراء الانتخابات، فصناديق الاقتراع النزيهة هى الحل لأزماتنا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ظهير كالمشاورة.

وبدون ما ذكر أعلاه، على الشعب أن يعد نفسه لمرحلة طويلة من مصادرة الحقوق، وحرمان الأكثرية من حقوقها.

وطالب التصريح من كل شرائح الشعب تحمل مسئولياتهم فى هذه المرحلة قائلاً: ويلزم على كل المرجعيات والأحزاب والجهات السياسية والشعبية، أن تتحمل مسئوليتها التاريخية تجاه الديمقراطية والتعددية، واستقلال الوطن كاملاً، قال صلى الله عليه و اله: من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم.

مسک الختام

إن ما ورد فى هذا السفر المتواضع غيض من فيض، وقطرة من بحر من ملف الطائفية الظالمة فى العراق، وكان الهدف من هذا الكتاب الإسهام فى خدمة هذا الوطن بكل مذاهبه وأبنائه، ومكافحة مرض الطائفية الفتاك الذى يحطم حتى الأقلية أيضا، كما يحطم كل شعب أصيب به ويتركه ضعيفا عاجزا أمام قوى الرجعية والاستعمار والجهل والتخلف والفقر والطبقية الجائرة.

هذا ولا يلزم القارئ الكريم بالضرورة أن يلتزم بما جاء فيه بحذافيره، بل اللازم هو رفض الطائفية بكل أشكالها العنصرية الظالمة، والنضال السلمى ضد كل ما يمت إليها بصلة وفى أى شكل من أشكالها، وإن مما لا شك فيه ولا ريب أن شعب العراق كل الشعب مطلقا لا تقوم له قائمة ما دام أسيرا لهذا المرض المزمن والعضال، فالواجب الشرعى والوطنى يفرض على كل عراقى أن يبذل قصارى جهوده لعلاج هذا المرض المدمر.

اللهم إنى قد بلغت فاشهد..

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا.. وثبت أقدامنا.. وانصرنا على القوم الظالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ناصر حسين ناصر

۱۴۲۵ه ۲۰۰۴م

الحاشية

() راجع فى ذلک (الملل والنحل) للشهرستانى، و(فرق الشيعة) للنوبختى، و(حياة محمد) وفيه يقول محمد بن عبد الله عنان: من الخطأ أن يقال: إن الشيعة إنما ظهروا لأول مرة عند انشقاق الخوارج، بل كان بدء الشيعة وظهورهم فى عصر الرسول صلى الله عليه و اله حين أمر بإنذار عشيرته بآية?: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الأَقْرَبِينَ ?سورة الشعراء: ۲۱۴. قال رسول الله صلى الله عليه و اله مشيراً إلى على بن أبى طالب عليه السلام: والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، راجع تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعى: ج۲ ص۴۴۲ ح۹۵۱، وص۳۴۸ ح۸۴۹ و۸۵۱. المناقب للخوارزمى الحنفى: ص۶۲. شواهد التنزيل للحسكانى الحنفى: ج۲ ص۳۶۲ ح۱۱۳۹. كفاية الطالب للكنجى الشافعى: ص۲۴۵ و۳۱۳ و۳۱۴. الدر المنثور للسيوطى الشافعى: ج۶ ص۳۷۹. فرائد السمطين: ج۱ ص۱۵۶.

() انظر النوبختى فى كتابه (فرق الشيعة)، وابن النديم فى كتابه (الفهرست).

() سورة الواقعة: ۱۰ ۱۲.

() بشارة المصطفى: ص۸۹.

() الأمالى للصدوق: ص۳۳۶ المجلس۵۴ ح۱۵.

() سورة المائدة: ۳.

() راجع حديث الولاية، حيث قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من كنت مولاه فهذا على مولاه، ... فى كتب المسلمين كافة من العامة والخاصة حيث بلغ حد التواتر، للتفصيل انظر كتاب (المراجعات) للمرحوم الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى رحمة الله عليه.

() الصراط المستقيم: ج۱ ص۲۳۰ ب۷ ف۲۰.

() المناقب: ج۲ ص۹۸ فصل فى المسابقة بالزهد والقناعة.

() وهى مدينة اختطها أبو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع فى عمارتها، انظر معجم البلدان: ج۱ ص۴۵۷ مادة (بغداد).

() أمثال: أبى سلمة الخلال الكوفى الذى استوزره السفاح أول ملوك بنى العباس، ومحمد بن الأشعث الخزاعى الذى استوزره المنصور، وأبى عبد الله يعقوب بن داود، وعلى بن يقطين الذى استوزره هارون، وجعفر بن الأشعث، والفضل بن سهل ذى الرياستين الذى استوزره المأمون وغيرهم.

() وقد ذكر علماء الاجتماع أن المؤثرات فى الإنسان عشرة منها: الأجواء الاجتماعية، والأحواء الطبيعية. راجع (الفقه: الاجتماع)، للإمام الشيرازى رحمة الله عليه.

() أول من استعمل كلمة (الرافضة) هو زياد ابن أبيه والى معاوية على الكوفة، وذلك حين طلب من حجر بن عدى وأصحابه البراءة من على عليه السلام فرفضوا بإصرار شديد، فقال غاضبا: قوموا عنى فأنتم الرافضة.

() تأسست الدولة البويهية على يد على بن بويه الملقب بعماد الدولة فى شيراز فى بلاد إيران عام (۳۲۱ ه) ثم امتد حكمها إلى كل إيران والعراق وجزء من تركيا وغيرها من بلاد بنى العباس، وكان آخر ملوك البوبهيين أبا نصر الملقب بالملك الرحيم وبه انتهى حكم الدولة البويهية سنة (۴۷۴ ه)، والذى امتد ۱۵۳ سنة.

() هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبرى الملقب بالشيخ المفيد، من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، فضله أشهر من أن يوصف، انتهت رئاسة الإمامة إليه فى وقته، ولد ? سنة (۳۳۶ ه) وتوفى (۴۱۳ ه) ودفن فى داره، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من جانب رجلى الإمام الجواد عليه السلام، له تصانيف عديدة منها: الرسالة المقنعة، الأركان فى دعائم الدين، الإيضاح فى الإمامة، الإرشاد، الإفصاح، والعيون والمحاسن. يقول عنه الشيخ الطوسى: ? وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف له ومن المؤالف. راجع روضات الجنات: ج۶ ص۱۵۳ الرقم ۵۷۶

() هو الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن أبى احمد الحسين بن موسى بن محمد، ولد عام (۳۵۹ ه) وتوفى سنة (۴۰۶ ه) جامع كلام الإمام أمير المؤمنين ? فى كتاب نهج البلاغة.

() هو سيد علماء الأمة ومحيى آثار الأئمة ذو المجدين أبو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام المشهور بالسيد المرتضى، وبعلم الهدى، جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، له تصانيف مشهورة منها: الشافى فى الإمامة، وكتاب الطيف والخيال، وكتاب الغرر والدرر، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وهو أخ السيد الشريف الرضى. ولد سنة (۳۵۵ ه) وتوفى سنة (۴۳۳ ه). وقيل: إنه خلف بعد وفاته (۸۰ ألف مجلداً) من مقروآته ومصنفاته ومحفوظاته. انظر الكنى والألقاب: ج۲ ص۴۸۲ (علم الهدى).

() الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى، المعروف بشيخ الطائفة، ولد بطوس خراسان فى شهر رمضان سنة ۳۵۸ ه، درس أولاً فى مدارس خراسان ثم هاجر إلى بغداد سنة ۴۰۸ ه وبقى فى العراق إلى آخر عمره. فى سنة ۴۴۷ ه هجم السلاجقة الأتراك على

بغداد، وأغار عبد الملك الوزير المتعصب لطغرل بيك فى ذلك الوقت على المناطق الشيعية، وقام بالقتل والنهب كما أنه هجم على دار الشيخ الطوسى ليقتله، ولما لم يجده فى داره فقد أحرق ما فيها من أثاث وكتب، فانتقل الشيخ من بغداد إلى النجف الأشرف بعد هذه الحادثة المؤسفة، فقام بتأسيس الحوزة العلمية هناك. توفى الشيخ ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ۴۶۰ هجرية عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً، ودفن فى داره التى كان يقطنها بوصية منه، وهى الآن من أشهر مساجد النجف الأشرف، ويعرف بمسجد الطوسى بالقرب من الحرم الشريف.

() هولاكو: نحو ۱۲۱۷-۱۲۶۵م، مغولى مؤسس دولة المغول الإيلخانية فى إيران سنة (۱۲۵۱م)، حفيد جنكيز خان، أخضع أمراء الفرس والإسماعيلية فى قلعة الموت (۱۲۵۶م)، قضى على الخلافة العباسية فى بغداد (۱۲۵۸م) واحتل سورية، هاجم المماليك جيشه فى عين جالوت وأبادوه (۱۲۶۰م).

() هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر محمد بن محمد بن الحسن الطوسى رحمة الله عليه صاحب كتاب تجريد العقائد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير اقليدس، وتحرير المجسطى، وشرح الإشارات، والفصول النصيرية، والفرائض النصيرية، والأخلاق الناصرية، وكثير غيرها، ولد رحمة الله عليه بمشهد طوس فى سنة ۵۹۷ه، وتوفى سنة ۶۷۲ه، ودفن فى مقابر قريش فى الكاظمية.

() الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى ويعرف بالعلامة (۶۴۸ ۷۲۶ه)، من كبار العلماء الشيعة، نسبته إلى مدينة الحلة فى العراق، وفيها مولده ومسكنه ومدفنه، له كتب كثيرة منها: تبصرة المتعلمين فى أحكام الدين، وتهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول، والأحكام فى معرفة الحلال والحرام، ومختلف الشيعة فى أحكام الشريعة، وأنوار الملكوت فى شرح الياقوت.

() هو محمد فخر المحققين بن حسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى، فقيه أصولى متكلم، ولد سنة ۶۸۲ه وتوفى فى سنة ۷۷۱ه، من آثاره: نهج المسترشد فى أصول الدين، وجامع الفوائد فى الفقه، والكافية فى علم الكلام، وغاية البادى فى شرح المبادى، وغيره.

() محمد خدا بندة الذى استبصر على يد العلامة الحلى ? فى قصة مشهورة، وذلك عندما طلق زوجته ثلاثاً فى مجلس واحد، وأجمع علماء المذاهب على وجوب المحلل، ثم جاء العلامة الحلى رحمة الله عليه وبعد مباحثات طويلة مع العلماء، وإقامة الأدلة الدامغة أثبت صحة مذهب أهل البيت ? دون سواه، وقد أسفرت تلك المباحثات عن تشيع السلطان وأكثر من معه، وقد ذكر هذه الحادثة العلامة المجلسى رحمة الله عليه فى (روضة المتقين). راجع إيضاح الاشتباه للعلامة الحلى: ص۴۳.

() محمود غازان: ۱۲۷۱-۱۳۰۴م، سلطان إيلخانى سنة (۱۲۹۵م) فرض الإسلام ديناً للدولة، شجع الأدباء، له آثار عمرانية فى تبريز.

() الصفويون: سلالة ملكت إيران (۱۵۰۱-۱۷۳۶م)، أسس الدولة إسماعيل الأول، واتخذ تبريز عاصمة وتلقب بالشاه، أعلن التشيع مذهب الدولة، نقل العاصمة إلى قزوين (۱۵۵۵م) طهماسب الأول، ثم نقل عباس الأول الكبير إلى أصفهان.

() راجع تاريخ الشيعة: ص۱۰۶ الموصل وشمال العراق.

() الكافى: ج۸ ص۱۰۷ حديث أبى بصير مع المرأة ح ۸۰.

() سورة طه: ۲۹۳۲.

() بحار الأنوار: ج۳۸ ص۳۱۹ ب۶۷ ح ۳۰.

() ديوان أبى تمام: ص۱۵۳ من قصيدة فى مدح أمير المؤمنين عليه السلام.

() نسمة السحر: ج۲ ص۲۲۱.

() تاريخ بغداد، الخطيب: ج۱۰ ص۳۳۹ ترجمة رقم ۵۴۷۹.

() نسمة السحر: ج۴ ص۴۱۹.

()الفهرست، الطوسى: ص۳۱ ترجمة رقم ۸۳.

() رجال النجاشى: ص۶۹ ترجمة رقم ۱۶۷.

() وفيات الأعيان، ابن خلكان: ج۲ ص۱۷۲-۱۷۷ ترجمة رقم ۱۹۳.

() معجم البلدان، ياقوت الحموى: ج۱ ص۵۱ آبه.

() البداية والنهاية، ابن كثير: ج۱۲ ص۱۱۴ حوادث سنة ۴۵۷ ه.

() البداية والنهاية، ابن كثير: ج۱۳ ص۱۰ جعفر بن محمد بن فطيرا.

() البداية والنهاية، ابن كثير: ج۱۲ ص۲۶۶ حوادث سنة ۵۳۲ ه.

() معجم البلدان، ياقوت الحموى: ج۴ ص۴۴۸ كرخ بغداد.

() معجم البلدان، ياقوت الحموى: ج۲ ص۳۵۲ خراسان.

() بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۰ ب۳۶ صمن ح۱۲.

() نهج البلاغة: الخطبة رقم (۵۳) ومن كلام له عليه السلام فى ذكر الكوفة.

() شرح نهج البلاغة، الكيدرى: ج۲ ص۱۰۷.

() بحار الأنوار: ج۵۷ ص۲۱۰ ب۳۶ صمن ح۱۲.

() شرح نهج البلاغة، لابن أبى الحديد: ج۳ ص۱۹۸ فصل فى ذكر فضل الكوفة.

() الأمالى للطوسى: ص۶۷۸ المجلس۳۷ ح۱۴۴۰.

() البداية والنهاية، ابن كثير: ج۱۳ ص۱۰ جعفر بن محمد بن فطيرا.

() معجم البلدان، ياقوت الحموى: ج۲ ص۲۹۴ الحلة.

() الكامل فى التاريخ، ابن الأثير: ج۱۰ ص۳۵۱.

() معجم البلدان، ياقوت الحموى: ج۲ ص۳۳۹ الخالص.

() معجم البلدان، ياقوت الحموى: ج۱ ص۴۵۶ بغداد.

() مجالس المؤمنين: ۳۴۷.

() الشيعة فى مسارهم التاريخى، السيد محسن الأمين رحمة الله عليه، ونقلنا عنه المواد السابقة بتصرف يسير.

() الشيعة فى مسارهم التاريخى، السيد محسن الأمين: ص۲۳۱ تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

() الشيعة والدولة القومية فى العراق: ص۱۴۸. مصدر سابق.

() ثورة العشرين الوطنية التحررية فى العراق، ل. ن. كوتلوف: ص۱۸، مكتبة النهضة بغداد.

() التقرير الدولى عن حقوق الإنسان فى العراق، مراجعة الدكتور صاحب الحكيم، مؤسسة المنار لندن ۱۹۹۱.

() The New Encyclopaedia Britannica، v۲۱، p۹۷۶، Robert Mchenry - General Editor - The University of CHICAGO، USA، ۱۹۹۲.

() كربلاء كما وصفها بعض المستشرقين الفرنسيين، دراسة: قيس جواد العزاوى، نصيف الجبورى، عن كتاب: دراسات حول كربلاء ودورها الحضارى: ص۱۴۴، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، لندن.

() صحيفة الشرق الأوسط، عدد ۹۰۸۸ ليوم ۱۶/۱۰/۲۰۰۳.

() مشكلة الحكم فى العراق: ص۱۲۳ و۲۸۱.

() الطائفية فى العراق.. الواقع والحل، سعيد السامرائى: ص۱۳۳، مؤسسة الفجر، لندن ۱۹۹۳.

() العراق الواقع وآفاق المستقبل، وليد الحلى: ص۳۱۳، دار الفرات بيروت ۱۹۹۲، و:

Iraq-Demographic and ethnic.Distribution.U.S Government Data ME/oil/۲۲۳-۰۹۹-۸۸۷

() المصدر السابق.

() أزمة الحكم فى العراق وحل المسألة الكردية، فاروق عباس: ص۱۴۸، دار الحكمة لندن، ۱۹۹۵.

() مجلة النور الصادرة فى لندن، العدد: ۱۵۳ بتصرف.

() الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، جاد الكريم الجباعى: ج۲ ص۲۸۵، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية، دمشق ۲۰۰۰.

() دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث، عبد الله فهد النفيسى: ص۱۶۷.

() لقد فات الأستاذ الحصرى أن يدخل الكوت فى هذه الإحصائية.

() الطبقات الاجتماعية: ص۴۰.

() الشيعة والدولة القومية فى العراق: بتصرف يسير ص۵۰ وما قبلها.

() مشكلة الحكم فى العراق، عبد الكريم الأزرى: ص۲۷۳، لندن ۱۹۹۱.

() الطائفية والسياسة فى العالم العربى.. نموذج الشيعة فى العراق، د. إبراهيم فرهاد: ص۲۹۰ و۳۳۷، مكتبة مدبولى القاهرة ۱۹۹۶.

() ملاحظات أولية فى الإصلاح الزراعى، زكى خيرى: ص۴۳. وانظر صفحات من تاريخ العراق الحديث، حامد الحمدانى، من موقع صفحات على شبكة الانترنت.

() سورة البقرة: ۱۱۱، وسورة النمل: ۶۴.

() هناك مجلدات خاصة فى الحوار العلمى العقائدى والفقهى والفلسفى، وكتاب (الاحتجاج) للعلامة الطبرسى، ومجلدات (الاحتجاج) من موسوعة (بحار الأنوار) نماذج تدل على ما نقول..

() سورة هود: ۸۸.

() مجلة الغد: آذار ۱۹۸۷م بتصرف.

() المصدر السابق، بشىء من التصرف.

() لأن الطائفية مصطلح يدل على الفئوية الضيقة ولا تعنى مجرد الانتماء إلى طائفة معينة.

() العلوى: مصدر سابق، يراجع نهاية القصة على ص۲۷۷.

() العلوى، مصدر سابق بتصرف.

() العلوى، مصدر سابق بتصرف

() تاريخ الوزارات العراقية: ص۴ وص۱۹۳.

() العلوى، مصدر سابق بتصرف.

() العلوى، مصدر سابق بتصرف.

() سندرسن باشا المذكرات: ص۴۶ – ۴۷، ط۳، ۱۹۸۵.

() العلوى، مصدر سابق بتصرف.

() مثل ميثم التمار وحجر بن عدى الكندى وعمرو بن الحمق الخزاعى والحضرميين مسلم بن زيمر وعبد الله بن نجى (رضوان الله عليهم)، وكثير غيرهم من أصحاب الإمام على عليه السلام، وكان معاوية قد أمر ولاته بقتل كل من كان على دين على ورأيه. انظر كتاب سليم بن قيس الهلالى: ص۳۲۱.

() راجع بحار الأنوار: ج۴۹ ص۱۲۸ ب۱۳ ح۳، وفيه يقول الإمام الرضا عليه السلام حين امتنع عن قبول الولاية من المأمون:.. تريد بذلك أن يقول الناس: إن على بن موسى لم يزهد فى الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً فى الخلافة

...

() راجع الشيعة والحاكمون، محمد جواد مغنية: ص۱۴۵۱۷۲.

() العثمانيون: سلالة السلاطين الأتراك، أسسها عثمان الأول سنة ۱۲۸۱م، نشأت فى الأناضول على أنقاض الدولة السلجوقية ومدت سلطتها إلى البلقان والدول العربية الأخرى وأفريقية. احتل محمد الفاتح القسطنطينية عام ۱۴۵۳م وجعلها عاصمته وقضى على البزنطيين. أنهى سليم الأول حكم المماليك وسيطر على سورية وفلسطين ومصر عام ۱۵۱۶م، وخلفه ابنه سليمان القانونى فوطد أركان دولته على البلاد العربية والإسلامية حتى أفريقية، وبلغت الدولة فى عهده أوج قوتها، تحالف العثمانيون والألمان فى الحرب العالمية الأولى وأدى انهزام الألمان فى الحرب إلى تفكك الإمبراطورية العثمانية وإعلان الجمهورية التركية بزعامة مصطفى كمال أتاتورك سنة ۱۹۲۳م.

() وللمزيد عن تاريخ الدولة العثمانية راجع (موجز عن الدولة العثمانية)، لسماحة الإمام السيد محمد الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه.

() فيصل الأول ۱۸۸۳۱۹۳۳ه: ولد فى الطائف، ابن الشريف حسين، ثار على العثمانيين عام ۱۹۱۶م وقاد الجيش العربى فى فلسطين، نودى به ملكاً على سوريا عام ۱۹۲۰م وانسحب بعد دخول الجيش الفرنسى. ملك العراق عام ۱۹۲۰م.

() هو الشيخ محمد تقى بن الميرزا محب على بن أبى الحسن الميرزا محمد على الحائرى الكربلائى زعيم الثورة العراقية، ولد فى شيراز سنة ۱۲۵۶ه ونشأ فى الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء فى أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازى رحمة الله عليه حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعين الخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر فى أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل فى الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة التى أقامت العراق وأقعدته، لما كان لها من الواقع العظيم فى النفوس. فهو رحمة الله عليه فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده، وكان أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد فى بيته فى كربلاء مرات عدة. توفى رحمة الله عليه فى الثالث عشر من ذى الحجة عام ۱۳۳۸ه ودفن فى الصحن الشريف ومقبرته فيه مشهورة. راجع طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج۱ ص۲۶۱ الرقم ۵۶۱.

() عبد الكريم قاسم محمد بكر الزبيدى من مواليد ۱۹۱۴م بغداد، التحق بالكلية العسكرية فى عام ۱۹۳۲ شارك فى حرب فلسطين عام ۱۹۴۸م فى جبهة الأردن، انتمى لتنظيم الضباط الأحرار ۱۹۵۶م. قام بانقلاب عسكرى عام ۱۳۷۷ه ۱۹۵۸م، أطاح بالحكم الملكى، قتل أغلب أفراد العائلة الملكية بمن فيهم الملك فيصل الثانى، أعلن الحكم الجمهورى. ألغى المظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية ماعدا الحزب الشيوعى الذى أضحى الحزب المحبب للسلطة، وألغى الحكم المدنى. استمر حكمه قرابة أربع سنوات ونصف تقريباً. تعرض فى عام ۱۹۶۳م لانقلاب عسكرى دبره (عبد السلام عارف) مع مجموعة من الضباط البعثيين أمثال: أحمد حسن البكر، وعبد الكريم فرحان، وصالح مهدى عماش وغيرهم، أعدم رمياً بالرصاص مع بعض رفاقه فى دار الإذاعة فى التاسع من شباط عام ۱۹۶۳م.

() نورى سعيد صالح السعيد من مواليد بغداد عام ۱۳۰۶ه / ۱۸۸۸م، أصبح رئيساً للوزراء بين عام ۱۳۴۹۱۳۷۷ه / ۱۹۳۰۱۹۵۸م لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع فى خمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية فى إحدى عشرة دورة، ووزيراً للداخلية فى دورتين. أحد أكبر عملاء بريطانيا فى العالم العربى، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين، وكانت سياسته مبنية على نظرية (خذ وطالب) وعلى التحالف مع الإنجليز، جعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية للاستعمار، وجعل العراق سوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية ومصدراً لمواده الخام. أسس فى الخمسينيات حزب الاتحاد الدستورى لدعم وزارته، وكان حزبه وحزب صالح جبر (حزب الأمة الاشتراكى) لا يختلفان من الناحية التنظيمية والفكرية عن بعضهما، فالاثنان مواليان للإنجليز وأغلب أعضائهما من

القطاع الموالى للإنجليز، وكانا يتنافسان أحياناً ويختلفان فى بعض المسائل الداخلية. انتحر بإطلاق النار على نفسه عام ۱۳۷۷ه / ۱۹۵۸م، وقيل: قتل. من مؤلفاته: استقلال العرب ووحدتهم.

() عبد السلام محمد عارف، من مواليد عام ۱۳۳۹ه / ۱۹۲۱م فى مدينة الرمادى، كان من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار اشترك مع عبد الكريم قاسم عام ۱۳۷۷ه / ۱۹۵۸م فى الإطاحة بالنظام الملكى، وبعد اختلافه مع قاسم أقصى من مناصبه، عين سفيراً فى العاصمة الألمانية، ألقى القبض عليه وأودع السجن، وصدر حكم الإعدام عليه وعفى عنه بعد أن قضى أكثر من سنتين فى السجن. أصبح رئيساً للجمهورية بعد الإطاحة بنظام قاسم فى ۱۴ رمضان ۱۳۸۲ه / ۸ شباط عام ۱۹۶۳م ومنح نفسه رتبة مشير. اتسم حكمه: بالكبت والإرهاب والعنصرية، واهتم بتعيين الأقارب وأبناء العشيرة والبلدة فى إسناد المناصب بغض النظر عن المؤهلات والقابليات والكفاءات. اشتهر بالتعصب المذهبى، يقول الدكتور سعيد السامرائى عن عبد السلام ما نصبه: كان هذا الرجل لا يتحمل رؤية الشيعى، حتى أنه قطع زيارته لشركة التأمين الوطنية يوماً؛ لأنه وجد أن مدراءها ورؤساء أقسامها وشعبها هم إما من الشيعة أو المسيحيين والذين تبوءوا المناصب بكفاءتهم فى هذه التى لا تحتمل وضع غير الكفء فيها. انقلب على رفاقه البعثيين فى عام ۱۹۶۳م وأقصاهم من وزارته وأصدر كتاباً ضدهم سماه المنحرفون، وصم البعثيين بكل قبيح من قبيل الشذوذ الجنسى والسرقة وما إلى ذلك، قتل مع عدد من الوزراء فى عام ۱۳۸۵ه / ۱۹۶۶م أثر سقوط طائرته قرب البصرة، ويرى البعض أن موته كان عملية مدبرة نتيجة وضع قنبلة فى الطائرة.

() عبد الرحمن محمد عارف، ولد عام ۱۹۱۶م، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار، أصبح رئيساً للجمهورية عام ۱۹۶۶م، بعد مقتل أخيه عبد السلام، اتسم حكمه بالتدهور الاقتصادى والمعاشى وبالتمييز الطائفى والعنصرية القبلية، وكان يتأثر بالمحيطين به ويثق بهم، ويتبنى عادة رأى آخر من يقابله، نحى عن السلطة بعدما أوعزت المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى عبد الرحمن النايف، وإبراهيم الداود، وأحمد حسن البكر بتغيير السلطة فى العراق أثر انقلاب عسكرى فى ۱۷ تموز عام ۱۹۶۸م ونفى إلى تركيا.

() أحمد حسن البكر، من مواليد ۱۳۳۳ه / ۱۹۱۴م فى تكريت، تقلد منصب رئاسة الوزراء فى حكومة عبد السلام عارف، ثم منصب رئيس الجمهورية فى العشرين من الربيع الثانى ۱۳۸۸ه / ۱۷ تموز عام ۱۹۶۸م إثر انقلاب دبره على عبد الرحمن عارف، ومنح نفسه رتبة مهيب مشير بعد الانقلاب، منح أقرباءه وأصهاره وأبناء عشيرته وبلدته رتباً عالية دون استحقاق، تحكمت الطائفية والعصبية فى زمانه، وتدهورت الزراعة وتردت الصناعة وملئت السجون بالمجاهدين والأحرار، عرف بلؤمه وغدره حتى بأصدقائه، وكان همه تحقيق هدفه بصرف النظر عن الوسيلة، نحى عن الحكم إثر انقلاب دبره عليه زميله فى الإجرام صدام التكريتى بتاريخ ۱۶ تموز عام ۱۹۷۹م بعد أن حكم العراق ۱۱ عاماً، قتله صدام التكريتى بحقنة ترفع نسبة السكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش، وذلك عام ۱۹۸۲م.

() ولد عام ۱۹۳۹م فى قرية العوجة جنوب تكريت التى تبعد مائة ميل شمال بغداد، والده كان يعمل فرّاشاً فى السفارة البريطانية، تزوّجت والدته صبيحة من أربعة أزواج، وكان صدام ينتقل معها من بيت زوج إلى بيت زوج آخر، تنامت لديه روح الانتقام، ابتدأ عمليات القتل وهو فى السابعة عشر من عمره، اشترك مع بعض عناصر البعث فى محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام ۱۹۵۹م هرب على أثرها إلى سوريا ومنها إلى مصر، اشترك فى انقلاب ۱۷ تموز ۱۹۶۸م. وفى عام ۱۹۷۰م أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية فى حال غياب البكر عن البلاد. وفى عام ۱۹۷۹م أصبح رئيساً للجمهورية بعد أن أقصى البكر عن الحكم ومنح نفسه رتبة مهيب ركن، هاجم إيران عام ۱۹۸۰م فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرّت ثمان سنوات، احتل الكويت عام ۱۹۹۰م فاندلعت حرب الخليج الثانية وأخرج الجيش العراقى من الكويت، وقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بتدمير العراق ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد، انتفض الشعب عام ۱۹۹۱ فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقى بوحشية لا مثيل لها، فقد قدّرت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا ما يزيد على ۳۰۰ ألف عراقى. قامت أمريكا وحلفاؤها بالهجوم على العراق عام ۱۴۲۴ه / ۲۰۰۳م فاحتلت

العراق وسقط بذلك نظام حكمه الدموى فى ۹/۴/۲۰۰۳م ثم ألقى القبض عليه فى يوم الأحد ۱۴/۱۲/۲۰۰۳م، قدم إلى المحاكمة يوم الخميس ۱/۷/۲۰۰۴م بعد تحويل السيادة إلى الحكومة العراقية، وهو الآن رهن الاعتقال.

() الأكثرية الشيعية فى العراق، للإمام السيد محمد الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه.

() من مقال للأستاذ أحمد شهاب نشر على الانترنت.

() عبد الكريم الأزرى، المذكرات: ج۱ ص۱۶۰ – ۱۹۸۲م.

() الأهالى: ۲۸ حزيران ۱۹۳۳م.

() مذكرات كامل الجادرجى: ص۱۹۳– ۲۲۵.

() العلوى: مصدر سابق بتصرف.

() تاريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسنى: ج۳ ص۳۱۶.

() العراق بين احتلالين: ص۲۵—۲۶، دراسة تستعرض مراحل نشوء وبناء العراق الجديد، إعداد الدكتور المهندس على ناجى عطية، جامعة الكوفة كلية الهندسة.

() العراق دولة المنظمة السرية: ص۴۶.

() الشيعة والدولة القومية فى العراق، مصدر سابق.

() المصدر السابق.

() تسلم رئاسة الوزراء فى العراق فى عهد الملك فيصل الأول، بتاريخ ۲۰/۱۱/۱۹۲۲م، بعد استقالة حكومة عبد الرحمن النقيب. وكان السعدون متحمساً لإجراء انتخابات المجلس التأسيسى، والمعاهدة العراقية البريطانية التى كانت من صنيعة بريطانيا، فوقفت بريطانيا إلى جانبه ومعها الملك فى سبيل ضرب المعارضة الدينية المتمثلة بالمراجع العظام أمثال: السيد أبو الحسن الأصفهانى، والميرزا النائينى، والشيخ مهدى الخالصى، والعشائر العراقية. ولأجل قمع المعارضة قام السعدون بتسفير الشيخ الخالصى وأولاده إلى جدة، والسيد أبو الحسن الأصفهانى، والميرزا النائينى، وجماعة من العلماء آنذاك إلى إيران، ويبلغ عددهم (۲۶) عالماً، وكلهم من أعضاء المجلس العلمى القيادية الذى أسسه الإمام الشيرازى رحمة الله عليه لقيادة ثورة العشرين التحررية. راجع كتاب تاريخ العراق السياسى، لطفى جعفر فرج: ص۸۷.

() الأكثرية الشيعية فى العراق – الشيرازى.

() من مقال للعقيد الركن ميثم هادى، عن طريق البريد الالكترونى.

() المجتمع والدولة فى المشرق العربى، غسان سلامة: ص۹۳.

() البينة: العدد ۹۰ ربيع الثانى ۱۴۲۵ه، الأسبوع الثالث حزيران ۲۰۰۴م.

() سورة إبراهيم: ۴۲.

() انظر مجلة النبأ: العدد ۷۲، د. أحمد راسم النفيس. والجدير بالذكر أن المقصود من مصطلح (التبعية الإيرانية) هو أبناء العشائر العراقية الأصيلة التى حصلت على الجنسية الإيرانية فى ظروف العسكرية القاسية التى كان العثمانيون يسوقون الشباب فيها إلى ساحات الحروب الطاحنة التى أحرقت الأخضر واليابس، والفئة الثانية التى أطلق عليها (التبعية الإيرانية) هى تلك الأسر التى نزحت من إيران منذ عشرات وبعضها مئات السنين واستوطنت المدن المقدسة على الأغلب وبذلت الغالى والنفيس فى سبيل هذا الوطن، وعاشت كل ظروفه الصعبة وساندت قياداته الوطنية المخلصة.

() تحف العقول: ص۴۱.

() بحار الأنوار: ج۳۶ ص۳۵۸.

() سورة الحجرات: ۱۳.

() جامع الأخبار: ص۱۸۳ ف ۱۴۱.

() سورة الأنفال: ۴۶.

() سورة الصافات: ۲۴.

() انظر الكافى: ج۲ ص۱۶۴ ح۴. وتحف العقول: ص۵۸.

() بحار الأنوار: ج۷۲ ص۳۸ ب۳۵ ضمن ح۳۶.

() فى مقابلة مع قناة الجزيرة.

() مستدرك الوسائل: ج۱۷ ص۴۴۶ ب۴۶ ح۲۱۸۲۶.

() لسنا فى صدد بحث هوية النظام الملكى بل نطرح الموضوع من زاوية الأكثرية أوالأقلية.

() سورة الشورى: ۳۸.

() ولقد أوردنا بحثا مستقلا عن هذا الأمر فى هذا الكتاب.

() تم بحث هذا الموضوع بإشباع فى كتاب: (شورى الفقهاء المراجع / دراسة تحليلية حول القيادة المرجعية الجماعية) و (شورى الفقهاء مفتاح الإصلاح العام).

() انظر نهج البلاغة: الكتب ۵۳ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعى لما ولاه على مصر...

() من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص۳۷۹ ح۵۷۹۸.

() معدن الجواهر: ص۲۱.

() سورة الأنفال: ۴۶.

() سورة الأنفال: ۴۶.

() وقد ورد فى أحاديث عديدة: لا ظهير كالمشاورة، و الشورى يمن وبركة وغيرها كثير.

() الكافى: ج۲ ص۱۶۴ باب الاهتمام بأمور المسلمين ح۵

() كلاهما ينتميان إلى الخمسة السنة العرب، ولم يرشح أحد من الكرد الخمسة ولا من الشيعة وهم الأكثرية، وعددهم ثلاثة عشر من خمسة وعشرين من أعضاء مجلس الحكم الانتقالى، فاثنان من خمسة (أى ۲۰٪ من مجموع الأعضاء) يتنافسان فى منصب الرئاسة، و(۸۰ ٪) من الأكثرية فى المجلس لا يرشح أحد منهم.. أليست هذه محاصصة غير عادلة ومقصودة؟ أم عفوية؟ وكيف يكون الحال فى الحكومات الدستورية القادمة فى المستقبل؟.

() سورة النساء: ۵۸.

() غوالى اللآلئ: ج۱ ص۳۱۵ ح۳۶.

() سورة الشورى: ۳۸.

() سورة الحجرات: ۱۰.

() الفقه: الحكم فى الإسلام: ص۴۷.

() أطروحة الحكومة الإسلامية، آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازى: ص۵۱.

() الشورى وأثرها فى الديمقراطية دراسة مقارنة: ص۱۴۳.

() ذكره المؤرخون قاطبة، يراجع (فتح البارى) ج۸ ص۳۴۸.

() تنبيه الأمة وتنزية الملة: ص۵۴ بتصرف.

() ذكره المؤرخون قاطبة نقلناه عن الشورى وأثرها فى الديمقراطية: ص۱۶۹.

() منهاج الحكم فى الإسلام، الأستاذ محمد أسد: ص۹۷.

() الدر المنثور: ج۲ ص۶۲، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، للمباركفورى: ج۶ ص۳۸۷.

() الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة.

() المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام، محمد أبو زهرة.

() أصول الكافى: ج۱ ص۳۵.

() أطروحة الحكومة الإسلامية: ص۴۶.

() سورة البقرة: ۲۷۹.

() الكافى: ج۲ ص۱۶۴ باب الاهتمام بأمور المسلمين ح۵

() الكافى: ج۲ ص۱۶۵ باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح۱.

() الأكثرية الشيعية فى العراق، للإمام الشيرازى رحمة الله عليه.

() سورة يوسف: ۸۷.

() للإطلاع الإجمالى على بعض تلك المفاهيم والأهداف يمكن مراجعة كتاب (إذا قام الإسلام فى العراق) للإمام الشيرازى الراحل رحمة الله عليه.

() وكشاهد على ذلك: فإن إنكلترا وبغض النظر عن موقعها الجغرافى تعتبر قلب القارة الأوروبية لمكانتها السياسية والتاريخية التى تقتضى الاحتكاك الكثير والمباشر مع البلدان الأخرى، ليس فيها أكثر من ۱۶۰۰۰ شيوعى، مع ما هناك من حرية نسبية، والسبب هو أنها تؤكد على إرسال شبابها فرداً فرداً إلى الكنيسة وتربطهم بها، وتقوى أساس التدين فى نفوسهم ليس حباً فى الدين، وإنما لخلق حاجز بينهم وبين الأفكار الإلحادية.

() الأكثرية الشيعية فى العراق، للإمام الشيرازى رحمة الله عليه.

() المصدر السابق، بتصرف يسير.

() سورة الزخرف: ۷۸.

() بحار الأنوار: ج۶۷ ص۱۷۹ ب۵۲ ضمن ح۴۴.

() الأكثرية الشيعية فى العراق، بتصريف يسير.

() الأكثرية الشيعية فى العراق/ مصدر سابق.

() جريدة البينة ربيع الثانى ۱۴۲۵ه تحت عنوان: شيعة العراق بين الطائفية والشبهات.

() سورة البقرة: ۲۷۹.

() سورة المائدة: ۴۵.

() سورة النحل: ۴۱.

() سورة التوبة: ۱۰۵.

() راجع مجلة الإيمان النجفية الصادرة فى آذار ۱۹۶۴.

() لقد كان الإمام الشيرازى (أعلى الله درجاته) يرى حول مشكلة العراق، أنه إضافة إلى ضرورة إسقاط الدكتاتور الطاغية، لابد من توافر بنية أساسية داخلية تعتمد على: الشورى، والتعددية، والحرية، واحترام حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، وفيما طرحه الإمام الشيرازى أيام الانتفاضة فى بيان صدر له جواباً لبعض المؤمنين عن الصورة المستقبلية فى العراق، دلالة واضحة على العمق الفكرى

الذى اتخذه سماحة الإمام رحمة الله عليه فى دراسة القضية العراقية، إذ أن تصوره يعتمد على حل المشكلة العراقية من جذورها، وهذه النقاط التى ذكرها تعد بحق وثيقة تاريخية تعبر عن رأى المرجعية الدينية المنبثقة من واقع العراق الإسلامى.

() سورة الروم: ۳۰.

() سورة الشورى: ۳۸.

() سورة آل عمران: ۱۵۹.

() غوالى اللآلى: ج۱ ص۳۱۵.

() سورة البقرة: ۲۵۶.

() سورة الأعراف: ۱۵۷.

() نهج البلاغة: الكتاب ۳۱.

() سورة البقرة: ۲۰۸.

() وسائل الشيعة: ج۱۸ ص۳۹۹ ب۲۷ ح۱۱، وفيه: (ادرؤوا الحدود بالشبهات).

() سورة المائدة: ۹۵.

() الكافى: ج۳ ص۵۱۳ ح۲.

() غوالى اللآلى: ج۲ ص۵۴ ح۱۵۴ وفيه: (الإسلام يجب ما قبله).

() سورة الحجرات: ۱۳.

() الاختصاص: ص۲۴۱.

() راجع إعلام الدين: ص۴۴۰، والمؤمن: ص۳۹ ح۹۲.

() مجموعة ورام: ج۲ ص۵۳، مكارم الأخلاق: ص۴۶۰.

() سورة آل عمران: ۱۵۹.

() سورة الشورى: ۳۸.

() سورة المؤمنون: ۵۲.

() غرر الحكم ودرر الكلم: ص۴۴۳ ق۱ ب۴ ف۱ من استبد برأيه زل ح۱۰۱۰۹.

() الأكثرية الشيعية فى العراق، للإمام الشيرازى، بتصرف.

() سورة الفرقان: ۷۷.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹